آياتُ خَلْقِ الإنْسانِ
في ضَوءِ الهِدَاياتِ القُرْآنيَّة

تـأليـف

رمضان خيري إسماعيل – جامعة دمنهور

تـقـديــم

أ.د / فخر الدين بن الزبير المحسي
كلية الدراسات القضائية والأنظمة – جامعة أم القرى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله، وصحبه، ومن والاه، وبعد:

ففي يوم الأحد: (١٤٤١/١٢/١٩هـ): وجدت رسائل في جوالي، يطلب فيها المرسل التواصل، وهو الشيخ رمضان خيري –وفقه الله-، ولم يكن قد سبق لي التعرف على شخصه الكريم، ثم أخبرني برؤيا جمعتني به حول كتابي: السيرة النبوية في ضوء الهدايات القرآنية، وأنها كانت سبباً لتأليف كتابه: آيات خلق الإنسان في ضوء الهدايات القرآنية.

وقد ذكر تفاصيل الرؤيا في مقدمة هذا الكتاب حول أسباب التأليف.

فأسأل الله تعالى أن تكون رؤيا حق من الرحمن، وبشرى لي وله بأن يجمعنا الله تعالى في الجنان، كما اجتمعنا في الدنيا على هدى القرآن.

وبعده أرسل إليّ الكتاب فوجدته نافعاً ماتعاً، وكما هو المتبع في كرسي الهدايات القرآنية: تم دفع الكتاب لمحكّمين، وفق المعايير العلمية العشرة، والحمد لله خرجت النتيجة بالموافقة مع بعض التعديلات، والتي تفضل فضيلته بمراعاتها، فكان الكتاب بهذه الحلة القشيبة، والصنعة الرصينة: منهجاً وصياغة واستنباطاً.

فأسأل الله تعالى أن يجعله سبباً في دخول الجنات، ورفع الدرجات، وأن ينفع به كاتبه وناشره وكل من يقرؤه، كما أسأله سبحانه أن يزيد المؤلف توفيقاً وقبولاً ورفعة في الدنيا والاخرة.

والحمد لله أولاً وآخراً

كتبه

د.فخرالدين بن الزبير المَحَسي

كلية الدراسات القضائية والأنظمة

جامعة أم القرى- مكة المكرمة

الإهداء:

- **أهدي هذا الكتاب:**
- إلى من كنتُ أتمنى أَرَى الفرحة في عينيه بمؤلفاتي، لكن الموت قد أفنى تلك الأمنية. إلى مَنْ قدَّم إليَّ كلَّ ما يستطيع ويملك دونَ توانٍ، ولم يقصِّر معي يومًا. إلى من لا يتوقَّف القلب شوقًا إليه.

إلى أبي – رحمه الله وأنار قبره-.

- إلى التي بسببها أُرْزق، إلى التي حافظت عليَّ بروحها، إلى التي لا ينفك لساني عن الدعاء لها بالعافية والبركة في العمر.

إلى أمِّي الغالية.

- إلى رجلٍ يَنْدُر وجود مثله في هذا الزمان في نقاء القلب وطهارته، ودماثة الأخلاق وحسنها، وجميل الكرم وإدامته.

إلى الذي في مقام الأب ومنزلته: فضيلة الشيخ: أحمد عطية.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣].

- **المقدِّمة:**

الحمد لله رب العالمين المتفضِّل بإنزال القرآن على قلب خاتم النبيِّين هدًى للناس، وبيِّنات من الهدى والفرقان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله أفضل الخلق أجمعين، المرسلِ بدين الهدى للعالمين؛ ليظهره على الدِّين كلِّه، ولو كره المشركون الضَّالون، وصلَّى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله الأطهار، وصحبه الأخيار إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد:

فإنَّ هداية الله – عزَّ في علاه – لعبادِه هي الحظ الأكبر، والمقصد الأعلى، إذ لا استهداء إلا بهُداه تبارك وتعالى، وكلُّ العبادِ ضالٌّ إلا من هَداه الله سبحانه إلى صراطه المستقيم، يهدي من يشاء، ويضلُّ من يشاء، وقد كان أوَّلُ دعاء في القرآن الكريم علَّمه الله –تبارك وتعالى–، لنبيِّه– صلَّى الله عليه وسلم–، ولأمته من بعده، هو: **دعاء الهداية**، فقال تعالى:﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، أي: طريق الحقِّ، والصدق، والخير، والفوز، **الذي هو:** ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦]، أي: أنَّ هذا الصراط الذين أنعم الله – عزَّ وجل– عليهم؛ فنالوا رضاه، وفازوا بهُدَاه، وقد بيَّن سبحانه من هم فقال– عزَّ وعلا–:﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[النساء: ٦٩]– اللهم اجعلنا منهم–.

وبذلك فإنَّ دعاء الهداية هو أفضل الدعاء وأكرمه، وأغلاه، وأنفعه؛ لأنَّ بها تتحقَّق معرفة الله، وتوحيده، وعبادته، وسعادة الدنيا، ونجاة الآخرة.

وإنَّ القرآنَ الكريم مع كونه هدًى كاملًا للناس، فقد أبانَ أيَضًا عن جميع أنواع الهداية ووجوهها التي يهدي بها الله عباده إلى الحقِّ، وبيان ذلك قوله تعالى:﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ...﴾ [سورة البقرة: ١٨٥]، قال شيخ المفسرين ابن جرير الطَّبَري (ت:٣١٠هـ):" قوله﴿هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾ فإنَّه يعني: رشادًا للناس إلى سبيلِ الحقِّ، وقصْدِ

المنهجِ"[1]. تلك هي الغاية العُظمى من إنزال الحقِّ -تبارك وتعالى- القرآن الكريم بوحي على رسوله محمد – صلَّى الله عليه وسلَّم- خاتم النبيِّن.

وقال الزَّمخشري (ت: ٥٣٨هـ):" فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾، بعد قوله:﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ ؟ قلت: ذكر أوّلًا أنَّه **هدى**، ثمَّ ذَكَر أنَّه بينات من جملة ما هدى به الله، وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهُدى والضلال..."[2].

وقال أبو السعود العمادي (ت: ٩٨٢هـ):" ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ و﴿ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ -:" حالان من القرآن أي: أُنزل حال كونه هداية للناس بما فيه من الإعجاز، وغيرِهِ وآياتٍ واضحةٍ مرشدةً إلى الحق فارقةً بينه، وبين الباطل بما فيه من الحُكم، والأحكام..."[3].

وقد جاء التصريح في آيات كثيرة معلومة في القرآن الكريم بأنَّه: هُدى، ومنها: قوله تعالى:﴿ **الم*** ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:١-٢]، أي: أنَّ هذا القرآن العظيم الذي لا شكَّ فيه: محلُّ الهُدَى وأصله.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢]، قال الزَّجاج (ت: ٣١١هـ):" هدى في موضع نصْبٍ، أي فصلناه هاديًا وذا رحمة. ويجوز هدى ورحمةٌ لقوم يؤمنون على الاستئناف، المعنى هو هُدًى ورحمةٌ لقوم يؤمنون"[4].

---

[1] جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٩٢/٣.

[2] الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٣٨٣/١.

[3] تفسير أبي السعود(=إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم): ٢٠٠/١.

[4] معاني القرآن وإعرابه:٣٤١/٢.

وقولـه عزَّ وجـل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، أي: يا محمد- صلَّى الله عليه وسلم- قد نزَل عليك القرآن فيه بيان كلّ شيء من أمور الدين والدنيا والآخرة، فمن آمن به، وعمل بما فيه؛ فأحلَّ حلاله، وحرَّم حرامه من المسلمين يكون له هدًى من الضلال، ورحمة يسْعَدُ بها، وبُشْرَى بعظيم الثواب، وجزيل العطاء من الله سبحانه.

وقولـه تباركت أسماؤه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، يعنـى: القرآن هدًى من كل ضلال، وشفاء لكلِّ داء. وغير ذلك من الآيات التي ذَكرَ الله تعالى فيها أنَّ القرآن العزيز هُدى. ومع كونِه هُدًى، فإنَّه ليس هناك هاديًا للناس إلى سبيل الحقِّ والسعادة في الدَّارين أعدلَ، وأصوب وأقوم من القرآن الكريم، قال العلـي العظيم: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، أي: أوضـح الطرق، وأقربها إلى الحقِّ دون منازعة، وذلك في كلِّ شيء من شئون الدنيا والآخرة، قال محمد الأمين الشَّنْقيطي (ت:١٣٩٣هـ):" هذه الآية الكريمة أجمل الله- جلَّ وعلا- فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأصوبها، فلو تتبْعْنَا تفصيلها على وجه الكمال لأتَيْنَا على جميع القرآن العظيم؛ لشمولها ما فيه مِنَ الهُدى إلى خَيْري الدنيا والآخرة"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ):" مَنْ تدبَّر القرآن طالبًا الهُدى منه؛ تَبَيَّن له طريق الحق"(٢).

ولمَّا كان القرآن العظيم كلُّه هدًى، فإنَّ في كلِّ آية، وفي كل موضوع، وفي كلُّ قضية عالجها، من الهدايات للإنسان ما لا يُحصر، ومن النِّعم ما لا يُعدُّ، ومن وجوه الخيرات ما لا يُحَدُّ له في دينه ودنياه وآخرته، وإنَّ من أهمِّ، وأعظم، وأعجب ما جاء في القرآن الكريم، موضوع: الخَلْق بشكل عام، وخَلْقُ الإنسان آدم عليه السلام وذريته بشكل خاصٍ، ذلك الخَلْق العجيب الآثار، المعجز التركيب الذي عُرفت مراحل تكوُّنه، وأطوار خلقته طورًا بعد طورٍ، وحالًا بعدَ حالٍ، على نحو ما بيَّن الله – سبحانه- في كتابه العظيم.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٤٨٧/٣، ٤٨٨.

(٢) العقيدة الواسطية: ص٧٤.

وقَدْ نَدَبَ الخالقُ سبحانه عباده إلى التفكّر والنَّظر في أنفسهم وخلْقِهم، فقال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١]، وقال- تباركت أسماؤه-: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق:٥]، وهذا أمرٌ مطلقٌ لكلّ مكلَّف أن ينظرَ في نفسِه وخلْقه، لأنَّهما" من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره، وأقربُ شيءٍ إلى الإنسانِ نَفسُه، وفيه من العَجَائب الدَّالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمارُ في الوقوف على بعضه؛ وهو غافلٌ عنه، مُعْرِضٌ عن التَّفكُّر فيه، ولو فكَّر في نفسه لزجرهُ ما يعلمُ من عجائبِ خَلْقِها عن كُفْرِه..."[1].

وبناءً على ما سبق- وغيره-؛ كان هذا الكتاب، الذي يدور حول الحديث عن أطوار خلق الإنسان: أبو البشر آدم -عليه السلام- ونسله من بعده، من خلال آيات القرآن الكريم، وذلك في ضوء الهدايات القرآنية.

وإنَّ الأطوار أو المراحل التي سيكون الحديث مقصورًا عليها، تلك المراحل التي بتمامها يصير **فيها المتخلّق حيًّا**، سواء في مراحل خلقِ أبينا آدم – عليه السَّلام- ابتداءً من التراب حتى مرحلة الكمال والتشريف، وهي: مرحلة النَّفخ في الرُّوح، أو في مراحل خلق الإنسان ابتداءً من الماء المهين ثم النُّطفة التي منه، ثمَّ وصولًا كذلك إلى مرحلة الكمال وهي: النفخ في الروح. وإني أستمنح الله- جلَّ في علاه- هداية وتوفيقًا وفتوحًا في هذا الكتاب، إنَّه بالإجابة جدير، وعلى كلّ شيء قدير.

[1] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قَيِّم الجوزيَّة:٢/٥٣٩.

- **سببُ تأليف الكتاب:**

أعْلَمُ أنَّ الله- عزَّ وجلَّ- إذا أراد شيئًا؛ هيَّأ له أسبابه، وهَدَى إليها، وقد حَدَث أنْ هُيِّئَت الأسباب، وهُديت إلى تأليف هذا الكتاب، وبيان ذلك: أنَّ الله- سبحانه- تفضَّل عليَّ بقراءةٍ في كتاب السيرة النبوية في ضوء الهدايات القرآنية (العهد المكي) لمؤلفه العالم الفاضل الدكتور: فخر الدين بن الزبير المحسي- متَّعه الله بالصحة والعافية-، فأعجبني منهجه وطريقته المبتكرة في حديثه عن آيات السيرة النبوية، وما تتضمَّنته من هدايات إيمانية ودعوية وأخلاقية...إلخ، ثمَّ دلَّنِي البحث والقراءة في كتابه هذا على المشروع العلمي الكبير: علم الهدايات القرآنية، الذي تخصَّص فيه كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم، والذي تُشرف عليه جامعة أم القرى، ولمَّا طالعت هذا المشروع، ووقفت على أهدافه العظيمة؛ وقع في نفسي رغبة- تتلاقى معها رغبات سابقة حول التأليف عن كتاب الله العظيم- كبيرة في التأليف في مجال الهدايات القرآنية، وقد مكثتُ أيامًا كثيرة أقلِّبُ وجهي في السَّماء، وأفكِّر بل أطيل التفكير في أي موضوع أكتب، وما العنوان الذي يُمكن أن أكتب فيه؟.

وفي ليلة السبت الموافق للحادي والعشرين من شهر شوال سنة إحدى وأربعين وأربعمئة وألف من الهجرة، المصادف الثالث عشر من شهر يونيو لسنة ألفين وعشرين ميلاديًّا، قد نمتُ وبجواري عدد من الكتب منها: كتاب السيرة النبوية في ضوء الهدايات القرآنية، للدكتور: فخر الدين بن الزبير، ثم أيقظني الخالق- سبحانه- إلى صلاة الفجر؛ فصلَّيت ثمَّ عُدتُ إلى النَّوم مرة ثانية؛ فرأيت في منامي أنَّي أتَّصِل بالدكتور فخر الدين تليفونيًّا وأكلِّمه – ما كنت رأيت فضيلته أو قابلته أبدًا- وأقول له: قد اخترتُ آيات خلقِ الإنسان في القرآن الكريم للحديث عنها في ضوء الهدايات؛ فَفَرِحَ وقال- حفظه الله-: اكتب وأوافق، ثمَّ أخبرته عن موضوع آخر....، فقال: أيضًا اكتب وأوافق، فاستيقظت فرحًا مستبشرًا، وسجَّلت هذه الرؤية المباركة، والهداية الربَّانية، وقلت: الحمد لله لعلَّ ذلك من الهدايات، ومنذ ذلك الوقت عكَفْتُ على الكتابة في موضوع الكتاب عكوفًا متتابعًا يومًا بعدَ يوم؛ حتى أكرمني العلي الكبير ذي الجود والنِّعم، وأعانني على إنجاز هذا الكتاب في ظروف لا يعلمها إلَّا هو (عام كورونا) ؛ فللَّه الحمد دائمًا سرمدًا، والشكر متواليًا أبدًا.

- **أهداف الكتاب:**

يوجد العديد من الأهداف المرجوة من تأليف هذا الكتاب، منها:

١- استنباط ما تتضَّمنته آيات خلق الإنسان في القرآن الكريم من هدايات في مجال العقيدة، و العبادة، والأخلاق، والتربية، والدعوة، وكذلك في مجال الإعجاز العلمي في الكون والنَّفس، وما في ذلك كله من عجائب عجيبة، وحكم عظيمة لا تُحدُّ، ولا تُحصر، كما سيُعرض إن شاء الله- عزَّ وجلَّ- في تضاعيف هذا الكتاب.

٢- إبراز الهدايات المستنبطة – مع اختلاف مجالاتها- ومعانيها في ضروب الكلام؛ ولهذا أثره في وجود تراكيب واستعمالات جديدة، ومختلفة تظهر من خلالها هذه الهدايات.

٣- الإرشاد إلى ترتيب الهدايات المستنبطة من الآيات القرآنية بما يتناسب مع ترتيبها، وتوزيع ألفاظها الدَّقيق المُعْجِز المُذْهل، وربط ذلك بالإعجاز العلمي في العصر الحديث- قدر المستطاع-.

٤- ربط الواقع بهدايات القرآن الكريم، سواء كانت هدايات إيمانية، أو تربوية، أو دعوية، أو علمية...إلخ.

٥- توظيف كلام الصحابة- رضوان الله عليهم أجمعين- وأئمتنا من أهل العلم والتأويل في الهدايات، وهم الذين بلغوا شأوًا كبيرًا في فهم ألفاظ اللغة، والتعبير بها، والبلاغة في توظيفها، وقد شهدت لهم الأمَّة بالسَّبق البعيد في ذلك.

٦- جمع ما تفرَّق من هدايات في مجال خلق الإنسان؛ وإفرادها بالذكر، ليصبح الكتاب أصيلًا في جمع المتفرق في المرحلة الحالية.

٧- المساهمة في تقوية ملكة الاستنباط لدى الدارسين للقرآن الكريم بشكل عام، ولدى المستنبطين لهداياته بشكل خاص، ولا أدَّعي كمالًا في ذلك؛ وإنَّما هذا جهد المقل، ولا يكلِّف الله نفسًا إلا وسعها، والله- سبحانه- أعلم بالصواب.

- **الدِّراسات السَّابقة:**

قد وقفت على عددٍ من الكتب التي أُلِّفت حول خلق الإنسان في القرآن الكريم، ومنها:

١- خلق الإنسان في اللغة، محمد بن حبيب البغدادي (ت: ٢٤٥هـ)، تحقيق: د/خليل إبراهيم العطية، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٤م-١٤١٤هـ.
٢- خلق الإنسان بين الطِّب والقرآن، د/ محمد على البار، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
٣- إعجاز آيات القرآن في بيان خلْقِ الإنسان، د/ محمد فيَّاض، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٤- خلق الإنسان في القرآن الكريم، دراسة وصفية تحليلية، د/ إلهام أحمد محمد البعداني، ط١، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م، حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة.

وكلُّ كتاب من هذه الكتب وغيرها، له غرضُه الذي أُلِّفَ مِنْ أجْلِهِ، ومنهجه الذي اعتمده، وطريقته في عرْضِ المادة العلمية، وبيان ذلك كما يأتي:

- كتاب: **خلق الإنسان في اللغة**، الذي حاول فيه ابن حبيب أن يرتب الكلمات التي أطلقها العرب على أعضاء جسم الإنسان، ترتيبًا هجائيًّا، بحسب أوائل الكلمات، مع محاولة شرح بعض غريبها، وبذلك فإنَّ غرض ابن حبيب محدَّد، ومنهجه واضح، وإنَّ هذا الكتاب يُعدُّ من أقدم الكتب المصنَّفة في موضوع خلق الإنسان.
- كتاب: **خلق الإنسان بين الطب والقرآن**، فقد تحدَّث فيه المؤلف بشكلٍ موسع، ودقيق عن خلق الإنسان، وذلك من جهة الحديث عن بعض أجهزته التي خلقه الله تبارك وتعالى بها، وكذلك من جهة الحديث عن أطوار الجنين، وما بعد ذلك من تكوين السَّمع والبصر والعظام ثم الحمل والولادة وغرائبهما..إلخ، وإنَّ المدقِّق في الكتاب يلاحظ أنَّه فريد في بابه في الحديث عن خلق الإنسان في العصر الحديث خاصة من الناحية الطبية؛ إذ جاء فيه تفاصيل طبية مؤثَّقة بالصور الفوتوغرافية قلَّ من يدركها من غير الأطباء، وطلبة الطب، والصيدلة، والعلوم، وقد بلغت فصول هذا الكتاب تسعة وعشرون فصلًا.

- كتاب: **إعجاز آيات القرآن في بيان خلْقٍ الإنسان**، فإنَّ مؤلفه يستهل حديثه بسؤال عام، هو: لماذا هذا الكتاب؟ ثم يجيب فيقول:" قد حباني الله بنعمة كبرى بصفتي طبيبًا للنساء والحمل والولادة، وذلك بأن أعايش في كلِّ يوم بل في كل لحظة إبداعه سبحانه وتعالى في معجزة الخلق البشري...، وفي لحظة معينة خطر على بالي خاطر لطيف.. وهو لماذا لا أشرك معي قارئي العزيز في تذوق حلاوة هذا الإبداع، ولمس ضخامة هذا الإعجاز..."، فممَّا سبق نلمح الغرض من تأليف هذا الكتاب، وإنَّ القاريء لفصوله يجد أنَّ المؤلف قد اهتمَّ بإظهار الإعجاز العلمي في خلق الإنسان، والمرجع الأساسي في ذلك الآيات الواردة في القرآن الكريم، وقد بلغت فصول هذا الكتاب أحد عشر فصلًا.
- كتاب: **خلق الإنسان في القرآن الكريم، دراسة وصفية تحليلية**، أصلُ هذا الكتاب رسالة علمية نالت بها الباحثة درجة الدكتوراة، وقد اهتمَّت في هذا الكتاب بالحديث عن معجزة القرآن في بيان خلق الإنسان، وذلك من خلال المقارنة بين ما جاء في القرآن الكريم، وبين ما أظهرته المكتشفات، والحقائق العلمية الحديثة، وفصول هذا الكتاب خمسة فصول تحتوي على مباحث متفرقة، ومتنوعة عن خلق الإنسان.

ولا شكَّ أنِّي قد استفدت استفادة عظيمة من معظم هذه الكتب– وغيرها– وذلك من خلال الوقوف على بعض هدايات القرآن في المجالات العلمية خاصة مجال خلق الإنسان، وما أثبتته المكتشافات العلمية الحديثة.

- **ما يختصُّ به الكتاب الحالي عن غيره من الكتب والدراسات السابقة:**

قد أشرتُ سابقًا إلى ما يهتمُّ به كلُّ كتاب من الكتب المذكورة المُؤلفة في موضوع خلق الإنسان، وقد تبيَّن أنَّ لكلِّ كتاب وجهته، وطريقته...إلخ، أمَّا الكتاب الحالي فإنَّه يختلف عنهم، وذلك من جهة إفراد الحديث عن الهدايات في مراحل خلق الإنسان في القرآن الكريم، والله أسأل أن يكون هذا الكتاب أصيلًا في جمع ما تفرَّق من هدايات في خلق الإنسان في القرآن الكريم.

- **منهج الكتاب:**

قد اعتمدت المنهج الاستقرائي الاستنباطي، وأودُّ الإشارة إلى المنهجية الإجرائية التي حاولت اتباعها في الكتاب، وهي على النحو الآتي:

١- ابتدأتُ بذِكْرِ الآيات القرآنية الدَّالة على كلِّ مرحلةٍ من مراحل خَلْقِ الإنسان، ملتزمًا التَّرتيب القرآني طبقًا لترتيب السور والآيات.

٢- الوقوف مع الآية الأولى من مجموع الآيات الدَّالة على كلِّ مرحلة، وقوفًا يتضَّمن: **المعنى الإجمالى** للآية ودلالة الألفاظ فيها، ثمَّ ذكر **وجوه المناسبات** بين الآية وبين ما سبقها، وما تلاها من آيات، ثمَّ القيام **باستنباط الهدايات**. مع عدم إغفال ما جاء من أوصاف زيدت في الآيات الأخرى من مجموع الآيات الدالة على المرحلة التي يتمُّ الحديث فيها.

٣- إذا تكرَّر ذِكْرُ الآية الأولى التي وقفت معها ومع هداياتها في مرحلة ثانية من مراحل خلق الإنسان- كون تلك الآية الكريمة تجمع بين أكثر من مرحلة من مراحل الخَلْقِ-، وجاء تَرتيب هذه الآية أولًا من مجموع الآيات الدالة على المرحلة التي يتمُّ الحديث فيها، انتقلت إلى الآية التي تليها، للحديث عنها واستنباط هداياتها.

٤- إذا انفردتْ مرحلة من مراحل خلق الإنسان بآية واحدة قد سبق الحديث عنها وعن هداياتها، يتمُّ الوقوف على تلك الآية أيضًا والاجتهاد في استنباط هدايات جديدة تخصُّ تلك المرحلة، ولا غرو في ذلك؛ فإن الهدايات القرآنية بحرٌ لا ساحل له.

٥- الاعتداد برأي الجمهور أولًا في التفسيرات والتأويلات، دونما إغفال لانتزاعات بعض المفسرين التي لا تتعارض معهم، ويمكن أن تحتملها دلالة اللفظ.

٦- كتابة تاريخ الوفاة عند ذكر الأعلام؛ ليعلم القارىء زمن العالم أو صاحب القول.

٧- عند احتمال اللفظ أكثر من معنى أو وجه، ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها جميعًا، أي: حمل المعنى على الأعم الظاهر، وإذا كان هناك معنى خاص، وآخر عام، فإنَّه يُحمل المعنى الخاص في محله على خصوصه من غير معارضة للمعنى العام، لأنَّ ذلك أولى وأحجى.

- **خطَّة الكتاب:**
- **المقدمة:**
- **التَّمهيد،** ويشتمل على أربعة مطالب:
- **المطلب الأول:** الهدايات في اللغة والاصطلاح.
- **المطلب الثاني:** الفرق بين التفسير والهدايات والاستنباطات.
- **المطلب الثالث:** مجالات الهدايات القرآنية.
- **المطلب الرابع:** طُرق الوصول إلى الهدايات القرآنية.
- **الفصل الأول: مراحل خلق الإنسان الأول آدم-عليه السلام- وزوجه في القرآن الكريم، وفيه ثمانية مباحث:**
- المبحث الأول: مرحلة الخَلْق مِنْ تُرَاب.
- المبحث الثاني: مرحلة الخَلْق مِن الماء.
- المبحث الثالث: مرحلة الخلق من طين.
- المبحث الرابع: مرحلة الخَلْق من الطين اللازب.
- المبحث الخامس: الخَلْقُ من حمأ مسنون.
- المبحث السادس: مرحلة الخَلْق من الصلصال.
- المبحث السابع: مرحلة التَّسوية ونفخ الروح.
- المبحث الثامن: مرحلة خلق أُمِّنَا حوَّاء من آدم- عليهما السلام-.
- **الفصل الثاني: مراحلُ خَلْقِ نَسْلِ آدم -عليه السلام- وذريته، ويشتمل على سبعة مباحث:**
- المبحث الأول: مرحلة الخَلْق من ماء مهين ودافق.
- المبحث الثاني: مرحلة تَخْليق النُّطفة في الرَّحم.
- المبحث الثالث: مرحلة تكوُّن العَلقة.

- المبحث الرابع: مرحلة التَّطور إلى المُضغة.
- المبحث الخامس: مرحلة تخْليق العظام.
- المبحث السَّادس: مرحلة كسوة العظام باللحم.
- المبحث السابع: مرحلة تمام الخلقِ، وكماله: النفخ في الرّوح.
- **الخاتمة:** وفيها أهم النتائج المستنبطة من الكتاب.
- **ثم** المصادر والمراجع، **ثم** فهرس المحتويات.

وبهذا أكون قد وضعت بين يدي القاريء الكريم تصوُّرًا عامًّا عن موضوع كتابنا هذا. والله– تعالى – أسأل الإخلاص لوجهه الكريم، والهداية فيما أكتب، والتوفيق الحسن، والقبول الجميل؛ سبحانه بفضله تُنال الخيرات، وبعونه تَسْهُل الصُّعوبات.

وكتب:

الفقير إلى رضوان ربه ورحمته:

رمضان خيري إسماعيل.

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة دمنهور.

- **التمهيد**، ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الهدايات في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: الفرق بين التفسير والهدايات والاستنباطات.

المطلب الثالث: مجالات الهدايات القرآنية.

المطلب الرابع: طُرق الوصول إلى الهدايات القرآنية.

- **المطلب الأول: الهدايات في اللغة والاصطلاح:**

- **أولًا: الهدايات في اللغة[١]:**

الهدايات: جمع هداية، وكلاهما يعود إلى الجذر اللغوي (هَدَى) الذي تحوم استعمالاته حول معنى: الإرشاد والدلالة، قال الجوهري (ت: ٣٩٣هـ):"الهُدى: الرشادُ والدلالةُ، يؤنَّث ويذكَّر"[٢].

وقال الرَّاغب الأصفهاني(ت: نحو ٤٢٥هـ):" الهداية: الدلالة بلُطف"[٣]، ويلاحظ أنَّه قد خصَّ الهداية بملمح دلالي مُميِّز هو: اللطف.

وقال الإمام الواحدي (ت: ٤٦٨هـ):" وأصل الهداية في اللغة: الدلالة"[٤].

أمَّا ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ) فقد ردَّ هذا الجذر (هدى) إلى معنيين أساسين، وذلك قوله:" الهاءُ والدَّال والحرفُ المعتلُّ: أصلان أحدُهمُا: التقدُّم والإرشاد، والآخر: بَعْثَةُ لَطَفٍ"[٥]. والذي أراه: أنَّه يمكن الجمع بين المعنيين بإعمال الفكر، وذلك أنَّه لما قال:. والْأَصْلُ الْآخَرُ الْهَدِيَّةُ: مَا أَهْدَيْتَ مَنْ لَطَفٍ إِلَى ذِي مَوَدَّةٍ"[٦]. **والهديَّة تُقدَّم بلطفٍ** وبذلك يُجمع بين المعنيين، وكذلك قوله: وَمِنَ

---

[١] **ليس الحديث عن الهداية هنا – من جهة اللغة – تكرارًا لما سبق، وإنَّما حاولت جاهدًا أنْ أقف على القيد أو الملمح الدلالى للجذر اللغوي (هدى)، كذلك الاجتهاد في ردّ بعض الاستعمالات اللغوية للملمح المحدّد.**

[٢] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (هـ د ى): ٢٥٣٣/٦. ونقله ابن الأثير (ت:٦٠٦هـ)– بلا عزو– في: النهاية في غريب الحديث والأثر(هـ د ا): ٢٥٣/٥.

[٣] مفردات ألفاظ القرآن، الرَّاغب الأصفهاني (هـ د ى): ص٨٣٥.

[٤] التفسير البسيط: ٥١٨/١.

[٥] مقاييس اللغة، ابن فارس (هـ د ى): ٤٢/٦.

[٦] السابق نفسه: ٤٣/٦.

الْبَابِ الْهَدِيُّ: الْعَرُوسُ، وَقَدْ هُدِيَتْ إِلَى بَعْلِهَا هِدَاءً"[١]. أي: زُفَّتْ، ومعنى التقدُّم واضح. وقال:" والهَدْيُ والهَدِيُّ: مَا أُهْدِيَ مِنَ النَّعَمِ إِلَى الحَرَمِ قُرْبَةً إلى اللَّهِ تَعالى"[٢]، أي : قُدِّم.

فممَّا سبق يتبيَّن أنَّ الجذر اللغوي (هدى) تدور استعمالاته حول معنى واحد، قال الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ):" ولم يذكر أَهل اللغة فيها– يقصد الهداية– إلاَّ أَنَّها بمعنى الإرشاد"[٣].

وقال الدكتور محمد حسن جبل (ت: ١٤٣٦هـ):" المعنى المحوري تبيّن الوجهة أو تبيينها بالتقدم أو الكشف. كما تتبين الوجهة من اتجاه أعناق الخيل، والشاء في مُقَدَّم أبدانها ومن اتجاه أوائل الخيل والإبل من بينها وكذا أوائل الوحش، والنصل من السهم. وضوء النهار يكشف الوجهة"[٤].

ولعل ملمح « الإرشاد المسبوق بتقدُّم أو تعريف فيه لطف» ملمح أساسي في الاستعمالات اللغوية لهذا الجذر

ومن تلك الاستعمالات:

- قَوْلُهُمْ: هَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ هِدَايَةً، أَيْ **تَقَدَّمْتُهُ لِأُرْشِدَهُ**. وَكُلُّ مُتَقَدِّمٍ لِذَلِكَ هَادٍ"[٥]. إرشاد مسبوق بتقدُّم فيه لُطْف.
- و" هَدَيْتُهُ الطريق والبيتَ هِدايَةً، أي: عرَّفته هذه لغة أهل الحجاز، وغيرهم يقول: هَدَيْتُهُ إلى الطريق وإلى الدار، حكاها الأخفش"[٦].

---

[١] مقاييس اللغة، ابن فارس (هـ د ى): ٤٣/٦.

[٢] السابق نفسه.

[٣] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:٣١٢/٥.

[٤] المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (هـ د ى): ص ٢٢٩٣.

[٥] مقاييس اللغة، ابن فارس (هـ د ى): ٤٢/٦.

[٦] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (هـ د ى): ٢٥٣٣/٦.

- قال الأعشى، وقد ذكَر عشاه، وأنَّ عصَاه تهديه: (المتقارب)

إذَا كَانَ هَادِي الْفَتَى فِي الْبِلَا دِ صَدْر الْقَنَاةِ أَطَاعَ الْأَمِيرَا"[١].

علَّق أبو منصور الأزهري (ت: ٣٧٠هـ) على هذا البيت فقال:" فقد يكون إنَّما سَمَّى العصا هاديًا؛ لأنَّه يُمسِكُها فهي تهديه، وقد يكون من الهداية؛ لأنها تدلُّه على الطريق"[٢]. وكلا المعنيين التقدُّم للإرشاد فيهما بيِّنٌ وواضح؛ ولذلك قال ابن فارس(ت: ٣٩٥هـ):" الْهَادِيَةُ: الْعَصَا، لِأَنَّهَا تَتَقَدَّمُ مُمْسِكَهَا كَأَنَّهَا تُرْشِدُهُ"[٣].

- و" هَدَاهُ الله للدِّين يَهْديه(هُدًى وهَدْيًا وهِدايةً وهِدْيَةً بكسرِهما): أي أرْشَدَه"[٤]. والهداية تكون مسبوقة بتعريف، قال الراغب الأصفهاني (ت: نحو: ٤٢٥هـ):" لمّا كانت الهِدَايَةُ والتّعليم يقتضيان شيئين: تعريفًا من المُعَرِّف، وتَعَرُّفًا من المُعَرَّف، وبهما يتمُّ الهداية والتّعليم.." [٥].
- و" اسْتَهْدَاه: طَلَبَ منه الهدايةَ. واسْتَهْدَى صديقَه: طَلَبَ منه الهِدَيَّة"[٦].
- والهادي في أسماء الله الحسنى معناه:" الذَي بَصَّر، عِبَادَه وعَرَّفَهُم طَريقَ مَعْرِفَتِه حتَّى أقّرُّوا بِرُبُوبيَّتِه، وهَدَى كُلَّ مَخْلُوق إلى ما لا بُدَّ لَهُ مِنْهُ فِي بقائِه وَدَوامِ وجودِه"[٧].
- و" الهادي: الدَّليل؛ لأنَّه يقُدُمُ القَومَ"[٨]. أي: يرشدهم إلى الطريق بتقدُّمه أولًا.

---

[١] ديوان الأعشى الكبير: ص٩٥.

[٢] تهذيب اللغة (هـ د ى): ٣٨٣/٦.

[٣] مقاييس اللغة، ابن فارس (هـ د ى): ٤٢/٦.

[٤] تاج العروس، الزَّبِيْدي: ٢٨٢/٤٠، ٢٨٣.

[٥] مفردات ألفاظ القرآن، الرَّاغب الأصفهاني (هـ د ى): ص٨٣٨.

[٦] تاج العروس، الزَّبِيْدي: ٢٩٦/٤٠.

[٧] النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (هـ د ا): ٢٥٣/٥.

[٨] المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (هـ د ى): ٣٧٣/٤.

- وقال الخليل بن أحمد(ت: ١٧٥هـ):" والهادي من كلِّ شيءٍ: **أَوَّلُهُ**. أقبلتْ هَوادي الخَيْل، أي: بَدَتْ أعناقُها. وقد هَدَتْ تَهْدي، لأنّها أوَّلُ الشَّيءِ من أجسادِها، وقد تكون الهَوادي أوّل رعيل يَطْلُع منها، لأنّها المُتَقَدِّمة"[١]. فمعنى الإرشاد المسبوق بتقدُّم واضح.
- قال أبو منصور الأزهري (ت: ٣٧٠هـ):" وَالْعرب تُسمِّي الإبلَ هَدِيًّا، ويَقُولُونَ: كم هَدِيُّ بني فلَان، أَي: كم إِبِلُهم، سُمِّيَتْ هَدِيّاً لِأَنَّهَا تُهدَى إِلَى الْبَيْت"[٢]. أي: تُقدَّم.

ثانيًا: الهدايات في الاصطلاح:

قد تعدَّدت تعريفات الهداية في الاصطلاح، وجميعها لا تبتعد عن المعنى اللغوي بل تدور في فلكه، ومنها:

تعريف الرَّاغب الأصفهاني (ت: نحو ٤٢٥هـ) وذلك قوله:" الهداية: هي الإرشاد إلى الخيرات قولًا وفعلًا..."[٣].

وعرَّفها الشريف الجرجاني (ت:٨١٦هـ) فقال:" الهداية: الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، وقد يقال: هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب"[٤].

وقال الطَّاهر ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ):" الهداية: الدلالة بِتَلَطُّفٍ؛ ولذلك خصَّت بالدِّلالة لما فيه خيرُ المَدْلُولِ؛ لأنَّ التَّلَطُّفَ يُنَاسِبُ مَنْ أُرِيدَ بِهِ الخَيْرُ..."[٥].

---

[١] العين (هـ د ى): ٧٨/٤.

[٢] تهذيب اللغة (هـ د ى): ٣٨٤/٦.

[٣] تفسير الراغب الأصفهاني: ٦٠/١.

[٤] التعريفات: ص٣١٩.

[٥] التحرير والتنوير: ١٨٧/١.

أمَّا عن تعريف الهدايات في الدراسة التأصيلة للمشروع العلمي الكبير: الموسوعة العالمية في الهدايات القرآنية[1]، فقد عرفت بأنَّها:" الدلالات المبينة لما في القرآن الكريم من إرشادات، توصِّل لكل خير، وتمنع عن كلِّ شرّ "[2].

ومما سبق يتبيَّن أنَّ هذه التعريفات –وإن تغايرت ألفاظها–، تدور في فلك المعنى اللغوي (= المحوري)، وتتلاقى معه من جهة جنس المعنى، وعمومه بلا شبهة، ويعدُّ ذلك من دقائق اللغة العربية، وأسرارها.

---

[1] هذا هو: المشروع العلمي العالمي الكبير الذي أطلقته جامعة أم القرى ممثَّلة في كرسي الهدايات القرآنية، والذي يؤسِّس لفنٍّ من فنون العلوم القرآنية التي تحتاجها الأمة، والذي من أهدافه:" جمع ما كتبه العلماء السابقون من هدايات قرآنية في جميع كلمات وآيات وسور القرآن، وإضافة هدايات قرآنية جديدة يتم استنباطها وفق منهجية علمية محكمة وقواعد وضوابط محددة، وربط هدايات القرآن بواقع الأمة للإسهام في نهضتها ومعالجة مشكلاتها وتحدياتها...، وفتح آفاق جديدة في التدبر والاستنباط لمعاني القرآن، ومقاصده". ينظر: الكتيب التعريفي بـ الموسوعة العالمية للهدايات القرآنية: ص٧، ٣١.

[2] الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية: ١/٤٤.

- **المطلب الثاني: الفرْقُ بين التَّفسير والهدايات والاستنباطات:**

إنَّ ألفاظ اللغة العربية مهما تقاربت وكان بينها علاقة قوية، وروابط وشيجة، إلَّا أنَّه من الثابت أنَّ كل لفظ من ألفاظها له ما يميّزه من ملامح وسماتٍ دلالية، ومن أهم الألفاظ، والمصطلحات التي تتقارب مع الهدايات: التفسير، والاستنباطات، وبيان الفرق بينها، على النحو الآتي:

أولًا: الفرق بين التفسير والهدايات:

إنَّ خلاصة ما يمكن قوله واعتماده في الفرق بين التفسير والهدايات، هو: ما جاء في الدراسة التأصيلة للهدايات القرآنية، وقد جاء فيها ما نصُّه:"

مع ما بين التفسير والهدايات من علاقة؛ إلَّا أنَّ بينهما تباينًا من وجوهٍ عدَّة، فمن ذلك:

* أنَّ التفسير يهتم بتوضيح وبيان المعاني في الغالب، كما هو منهج جميع المفسرين، بينما علم الهدايات يهتم بما تهدي وترشد وتدل عليه تلك المعاني، **فالتفسير بيان، والهدايات دلالات وإرشادات، يخلص إليها بعد معرفة معاني الآية.**

*أنَّ علم التفسير معتمده الأول في بيان القرآن الكريم تفسير القرآن بالقرآن، ثمَّ بالسنَّة، ثمَّ بِما أُثِرَ عن الصحابة والتابعين، ثم اللغة، ثم الرأي والاجتهاد، **بينما المعتمد عليه الأول في الوصول للهدايات القرآنية القريحة الذهنية، والرأي والاجتهاد والتدبُّر الذي يترتَّب على فهم المعنى.**

* أنَّ علم التفسير تظهر فيه قدرة المفسِّر وتميُّزه بمدى التزامه بأحسن طرق التفسير من تفسير القرآن بالقرآن، ثمَّ بالسنة، ثمَّ بأقوال الصحابة، ومن خلال قوته كذلك في التَّرجيح والاختيار، ونحو ذلك، **بينما علم الهدايات تظهر قدرة المفسِّر وتميُّزه، بقدر** ما يُوَّظف معاني الآية أو السورة أو الموضوع في دلالات وإرشادات ظاهرة وخفية من وراء المعنى المبين.

*أنَّ علم التفسير مقدِّمة لعلم الهدايات، من خلال شرح المفردات وبيان أسباب النزول، والنَّاسخ والمنسوخ وغيرها، وعلم الهدايات هو: خلاصة ما يريد أن يصل إليه العلماء– رحمهم الله–،

من خلال كلِّ الجهود المبذولة في فهم وخدمة القرآن الكريم، **فالتفسير وسيلة والهدايات ثمرة وغاية**...إلخ"[١].

وقال الدكتور: فخر الدِّين بن الزبير – حفظه الله–:" خلاصة العلاقة أنَّ علم التفسير تأصيل وعلمالهدايات تكميل"[٢]. وقال:" علم التفسير هو الأصل الذي يُبنى عليه علم الهدايات"[٣].

ثانيًا: الفرق بين الهدايات والاستنباطات:

جاء في الدراسة التأصيلة للهدايات القرآنية:" أنَّ بين الاستنباطات والهدايات عمومًا وخصوصًا، فالهدايات تتَّجه نحو توظيف المعاني الظاهرة، والخفية في الدلالات والإرشادات، خاصة وأنَّ منها ما لا يخفى على من له معرفة باللسان العربي، وله قدرة على الذوق والفهم، بينما اتجاه الاستنباط نحو المعاني الخفية، والدقيقة من وراء الكلمات، وتحتاج إلى مقومات ونظر.

* والاستنباط من العلوم المكملة لعلم الهدايات؛ لأنَّنا متعبدون بما دلَّ عليه القرآن بمنطوقه ومفهومه، وفق الضوابط التي وضعها العلماء، فعلم الهدايات يهتم بالهدايات الظاهرة والخفية ذات الآثار الإيمانية العملية، والاستنباط يهتم بالهدايات، والمعاني والنكت الخفية بصورة أوسع، وهما من حيث الممارسة والكتابة متداخلان؛ لأنَّهما من علوم التفسير، الذي موضوعه:" ألفاظ القرآن من حيث البحث عن معانيها وما يُستنبط منها"[٤]، فالعلاقة بينهما علاقة الجزء بالكل"[٥].

---

[١] الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية: ١/٥٤، ٥٥.

[٢] السيرة النبوية في ضوء علم الهدايات القرآنية (العهد المكي): ص٢٧.

[٣] السابق نفسه.

[٤] التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور:١/١٢.

[٥] ينظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية: ١/ ٥٧، ٥٨.

- **المطلب الثالث: مجالات الهدايات القرآنية:**

جاء في الدراسة التأصيلية للهدايات القرآنية أنَّ" المقصود بالمجال في هذه الدراسة هو: النَّواحي والميادين التي تدور حولها هدايات القرآن العظيم، وهي مجالات عديدة شاملة، ففي القرآن العظيم هداية الدنيا والآخرة، وهداية العقيدة والعمل، وهداية العبادة والمعاملة، وهداية الفرد والجماعة، وهداية الأسرة والمجتمع، وهداية الدولة والأمة، وهداية المؤمن والكافر، وهداية القوي والضعيف، وهداية الحائر والمهتدي، وهداية الذكر والأنثى، وهداية النفس والعقل والجسد، وغيرها.

وجميع هذه الهدايات يمكن حصرها في مطلبين – أو قسمين– هما:

١– المجالات المتفق عليها، وهي أربعة مجالات:

- المجال الأول: هدايات القرآن الكريم في مجال العقيدة، وتشمل جميع أركان الإيمان.
- المجال الثاني: هدايات القرآن الكريم في مجال العبادة، وتشمل جميع العبادات الظاهرة والباطنة.
- المجال الثالث: هدايات القرآن الكريم في مجال الأخلاق والأداب والتربية.
- المجال الرابع: هدايات القرآن الكريم في مجال المعاملات المالية والاجتماعية والقضائية والسياسية.

٢– المجالات المختلف فيها، وهي المجالات العلمية:

وهذا الموضوع يدرس في علم الإعجاز القرآني وهو يتنوَّع إلى أنواع كثيرة منها:

- الإعجاز العلمي في مجال العلوم الكونيَّة.
- ومجال علوم الأنفس..."[١].

---

[١] للوقوف على هذه المجالات بالتفصيل يُنظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، إعداد الفريق العلمي لكرسي الملك عبد الله للقرآن الكريم: ١/ ١٦٧ –٢٢٨.

- **المطلب الرابع: طُرقِ الوصول إلى الهدايات:**

قد اعتمد العلماء على العديد من الطُّرق في استنباط الهدايات القرآنية، هذه الطُرق قد حُدِّدت وذُكرت تفصيلًا في الدراسة التأصيلية للهدايات القرآنية، أذكرها إجمالًا، ثم أقترح إضافة طريقة يمكن إلحاقها بهذه الطرائق، بل جعل في بداية تلك الطرائق، أمَّا الطرائق المعتمدة فهي:

١- **الاعتماد على دلالات الألفاظ،** من خلال النَّظر في الحروف والمفردات والتراكيب.

٢- **الالتفات إلى تنوُّع الأساليب القرآنية،** من استفهام، وتوكيد، وتقديم.

٣- **النظر في اختلاف القراءات،** فاختلافها تنوع وإثراء، وليس تضادًا ومنافرة.

٤- **التَّأمُّل في مجموع أدلَّة الكتاب والسُّنة،** والموازنة بينها وبين النصِّ المراد.

٥- **الصدور من أصول الشَّريعة،** فهي تعين على ضبط الهداية وعدم شذوذها.

٦- **استحضار حكم التَّشريع وأسراره،** وتأمُّل الآيات من خلالها.

٧- **الاستفادة من أوجه الإعراب،** فلكلِّ إعراب دلالة معنويَّة تفيد هداية قرآنية.

٨- **فهم الآيات من خلال أحوال النُّزول،** أي أسبابه وزمانه وملابساته.

٩- **النَّظر في المناسبات بين الصُّور،** أو بين الآيات، أو بين بداية الآيات وختمها.

١٠- **التَّأمُّل في مواضع اقتران أسماء الله الحسنى،** ففيها جملة من الهدايات.

١١- **استنباط مقاصد القرآن،** فالمقاصد نفسها هدايات استنباطيَّة لكنَّها كليَّة.

١٢- **النَّظر في سياق السور والآيات،** وهو من أهمِّ مدارك الهدايات القرآنية.

١٣- **الاستفادة من آثار الصحابة والتَّابعين،** ففيها خزانة علمية للهدايات.

١٤- **التَّدبُّر في قراءة النَّبي- صلَّى الله عليه وسلَّم- للآيات في الصلوات والمناسبات.**

١٥- **النَّظر في دلائل الرَّسْمِ،** فقد استنبط العلماء فوائد دقيقة لطيفة بالرَّسم.

١٦- **ربط الآيات بالواقع،** وهو من مهمات العمل بالقرآن، وعلاجه للقضايا المعاصرة.

١٧- **تأمُّل الآيات من خلال مكتشفات العلوم الكونيَّة.....**"[1].

---

[1] هذه الطرق كلها مفصَّلة مصحوبة بالأمثلة الدَّالة عليها في: الدراسة التأصيلية للهدايات القرآنية: ٢/٥٠٤، وما بعدها، وينظر كذلك : السيرة النبوية في ضوء علم الهدايات القرآنية (العهد المكي)، د/ فخر الدِّين بن الزُّبير: ص ٣١-٣٧.

هذه هي الطُّرق التي جاء ذِكْرُها في الدراسة التأصيلية للهدايات القرآنية، أمَّا عن الطريقة التي أود إضافتها، فهي:

- **طريقة اعتماد الاشتقاق:**

يُعرف الاشتقاق اصطلاحًا بأنَّه:" أخْذُ صيغةٍ من أخرى مع اتفاقهما معنًى ومادةً أصلية، وهيئةَ تركيب لها؛ ليُدَلَّ بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفًا أو هيئةً؛ كضارب من ضرب"[(١)]، **على حدِّ قول جلال الدين السُّيوطي (ت:٩١١هـ)** نقلًا عن شرح التسهيل، وعرَّف أبو البقاء الكفوي (ت:١٠٩٤هـ) الاشتقاق، فقال:" وفي الاصطلاح: اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريفه حروف الأصل"[(٢)]، وقال الدكتور محمد حسن جبل (ت: ١٤٣٦هـ):" الاشتقاق هو استحداث كلمة، أخذًا من كلمة أخرى، للتعبير بها عن معنى جديد يناسب المعنى الحرفي للكلمة المأخوذ منها، أو عن معنى قالَبي جديد للمعنى الحرفي، مع التماثل بين الكلمتين في أحرفهما الأصلية، وترتيبهما فيهما"[(٣)]، و" يرتضي البحث التعريف الأخير، لأنَّه تعريف يتَّصِف بالدِّقة، والموضوعيَّة، والبعد عن العمومية، **ويتناسب مع الطبيعة العلمية والعملية لعملية الاشتقاق في اللغة، ويثبت ما للعقلية العربية من خصائص التفكير المنطقي العلمي**"[(٤)].

وإنَّ اعتماد طريقة الاشتقاق، أو الحيثية الاشتقاقية العلمية التي يأتي عليها اللفظ المشتق من الطرق الهامة في الوصول إلى الهدايات، وذلك أنَّ مجيء اللفظ على بناء ما دون غيره؛ فإنَّ ذلك يؤْذِنُ بدلالة خاصة، يمكن الوصول إليها من خلال إدراك طبيعة الاشتقاق لهذا اللفظ، ومعرفة البناء الذي ورد عليه.

وبالمثال يتَّضح المقال: في قوله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٨]. يلاحظ أنَّ« **سلالة**» التي جاءت على طريقة الاشتقاق من الجذر اللغوي (سلل) على

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها:٣٤٦/١.

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: ص١١٧.

(٣)علم الاشتقاق نظريًّا وتطبيقيًّا، د. محمد حسن حسن جبل: ص ١٠.

(٤) الألفاظ الدالة على الخروج والدخول في القرآن الكريم، دراسة في البنية والدلالة، رمضان خيري: ص٤١.

زنة فُعالة، وهذا بناء **يدلُّ** على القِلَّة، قال الزَّمَخْشَري (ت: ٥٣٨هـ): و« فعالة»: بناء للقلة.."[١]، وإنَّ مجيء لفظ « **سلالة**» على هذا البناء دون غيره، يشير إلى أنَّه يحمل من المعاني ما لا يدلُّ عليها بناء غيره، ومنها: أنَّ سلالة كونها بناء للقلة، فإنَّ ذلك يدلُّ على أنَّ ما استُلَّ من الماء المهين قليل، وأنَّ تلك القلَّة المُستلَّة كونها قليلة فهي خالصة حسنة، إذ تمثِّل الخلاصة، والصفوة التي يكون منها الأبناء والذرية. قال الطَّبْرَسي (ت: ٥٤٨هـ): السلالة: صفوة الشيء **التي يخرج** منها كالسلافة..."[٢].

فالذي أريد أنْ أثبته هنا حتى يتَّضح الفرق بين هذه الطريقة، وطريقة اعتماد دلالات الألفاظ[٣]، أنَّ معرفة طبيعة الاشتقاق وحيثيته القياسية العلمية أساس سابق يُبنى عليه معرفة معاني الألفاظ ومدلولاتها التي يمكن توظيفها في الهدايات، فعلى المستنبط للهدايات أن يدرك الأبنية التي يأتي عليها الجذر اللغوي عن طريق الاشتقاق، فيعرف مثلا: أبنية القلّة وما تحمله من دلالات وظيفية، وكذلك أبنية الجمع، بل يُدرك جميع الأبنية التي تأتي عليها المشتقات المنبسلة عن جذر ما، وقد قال الفخر الرَّازي (ت: ٦٠٤هـ):" اعلم أنَّ أكمل الطرق في تعريف مدلولات الألفاظ هو طريقة الاشتقاق"[٤]، أي الاشتقاق أولًا ثم على أساسه يكون معرفة دلالات الألفاظ، ومن ضلَّ عن فهمه، وفهم الحيثية القياسية التي يُبنى عليها فقد غاب عنه فهم اللغة العربية، قال الأستاذ محمود محمد شاكر – رحمه الله–: " وإذا ضلَّ عن تبين الاشتقاق والتصريف، فقد ضلَّ عن العربية كلها، لأنَّها لم تُبْن إلا عليهما"[٥].

---

[١] الكشاف: ٢٢١/٤.

[٢] مجمع البيان فى تفسير القرآن: ١٣١/٧.

[٣] هي أول الطرق التي اعتمدها الفريق العلمي في الوصول إلى الهدايات، ينظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، إعداد الفريق العلمي لكرسي الملك عبد الله للقرآن الكريم: ٥٠٥/٢.

[٤] التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ٢١/١.

[٥] جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر، د.عادل سلمان جمال: ص٢٦٢.

ولا يقتصر أمر الاشتقاق عند مجرد الوصول إلى الهدايات بل يعينُ على ترجيح معنى على آخر، ولهذا الترجيح أثره، ومن الأمثلة التي توضِّح ذلك: قول الخالق عزَّ وعلا: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن : ١٤]. فلفظ: ﴿ صَلْصَالٍ﴾ - وهو مرحلة من مراحل خلقِ آدم عليه السلام- قد اخْتُلِف في **اشتقاقِه** فقيل:" هو من صلّ: إذا أَنْتَنَ، فهي إشارة إلى الحَمْأَةِ، وقال الجمهور: هو من صَلَّ: إذَا صَوَّتَ[١]، ورأي الجمهور أحجى وأوثق؛ لأنَّ الفخار ليسَ بمنتن، وعلى هذا يمكن القول: إنَّ الاشتقاق يعدُّ طريقًا موصلًا لترجيح معنى على آخر، وكذلك يترتب على هذا الترجيح هداية من هدايات تلك الآية العظيمة، وهي: أنَّ خلْقَ آدم- عليه السلام- كان من الطِّين الحُرِّ[٢]، وقد تنبَّه إلى ذلك غير واحد من أئمة التفسير مثل: أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، قال:" كان من جيد الطين وحُرِّه"[٣]، وكذلك عبد الرحمن ابن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ) قال:" وذلك في الطين لجودته، **فهي إشارة إلى ما كان في تربة آدم من الطين الحُرِّ وذلك أَنَّ الله تعالى خلقه من طين مختلِفٍ**، فمرَّةً ذكر في خلقه هذا، ومرَّةً هذا، وكُلُّ ما في القرآن صفاتٌ ترددتْ على التراب الذي خُلِقَ منه"[٤]. ومما سبق يتبيَّن أهمية بل أولوية اعتماد طريقة الاشتقاق والأخذ به في الوصول إلى الهدايات، -والله أعلم بالصواب-.

وإذا كانت هذه الطرق يُعتمد عليها في الوصول إلى الهدايات، فأرى أنَّ هناك أسبابًا لا بد أن يبذلها من يجتهد في فهم معاني القرآن الكريم، واستنباط هداياته، وأول تلك الأسباب: الإخلاص لله رب العالمين، والعمل بما يُعْلم، والورع، والإكثار من الطاعات، وترك الذنوب..، وغير ذلك من الأسباب، على نحو ما ذَكَر بدر الدين الزَّركشي (ت: ٧٩٤هـ)، وذلك قوله:" واعلَمْ أَنَّهُ لا يَحْصُل للنَّاظر فَهْمُ معاني الوحي حقيقةً، ولا يظهرُ له أسرارُ من غيب المعرفة، وفي قلبِهِ بِدْعَةٌ أو إصرار على ذنْبٍ، أو في قلبه كِبْرٌ أو هوًى، أو حبِّ الدنيا، أو يكون غير متحقِّق الإيمان، أو ضعيفُ

---

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرجمن ابن مخلوف الثعالبي:٣٤٩/٥.

(٢) الطين الحرُّ: الذي خَلَصَ من الرملِ والحَمْأَةِ والعيوب، يُنظر: التفسير البسيط، الواحدي: ١٩٣/٥، وينظر: المطلع على ألفاظ المقنع، أبو عبد الله البعلي: ١٤٨/١.

(٣) تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، أبو منصور الماتريدي: ٤٦٧/٩.

(٤) الجواهر الحسان في تفسير القرآن:٣٤٩/٥.

التَّحقيق، أو معتمدًا على قولِ مُفسِّر ليس عنده إلا علم بظاهر، أو يكون راجعًا إلى معقوله؛ وهذه كلُّها حُجُبٌ وموانع، وبعضُها آكدُ مِنْ بعْضٍ"[1].

وما أجمل قول الشافعي –رحمه الله–: **(الوافر)**

شَكَوْتُ إلي وَكيعِ سُوْءَ حِفْظِي فَأَرْشَدَنِي إلى تَرْكِ الْمَعَاصِي

وأَخْبَرَنـــي بأنَّ العِــلمَ نُــورٌ ونورُ الله لا يُهْـــدَي لعَاصِي[2].

وقال ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ):" قد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه وكلامه وإقدامه وكتابه أمرًا عجيبًا. فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر"[3]، ولا إشكال في تلك الموهبة، لأنَّ ابن تيمية – رحمه الله– قد بذلك الأسباب الموجبة لها. قال جلال الدين السُّيوطي (ت: ٩١١هـ):" ولعلك تستشكل علم الموهبة، وتقول: هذا شيء ليس من قدرة الإنسان، وليس كما ظننت من الإشكال، والطريق في تحصيله: ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد"[4].– والله الهادي إلى الصواب–.

---

(1) البرهان في علوم القرآن: ٢/١٨٠، ١٨١.

(2) ديوان الشافعي: ص٨٨.

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب: ص٧٧.

(4) الإتقان في علوم القرآن:٤/١٨٨.

- **الفصل الأول:**

مراحل خلق الإنسان الأول آدم–عليه السلام– وزوجه في القرآن الكريم، وفيه ثمانية مباحث:

- المبحث الأول: مرحلة الخلق مِنْ تُرَاب.
- المبحث الثاني: مرحلة الخلق من الماء.
- المبحث الثالث: مرحلة الخلق من طين.
- المبحث الرابع: مرحلة الخلق من الطين اللازب.
- المبحث الخامس: الخَلْقُ من حمأ مسنون.
- المبحث السادس: مرحلة الخلق من الصلصال.
- المبحث السابع: مرحلة التسوية ونفخ الروح (= مرحلة التشريف والمَكْرُمة).
- المبحث الثامن: مرحلة خلقُ أُمِّنَا حوَّاء من آدم– عليهما السلام–.

- **توطئة: بصائرٌ في آدم- عليه السلام-:**

١-من جهة الاشتقاق:

قد جاء اسم آدم على طريقة الاشتقاق من الجذر اللغوي (أ د م) الذي تدور استعمالاته اللغوية حول معنى الموافقة والملائمة، قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ):" الهمزة والدَّال والميم أصلٌ واحدٌ، وهو الموافقَةُ والمُلائمة"(١)، ومن الاستعمالات التي يتحقَّق فيها هذا المعنى: أديمُ كُلِّ شيءٍ: ظاهرُ جلدِه"(٢). وقولهم:" جعلتُ فلانًا أدمة أهلي أي أُسْوَتهم، وهو صحيح؛ لأنَّه إن فعل ذلك فقد وفَّق بينهم"(٣)، و" أديم الأرض وأدَمَتُها: وجْهُها"(٤)، و" لذلك سُمِّي آدم عليه السلام؛ لأنَّه أُخِذَ من أدَمَة الأرض"(٥)، ولا يخفى ما بهذا القول من تلاقٍ بينه وبين المعنى اللغوي (= المحوري) للجذر اللغوي، وقيل: بل من أُدْمَةٍ- سُمرة- جُعلت فيه"(٦). والقول الأول:" وجيه له سند، ويمكن أن يكون سُمِّي كذلك لأنَّه التَأمَ وصار بشرًا سويًّا بنفخ روح الله فيه حتَّى صار البدن غلافًا لأَنْفَسِ محتوى﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [الحجر: ٢٩]، وبالعقل الذي زوَّده به الباري عز وجلَّ، وميَّزه على سائر الحيوانات، وبعبارة أخرى فإنَّه وعاءٌ مكرَّمٌ يَضُم في أثنائه رُوحًا وعقلًا تكوَّنا بنفخة الله عزَّ وجل، وبهما تميَّز عن سائر أحياء الأرض..."(٧).

---

(١) مقاييس اللغة (أ د م): ٧١/١.

(٢) العين، الخليل بن أحمد (أ د م): ٨٨/٨.

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس (أ د م): ٧٢/١.

(٤) السابق نفسه.

(٥) السابق نفسه.

(٦) العين، الخليل بن أحمد (أ د م): ٨٨/٨

(٧) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د/ محمد حسن جبل (أ د م): ص ٦٧٨، ٦٧٩.

٢-من جهة التصريف:

قال الجوهري (ت: ٣٩٣هـ):" وآدَمُ عليه السلام: أبو البشر، وأصله بهمزتين، لأنه أَفْعَل، إلا أنَّهم لَيَّنُوا الثانية، فإذا احتجت إلى تحريكها جعلتها واوًا وقلت أَوَادِمُ في الجمع، لأنَّه ليس لها أصل في الياء معروف، فجعلتَ الغالب عليها الواو، عن الأخفش"[١].

٣-من جهة أسمائه -عليه السلام-:

قال الفيروزآبادي (ت: ٨١٦هـ):" له أَسماءٌ خمسة: الإنسان، والبشرُ، وأَبُو البَشَرِ، وآدَمُ، والخَلِيفَةُ...."[٢]، **فالإنسان** فلقوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسان:١]، **والبشر** لقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ﴾ [ص:٧١]، **وآدم** فالآيات الواردة في التصريح باسمه كثيرة منها قوله سبحانه:﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾ [البقرة:٣٧]. أمَّا **الخليفة** فلقوله تعالى:﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ [البقرة:٣٠].

٤-من جهة: ما جلَّل الله -عزَّ وعلا- به آدم-عليه السلام- من أنوار التَّخصيص:

بيَّن الله -تباك وتعالى- في كتابه العزيز ما جلَّل به آدم – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- من أنوار التخصيص والاصطفاء، فقال- سبحانه-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٢٣]، وآيات هذا الاصطفاء والتخصيص كثيرة:

أحدها: نَفْخُ فيه سبحانه من روحه نفخة مباشرة، قال الله – تبارك وتعالى- ﴿ **وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي** ﴾ [الحجر: ٢٩].

---

[١] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (أ د م): ١٨٥٩/٥.

[٢] بصائر ذوي التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي: ٢٢/٦.

ثانيها: أنَّ الخالق الذي أحاط بكلِّ شيء علمًا، قد علَّمه ما لم يَعْلَمه الملائكة المقربون، قال سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١].

ثالثها: أسْجَدَ الله – سبحانه – له ملائكته، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤].

رابعها: أنَّ الكريم– سبحانه – ذي المجد والنِّعم قد أسكنه وزوجه الجنة، قال تبارك وتعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة: ٣٥].

خامسها: أنَّ الله – عزَّ وجل– جعله أول خليفة في الأرض من البشر ، قال تعالى﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

سادسها: أنَّ الله– تبارك وتعالى– " جعله أول الأنبياء...، وجَعَلَ مِنْ نسْلِهِ الأَنْبِياء والمُرْسلين والأَولياء، والصِّدِّيقين"[١].

وغير ذلك من أنوار التخصيص التي لا تصلُ إليها عقول الخلق وأفهامهم.

أمَّا عن مراحل خَلْقِهِ – عليه السلام– ، والآيات المبيّنة لتلك المراحل وما فيها من هدَايات لا حصْرَ لها، فأقول طالبًا من الله توفيقه وهداه، ومُتَّكِلًا عليه لا على أحد سواه:

---

[١] بصائر ذوي التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي: ٢٥/٦.

- المبحث الأول: مرحلة الخَلْقُ مِنْ تُرَاب:

قد أبان الخالق- عزَّ وعلا- لكلِّ ذي نظرٍ وبصر أنَّ بدْءَ خلْقِ آدم – عليه السلام- من تراب، فـ:

* قال سبحانه :﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران:٥٩].

- **المعنى الإجمالى للآية:**

في هذه الآية الكريمة يردُّ الله – تبارك وتعالى- على الوفْدِ من نصارى نَجْران الذين حاجُّوا رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم-، في سيدنا عيسى – عليه السلام- وقالوا فيه: إنَّ الله اتخذه ولدًا، فكان البيان الإلهي الذي لا جدال فيه: أنَّ عيسى كآدم، فإذا كان خَلْقُ آدم من ترابٍ ثمَّ القول له: كنْ فكان من غير أب ولا أمّ، فلا عجب ولا إنكار لخَلْقِ عيسى من أمِّه بغير أب؛ لأنَّ الشأن أن يقول سبحانه: كُنْ فيكون.

والتُّراب معروف كما قال أكثر اللغويين، وقيل: هو" مَا نَعُمَ مِنْ أَدِيمِ الأَرْضِ، والجمع: أَتْرِبَةٌ وتِرْبَان"[١].

- **المناسبات:**

لمَّا ذكَرَ الله –تباك وتعالى- في الآيات التي قبل هذه الآية مكانة سيدنا عيسى –عليه الله-، ومنزلته، جاءت هذه الآية في تقرير بشرية سيدنا عيسى – عليه السلام- وتكذيب النصارى في ادِّعائهم بنوَّته، وأنَّه خُلق من غير أبٍ، كما خُلق آدم- عليه السلام- من غير أب وأم. وقال البقاعي (ت: ٨٨٥هـ):" أتبع ما تقدَّم من تفصيل الآيات البينات قوله منبهًا على عظمة هذه الآيات الشاهدات الآتي بها صلى الله عليه وسلم بأوضح الصدق بإعجازها في نظمها وفي العلم بمضامينها

---

[١] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة: ص٨٣.

من غير معلمٍ من البشر.... ثم أكَّد ظلمهم وصور حكمته بمثل هذا الفرقان في أمر عيسى عليه الصلاة والسلام الكاشف لما في ذلك مما ألبس عليهم..."[١].

- **الهدايات:**

- في الآية دلالة على صحَّة النظر والاستدلال، وبيان ذلك أنَّه إذا كان أصل خَلْقِ أبيْنَا آدم- عليه السلام- من ترابٍ مِنْ غيرِ أبٍ أو أمّ؛ فليس بمستغرب خَلْقُ عيسى -عليه السلام- من غير أمٍ " لأنَّ الوجود مِنْ غيرِ أبٍ وأمٍ أغرب، وأخرق للعادة من الوجود بغير أب"[٢].
- **وفيها:** تشبيه الغريب، وهو: خلْقُ سيدنا عيسى- عليه السلام-، بالأغرب، وهو: خلقُ أبينا آدم- عليه السلام-؛ " ليكون أقطع للخصم، وأوقع في النفس"[٣].
- **وفيها:** إظهارٌ لقدرة الله عزَّ وجلَّ في الخلق، وأنَّه سبحانه قادر مقتدر لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء.
- **وفيها:** بيان لفساد عقول المعاندين من النصارى، وإبطال تصوراتهم الزَّائفة حول ألوهية سيدنا عيسى، إذ من الأوْلى القول بألوهية أبينا آدم الذي كان خَلقُه أكثر إغرابًا وإعجازًا من خلق سيدنا عيسى، وكلا الخَلْقين مُعجز. قد تحقَّقَ إيجادهما وفْقَ إرادة الله ومشيئته.
- **وفيها:** أنَّ لفظ **(المَثَل)** معناه الشَّبه، وقد جيء بهذا اللفظ لـ:" بيان أنَّ سبيلَ الثاني سبيلُ الأول. فالله تعالى قد ذكر في القرآن قصَّةَ آدَمَ، وإنشاءه إيَّاه من غير والدٍ، ثم دلَّ في هذه الآية على أنَّ سبيلَ الثاني وهو عيسى، في إنشائِه، وخَلْقِهِ من غير ذَكَرٍ سبيلُ الأول، وهو آدَم"[٤].
- **وفيها: أنَّ قوله سبحانه:﴿ خَلَقَهُۥ﴾**، الضمير فيه" لآدم لا لعيسى؛ إذ قد عَلِم الكلُّ أن عيسى لم يُخلق من تُراب، فمحل التشبيه **قوله** « **ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ** »"[٥].

---

(١) نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور: ٤/٤٢٤، ٤٢٥.

(٢) الكشَّاف، الزَّمخْشَري: ١/٥٦٣.

(٣) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: ٣/٤٢٦.

(٤) التفسير البسيط، الواحدي: ٥/٣١٢.

(٥) التحرير والتنوير: ٣/٢٦٣.

- **وفيها:** أنَّ استعمال لفظ « الخَلْقِ » دون غيره من الألفاظ التي تترادف معه، أمرٌ له دلالته، إذ يختصُّ هذا اللفظ بالدلالة على:" الإيجاد على وفق تقدير سابق"[١]، وقد عبَّر أئمة اللغة والتفسير عن ذلك، ومنهم: الزَّمخشري (ت:٥٣٨هـ) قال:" الخلقُ: إيجاد الشيء على تقدير واستواء"[٢]، وأبو الفرج ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ):" الخَلقُ: إيجاد على تقدير وترتيب"[٣]. قال أستاذي الدكتور عبد الكريم جبل:" والأوفق من ذلك، على الأقل في تفسير الاستعمال القرآني للفظ «الخَلْقِ» مسندًا إليه سبحانه، هو أن نقول إنَّ خَلْق الشيء هو تهيئته ليكون شيئًا ما، ثمَّ إمضاء ذلك"[٤]، وما أجود قول أبي حاتم الرازي (ت:٣٢٢هـ) في ذلك إذ يقول:" وإنَّما سَمَّى نفسه – عزَّ وجل– خالقًا؛ لأنَّه قدَّر الأشياء كلها ثمَّ أمضاها"[٥].
- **قوله سبحانه:** ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ ليس بصلةٍ لآدم، ولا صفة، ولكنَّه خبرٌ مستأنفٌ على جهة التفسير بحال آدم"[٦]. ومثل ذلك قوله سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ [المائدة: ٩] فـ: الجملة الثانية تفسير للوعد، ومن ذلك أيضًا قوله عز وجلَّ: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ [النساء: ١١] فـ: الجملة الثانية تفسير للوصية..."[٧].
- **قوله– تعالى–** :﴿ مِن تُرَابٍ ﴾ فيه لطيفة، قال الفخر الرَّازي (ت:٦٠٤هـ):" الحكماء قالوا: إنَّما خُلِقَ آدم– عليه السلام– من تراب لوجوه: الأول: ليكون متواضعًا، الثاني: ليكون ستارًا، الثالث: ليكون أشد التصاقًا بالأرض. وذلك لأنه إنما خلق لخلافة أهل الأرض. قال تعالى:﴿ إِنِّي جَاعِلٌ

---

(١) مجال الخلق في القرآن الكريم، دراسة في الفروق الدلالية، د/ عبد الكريم جبل: ص١٧٣.

(٢) الكشَّاف: ٢١٢/١.

(٣) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ص٢٨٣.

(٤) مجال الخلق في القرآن الكريم، دراسة في الفروق الدلالية، د/ عبد الكريم جبل: ص١٢٣.

(٥) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: ٥٣/٢.

(٦) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرازي: ٨٣/٨.

(٧) ينظر: التفسير الوسيط، الواحدي: ٣٦٥/١٢.

فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة:٣٠]، الرابع: أراد الحق إظهار القدرة فخلق الشياطين من النار التي هي أضوأ الأجرام وابتلاهم بظلمات الضلالة، وخلق آدم من التراب الذي هو أكثف الأجرام ثم أعطاه المحبة والمعرفة والنور والهداية...، الخامس: خلق الإنسان من تراب ليكون مطفئا لنار الشهوة والغضب..."[١].

- **قوله سبحانه:﴿ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾** فيه **هدايتان:**

الأولى: قوله سبحانه:﴿كُن﴾ ، فيه دلالة على" سرعة نفاذ قدرة الله في تكوين الأشياء، وأنه تعالى يخلق الأشياء لا بفكرة ومعاناة وتجربة"[٢]، وقال الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)" تعبير عن تعلُّق القُدرة بتكْوينه ليعلم السامعون أنَّ التكوين ليس بصنعِ يدٍ، ولا نَحْتٍ بآلة، ولكنَّه بإرادةٍ، وتعلُّقِ قُدْرةٍ، وتسخيرِ الكائناتِ التي لها أثر في تكوينِ المُراد، حتَّى تلتَئِمَ وتنْدَفِعَ إلى إظهارِ المُكوَّنِ، وكلُّ ذلك عنْ توجُّه الإرادةِ بالتَّنجيْزِ، فبتلك الكلمة كان آدمُ أيضًا كلمةً من الله، ولكنه لم يُوصَف بذلك؛ لأنَّه لم يقع احتياج إلى ذلك لِفوات زَمانِه"[٣].

الثانية: قوله تعالى:﴿ فَيَكُونُ ﴾، أي: فكان، قال أبو القاسم ابن جُزَيّ الكلبيُّ(ت:٧٤١هـ):" وضَع المضارع موضع الماضي؛ ليصوِّر في نفوس المخاطبين أنَّ الأمر كأنَّه حاضرٌ دائم"[٤]، وقال الطَّاهر بن عاشور(ت:١٣٩٣هـ):" لَمْ يقل فَكَانَ؛ لاستحضار صُورَةَ تَكَوُّنِهِ، ولا يُحْمَل المُضَارِعُ في مِثْل هذا إلَّا علَى هذا المَعْنَى"[٥]، ومقصد ابن عاشور بصورة تكوُّنه، أي: حال التَّكوُّن.

- **وفي الآية أيضًا:** حجة على من أنكر القياس؛ لأنَّ الله تعالى احتجَّ فيها على المشركين، ولا يجوز أن يدلَّهم إلَّا بما فيه دليلٌ. فقياس خَلْق عيسى من غيرِ ذَكَرٍ، كقياس خَلْقِ آدم، بل الشأن

---

(١) التفسير الوسيط، الواحدي: ٣٦٥/١٢.

(٢) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر ابن عادل الدمشقي: ٤٣١/٢.

(٣) التحرير والتنوير: ٢٦٣/٣، ٢٦٤.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ٥٤٨/١.

(٥) التحرير والتنوير: ٢٦٤/٣.

فيه أعجب؛ لأنَّه خُلِق من غير ذَكَر ولا أنثى"[1]. وقال جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ):" فيه استعمال قياس الأَوْلى في المناظرة؛ لأنَّ عيسى إنْ كان خلق بلا أب، فآدم لا أب له، ولا أم"[2].

- **وفيها:** أنَّ أبانا آدم، وسيدنا عيسى- عليهما السلام- إنْ كانا قد بلغا الدرجات العالية، والمكانة العظيمة عند ربهم – جلَّ وعلا-؛ إلا أنَّ" نقْصَ الحدثان والمخلوقية لازمٌ لهما"[3]، وهذا يعني أنَّ المخلوق لا يكون إلهًا، ولا يملك أن يكون كذلك؛ لأنَّ هذا المخلوق إنسان ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨]، كما يدلُّ على ذلك مبدأ خَلْقِه، قال- سبحانه-: ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾.
- ومن الهدايات التي يمكن دخولها في مجال العقيدة، ما أشار إليه القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، وذلك قوله:" وتلخيص المعتقد في هذه الآية: أن الله عَزَّ وجلَّ لم يَزَلْ آمِرًا للمعدومات بشرط وجودها، قادرًا مع تأخُّر المقدُورات، عالمًا مع تأخُّر المعلومات. فكلُّ ما في الآية يقتضي الاستقبال، فهو بحسب المأمورات؛ إذ المحدَثَاتُ تَجيء بعد أن لم تكن. وكلُّ ما يُسنَد إلى الله تعالى من قدرةٍ وعلمٍ، فهو قديم لم يَزَلْ. ولمعنى الذي تَقتضيه عبارة « كُنْ؛ هو قديمٌ قائم بالذات"[4].

وإنَّ من يُطيل النَّظر، ويُعمل العقل في هذه الآية العظيمة يستنبطُ ما لا يُحدُّ من الهدايات، ولا غرو في ذلك، فهذا كلام الله-جلَّ وعلا- الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تتناهى هداياته.

---

(1) التفسير البسيط، الواحدي: ٣١٣/٥

(2) الإكليل في استنباط التنزيل: ص٦٩.

(3) لطائف الإشارات (= تفسير القشيري)، أبو القاسم القشيري: ١٥٠/١.

(4) الجامع لأحكام القرآن: ٣٤٠/٢.

- المبحث الثاني: مَرحلةُ الخَلْقِ مِنَ الماء:

هذه المرحلة الأمر فيها مشتبه يحتاج إلى بيان؛ وذلك من جهة القول: إنَّ أصلَّ خلْقِ كلّ حيٍّ من الماء على ما نطق به القرآن المبين:﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. وقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥]، وإذا كان كذلك فالإنسان الأول آدم – عليه السلام– يكون مخلوقًا من ماء، وإذا كان كذلك أصل الخلق فلماذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] ، وقال سبحانه ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٧] ؟، وإن كان الأصل من كلٍّ منهما– الماء والطين الذي أصله التراب– فلم لم يقل : خلقكم منهما؟، وما هي تعبيرات المفسرين عن تلك المرحلة من خلقِ آدم –عليه السلام–؟ كل هذه الأسئلة يكون الجواب عنها– إن شاء الله– **في الهدايات** التي يتم استنباطها من الآية الأولى– التزامًا بالمنهج المقرَّر للكتاب– من الآيات الآتية:

* **قوله تعالى:** ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء :٣٠].

* **قوله تعالى:** ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥].

* **قوله تعالى:** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

- المعنى الإجمالي للآية الأولى:

إنَّ هذه الآية العظيمة وحدها معجزة من معجزات القرآن الكريم، لأنَّ جمعت هدايات لا حصر لها– تأتي لاحقًا–، وأسرارًا عظيمًا وعلومًا كثيرة قد اكتشف العلماء بعضها مؤخَّرًا، وغاب عن أفهامهم وعقولهم الكثير، وفيها أيضًا حججٌ قاطعة تُلقم الجاحدين الكافرين بوحدانية الله– عزَّ وعلا– حجرًا. فيقول تعالى" مُنبِّهًا على قُدرته التَّامة، وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء، وقهْرِه لجميع

المخلوقات، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: الجاحدون لإلهيته العابدون معه غيره، ألم يعلموا أنَّ الله هو المُسْتَقِلُّ بالخلق، المستبد بالتدبير، فكيف يليق أن يعبده غيره أو يُشرَك به ما سواه[1].

والمراد بقوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾: أي: كانتا ملتحمتين وملتصقتين، قال ابن عطية (ت: ٥٤٦هـ):" و« الرتق» الملتصق بعضه ببعض المبهم الذي لا صدع فيه ولا فتح"[2].

وقوله تعالى: ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾: أي: شققناهما وفصلنا بينهما، والفتقُ ضدُّ الرَّتق. ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ قال قتادة: كلُّ شيء حيٍّ خُلِقَ من الماء"[3].

أمَّا قوله:﴿ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، فمعناه:" أفلا يصدِّقون بذلك، ويقرُّون بألوهة من فعل ذلك ويُفْردونه بالعبادة!"[4]، وقال الفخر الرَّازي (ت:٦٠٤هـ):" فالمراد أفلا يؤمنون بأن يتدبروا هذه الأدلة فيعلموا بها الخالق الذي لا يشبه غيره، ويتركوا طريقة الشرك"[5].

- **المناسبات:**

لمَّا حكى الله- سبحانه وتعالى- في الآيات السابقة" مقالات أولئك المشركين الذين كانوا يعبدون آلهةً من دون الله، ومقالات أولئك الذين قالوا: اتخذ الله ولدًا من الملائكة، وطالبهم بالدليل على صدق ما يدَّعون، وبين لهم أنه لا سبيل إلى إثبات ذلك، لا من طريق العقل كما هو واضح، ولا من طريق النقل، إذ كل الرسل السابقين كان أس دعوتهم ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ .. **أردف ذلك بتوبيخهم على عدم تدبرهم الآيات المنصوبة في الكون الدالة على التوحيد، ولفت أنظارهم**

---

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء ابن كثير: ٣٣٨/٥، ٣٣٣٩.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: ٧٩/٤.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري: ٢٦٠/١٦.

(٤) السابق نفسه.

(٥) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير): ١٦٤/٢٢.

إلى أنه لا ينبغي عبادة الأصنام، والأوثان، فإن الإله القادر على مثل هذه المخلوقات، لا يعبد سواه من حجر أو شجر لا يضر ولا ينفع"[1].

- **الهدايات:**
- هذه الآية العظيمة بحرٌ نظرٍ وفكرة لا تكاد تُحصى وتتناهَى وجوه الإعجاز فيها، قال عنها الطَّاهر ابن عاشور(ت:١٣٩٣هـ):" **الآية... من معجزات القرآن العلمية**"[2]، وقال الدكتور محمد راتب النَّابلسي: هذه الآيةُ لا تتَّسِعُ المجلداتُ لتفسيرها"[3]. **وسأحاول استنباط بعض هدايات هذه الآية المباركة التي منها:** أنَّها حجَّةٌ كافيةٌ هاديةٌ لا تحتاج إلى حجَّة تتلوها للدلالة القاطعة على وحدانية الله- تبارك وتعالى- الخالق القوي، وآثار قدرته، وبديع صنعه، وكمال حكمته فى خَلْقِ السموات والأرض.
- **وفي الآية من الهدايات:** ذلك الترتيب العجيب في فتْقِ السموات، وفتق الأرض بعد أن كانتًا رَتقًا- كما تدلُّ عليه ظاهر الآية-، إذ في ذلك الترتيب ما لا يُحصى من المنافع، والمصالح لكلِّ الخَلْقِ، فالسموات والأرض بعد فتقهما كما قال سبحانه- ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ صارتًا ميسَّرتان للحياة فيهما، ففى السموات الملائكة المكرمين، يسَّر الله لهم فيها سبل الحياة بما يتناسب مع طبيعة خَلْقِهم المُكرَّم. أمَّا في الأرض؛ فقد يسَّر الله- تبارك وتعالى – لساكنيها الحياة، وسُبل العيش، وإنَّ الأساس لتحقُّقهما وجود الماء، كما قال سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾.
- **وفيها:** دلالة على أنَّ الماء من أفضل، وأغلى، وأهم ما امتنَّ الله – تبارك وتعالى- به على جميع خلقه، لأنَّه بدون الماء لا تكون الحياة. فإذا مَنع الإنسان عن نفسه الماء بعض الوقت؛ حتَّى تشتدَّ حاجته إليه؛ عَلِم أنَّ الماء نعمة عظيمة وجليلة لا يُستغنى عنها أبدًا، ولا يكاد يعدلها شيء من النِّعم، وذلك أدعى للتوجُّه بالشِّكر للمنعم بها، والمحافظة

([1]) حدائق الروح والريحان في رَوَابي علوم القرآن، محمد الأمين الهَرَري: ٦٥/١٨، ٦٦.

([2]) التحرير والتنوير: ٥٦/١٧.

([3]) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د/محمد راتب النابلسي: ٨٧/٢.

عليها، وأزجر عن التفريط، والإسراف فيها، ولذلك ختم الله تبارك وتعالى الآية الكريمة بقوله: -: ﴿ أَفَلَا

- يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: أفلا يتدبرون.
- **قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾، فيه من الهدايات:**

أولًا: الاستفهام إنكاري؛ لأنَّ " إهمال النظر في المشاهدات الدالة على علمِ ما ينقذُ علمه من التورط في العقائد الضالة حقيقٌ بالإنكار"[1]، وإنَّ" المحسوس مرآة حجج الله تعالى للقلب لعاقبة العلم...."[2]، وقال أبو حيَّان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ):" هذا استفهام توبيخ لمن ادَّعى مع الله آلهة، ودَلالة على تنزيهه عن الشريك، وتوكيدًا لما تقدَّم من أدلَّة التوحيد، وردٌّ على عبَدة الأوثان من حيث إنَّ الإله القادر على هذه المخلوقات المتصرّف فيها التَّصرُّف العَجيب، كيف يجوزُ في العقل أن يعدِلَ عن عبادته إلى عبادة حجرٍ لا يضرُّ ولا ينفع"[3].

ثانيًا: فيه: تنبيه على ضرورة التفكُّر والتأمُّل فيما رأوا وعلموا، أو فيما يحتاج إلى تفكُّر أو تأمُّل، وذلك في كون السموات والأرض:﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾، كما قال سبحانه. وإنَّ إعمال العقل، وإطالة النظر في هذه الصنائع الجليلة، والتدابير العجيبة يدفع إلى الإقرار بافتقار تلك الصنائع والتدابير إلى خالق عليم حكيم مقتدر، لا يعجزه شيء.

ثالثًا: قُدِّم ذكْرُ السَّموات على الأرض، ولعل في هذا الترتيب أو التقديم اللفظي من الحِكَم ما هو ظاهر، ومنها ما لا تصل إليه أفهامنا وعقولنا، فمَّما هو ظاهر ما قيل عن السموات من" أنَّها متعبد الملائكة، وما فيها بقعة عصى الله فيها أحد...، وأنَّ الله تعالى زيَّنها بسبعة أشياء بالمصابيح (وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ)، وبالقمر (وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا)، وبالشمس (وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا)، وبالعرش(رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ)، وبالكرسي (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ)، وباللوح (

([1]) التَّحرير والتنوير، الطاهر ابن اشور: ٥٣/١٧.

([2]) الأمد الأقصى، أبو زيد الدبوسي: ص٣٠٢.

([3]) البحر المحيط: ٢٨٦/٦.

فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظٖ)، وبالقلم (نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ)...، وأنَّه تعالى جعل السماء قبلة الدعاء: فالأيدي تُرفع إليها، والوجوه تتوجه نحوها، وهي منزلُ الأنوار، ومحلُّ الصَّفاء، والأضواء، والطهارة، والعصمة عن الخلل، والفساد...، وأنَّ السماوات مُؤثرة غير مُتأثرة. والأرْضُون متأثر غير مؤثرة، والمؤثِّر أشْرَفُ من القابل، فلهذا السبب قُدِّم ذِكْرُ السَّماء على الأرض في الأكثر"(١).

رابعًا: قوله –سبحانه–﴿ كَانَتَا رَتۡقٗا﴾، ولم يقل كنَّ رتقًا؛" لأنَّ السموات لفظ الجمع والمراد به الواحد الدال على الجنس، قال الأخفش السموات نوع والأرض نوع، ومثله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ – [فاطر:٤١] –، ومن ذلك قولهم أصلحنا بين القومين، ومرت بنا غنمان أسودان، لأنَّ هذا القطيع غنم وذاك غنم"(٢).

خامسًا: قد" وحَّد الرتق وهو من نعت السموات والأرض؛ لأنّه مصدر وُضع موضع الاسم"(٣)، وقال الزَّمخشري (ت: ٥٣٨هـ):" هو على تقرير موصوف، أي: كانتا شيئًا رتْقًا"(٤). وقال الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ):" والإخبار عن السماوات والأرض بأنَّهما رَتق إخبار بالمصدر للمبالغة في حصول الصفة"(٥).

سادسًا: وجود التلاقي الدلالي (٦) من جهة جنس المعنى وعمومه بين الاستعمال القرآني لـ لفظي: الرَّتق والفتق، وبين أصل معناهما في اللغة أو في الاستعمال العربي القديم، وفي ذلك هدايات منها: **معرفة وجه المناسبة بين معنى اللفظ في أصل وضعه ومعناه المجازي أو المؤول،**

---

(١) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرازي: ١١٥/٢– ١١٧. (والكلام فيه اختصار).

(٢) السابق نفسه: ١٦٢/٢٢.

(٣) الكشف والبيان، المعروف بتفسير الثَّعلبي: ٢٧٤/٦.

(٤) الكشَّاف : ١٤٠/٤.

(٥) التحرير والتنوير: ٥٣/١٧.

(٦) أقصد بالتلاقي الدلالي: التَّماس والمناسبة بين المعنى اللغوي للفظ في كلام العرب، وبين استعماله القرآني سواء جاء هذا الاستعمال حقيقيًّا أومجازيًّا، بل إنَّ التلاقي يعني أيضًا وجود دلالة اللفظ اللغوي في الاستعمالات المصوغة من هذا اللفظ بدرجات مختلفة في السياقات القرآنية وغيرها، والله أعلم.

والاطمئنان إلى الاختيار الدقيق من تفسيرات أهل التفسير المتعددة لمفردات القرآن، ومعرفة دقائق الاستعمال القرآني، ومدى الإحكام المعجز في توظيف الألفاظ، وبيان الفرق بين اللفظ المستخدم دون غيره مما يتقارب معه، وغير ذلك مما يمكن أن يدخل ضمن الهدايات والإرشادات الحاصلة جراء من الكشف عن التلاقي الدلالي بين مدلولات الألفاظ في أصل وضعها، ومدلولاتها المجازية، وبيان ذلك، كما يأتي:

١-لفظ « الرَّتق » في الآية :﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾: قال ابن جرير الطَّبري(ت: ٣١٠هـ):" كانتا مُلْتَصِقَتَيْنِ"(١)، وقال البغوي (ت: ٥١٦هـ):" قال قتادة : كانتا شيئًا واحدًا مُلتزقتين"(٢).

أمَّا الرَّتق في اللغة فقد جاء على طريقة الاشتقاق من الجذر اللغوي (رتق) الذي تدور استعمالاته حول معنى: الالتحام التَّام بين أجزاء الشيء، قال الخليل بن أحمد (ت: ١٧٥هـ) :" الرَّتْقُ: إلحام الفتق، وإصلاحه(٣). وقال الدكتور محمد حسن جبل (ت: ١٤٣٦هـ):" المعنى المحوري: **التحام** جوف الشيء الرطب أو الندِيّ"(٤)، ومن الاستعمالات اللغوية: ارتَتَق الفَتْقُ، إذا الْتَأَمَ"(٥). ويقال: رتقت الشيء فارتتق""(٦)، أي: التحم والْتأم.

ومما سبق يتبيَّن صحة ما رُمت إليه من وجود التلاقي بين المعنى اللغوي، وبين المعنى في القرآن الكريم من جهة جنس المعنى وعمومه.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٥٤/١٦.

(٢) معالم التنزيل: ٣١٦/٥.

(٣) العين (ر ت ق): ١٢٦/٥

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (ر ت ق): ص٧٥١.

(٥) مُجمل اللغة، ابن فارس (رت ق): ٤١٨/١.

(٦) التفسير البسيط: ٥٦/١٥.

٢- لفظ « الفتق» في الآية :﴿ فَفَتَقْنَاهُمَا﴾: **يقول**: فصَدَعْناهما وفرجْناهما"[١]، وقال السَّمرقَندي (ت: ٣٧٥هـ):" فرَّقناهما وأبنا بعضها من بعض"[٢].

أمَّا« الفتق» في اللغة فمأخوذ من الجذر اللغوي (فتَق) الذي تحوم استعمالاته حول معنى الانفصال التام بين أجزاء الشيء، قال الخليل بن أحمد (ت:١٧٥هـ): الفَتْقُ: انفِتاقُ رَتْقِ كل شيء متصل مستو وهو رتق فإذا انفصل فهو فَتْقٌ" [٣]، وقال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ):" الفَاءُ والتَّاءُ والقَافُ أَصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على فَتْحٍ في شيْءٍ" [٤]، وقال الواحديُّ (ت: ٤٦٨هـ):" الفتق: الفصل بين الشيئين الذين كانا ملتئمين أحدهما متصل بالآخر، فإذا فرق بينهما فقد فتقا"[٥]، وقال الدكتور محمد حسن جبل (ت: ١٤٣٦هـ):" المعنى المحوري: فتح وشقٌّ واصل إلى العمق الملتحم"[٦].

وبذلك يُلاحظ التلاقي الدلالي بين المعنى اللغوي، والمعنى القرآني مع الفارقية في التفرَّد والعلو والفصاحة لألفاظ القرآن الكريم ومعانيها التي لا تنفد من جهة التوظيف المعجز، والاختيار الدقيق للفظ ما دون غيره من الألفاظ التي تترادف معه.

سابعًا: أنَّ المفسرين اختلفوا في كيف كان الفتق من الرتق، وجاء ذلك على أقوال:

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطَّبري: ٢٥٥/١٦.

(٢) تفسير السمرقندي المسمَّى بحر العلوم: ٣٦٦/٢.

(٣) العين (ف ت ق): ١٣٠/٥.

(٤) مقاييس اللغة (ف ت ق) : ٤٧١/٤.

(٥) التفسير البسيط: ٥٦/١٥.

(٦) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (ف ت ق): ص١٦٢٦.

أحدها: أن السموات كانت رَتْقًا لا تُمْطِر، وكانت الأرض رَتْقًا لا تُنْبِت؛ ففتق هذه بالمطر، وهذه بالنبات، رواه عبد الله بن دينار عن ابن عباس...، وقد رجَّح شيخ المفسرين ابن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ) هذا القول على غيره من الأقوال[١].

و" هذا الاتجاه في التفسير يتفق مع ما يقوله علماء الكون. فعلماء الكون يقولون: إن الأرض كانت كتلة نارية، ولهم أدلة في ذلك تكاد تجعل المسألة من باب القطعيات، فإذا كان الأمر كذلك فإن الأرض كانت أيام ذلك لا تنبت وكانت سماؤها لا تمطر"[٢].

الثاني: ما قاله سعيد بن جبير، قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ):" قال سعيد بن جبير:" بل كانت السماء والأرض ملتزقتين فلما رفع السماء، وأبرز منها الأرض، كان ذلك فتقهما الذي ذكر الله في كتابه"[٣].

و" هذا الكلام نفسه يتَّفق مع أدقِّ النظريات العلمية في عصرنا، فالملاحظات العامة في هذا الكون أن بعض المجرات تنطلق بسرعة هائلة خارجة عن مركز الكون، مما يدل على أن هذا الكون كان ملتزقًا، وكان كتلة واحدة، ويؤكد ذلك أنه من خلال طيف الإشعاعات تأكد أن مادة الكون واحدة، وهناك نظرية أخرى لا تتحدث عن الكون كله، وإنَّما عن المجموعة الشمسية أنها كانت كتلة واحدة، وكل من هاتين النظريتين العلميتين تتفق مع قول سعيد بن جبير في الآية.

فعلى تفسير ابن عباس أو تفسير سعيد بن جبير؛ فإن الآية **أشارت إلى شيء لم يعرفه** الإنسان إلا متأخرًا. والملاحظ أن الذين طرحوا كلًّا من النظريتين الكافرون، فكأنه في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ **إشارة إلى أن الكافرين** سيكتشفون هذه الحقائق، ويبرهنون عليها، وفي ذلك كله مظاهر من إعجاز هذا القرآن، الذي لا تتناهى عجائبه، وهنا يثور سؤال يثيره النسفي ويرد عليه. قال النسفي: فإن قيل: متى رأوهما رتقًا حتى جاء تقريرهم بذلك؟ حتى ألزمهم الله بحجيتها

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٦٠/١٦.

(٢) الأساس في التفسير، سعيد حوى: ٣٤٥٣/٧، ٣٤٥٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٤٤٩/٥.

عليهم (قلنا– القول للنسفي–: إنه وارد في القرآن؛ الذي هو معجزة، فقام مقام المرئي المشاهد) [1].

أقول– القول لسعيد حوى–: **فكم في هذه الآية من حجة وكم فيها من معجزة؟!**[2].

ثامنًا: أنَّ التوافق بين ما جاء في القرآن الكريم، وما كشف عنه العلم الحديث، وعلماء الفلك في القرن العشرين، يدهش العقول، ويدفعها للبحث عن خالق هذا الكون، والإقرار بكمال قدرته، وبديع صنعه.

تاسعًا: أنَّ هذه الآية العظيمة بشكل عام، – وهذا القول على بشكل خاص– بما فيها من حقائق علمية كانت من الآيات التي وقف الدكتور غالي ميلر عندها طويلًا، وكانت سببًا في إسلامه، وهو" الذي كان من المبشرين النشطين جدًّا في الدعوة الإسلامية، ومن الذين لديهم علم غزير بالكتاب المقدس..، يقول: إنَّ هذه الآية هي بالضبط البحث العلمي الذي حصل على جائزة نوبل في عام ١٩٧٣م، وكان عن نظرية الانفجار الكبير، وهي تنصُّ أنَّ الكون الموجود هو نتيجة انفجار ضخم حدث منه الكون بما فيه من سموات وكواكب، فالرتق هو الشيء المتماسك في حين أنَّ الفتق هو الشيء المتفكك فسبحان الله"[3].

- **قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾، فيه من الهدايات:**

أولًا: لا يخلو قوله تعالى: "﴿وَجَعَلْنَا﴾، من التعدِّي لوجهين، ولكل وجه دلالة معنويَّة تفيد هداية قرآنية، قال الزَّمخشَري (ت:٣٨٥هـ):"﴿وَجَعَلْنَا﴾ لا يخلو أن يتعدى إلى واحد أو اثنين، فإن تعدَّى إلى واحد، فالمعنى: **خلقنا من الماء كل حيوان**، كقوله ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥]، **أو كأنَّما: خلقناه من الماء؛ لفرط احتياجه إليه، وحبه له وقلة صبره عنه**؛ كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، وإن تعدى إلى اثنين فالمعنى: **صيرنا كل شيء حيّ**

([1]) تفسير النَّسَفِيّ (= مدارك التنزيل وحقائق التأويل):٤٠١/٢.

([2]) الأساس في التفسير، سعيد حوى: ٣٤٥٣/٧، ٣٤٥٤.

([3]) قصة المفاجآت الخمس في القرآن الكريم، أ. د/ محمد متولي منصور: مج٤٥٢/٢.

بسبب من الماء لا بدّ له منه"[1]، ففي المعنى الأول: هداية إلى أنَّ أصل خلقِ كل شيء حي من الماء، وفي المعنى الثاني: هداية إلى سببية الحياة، أي أنَّ الماء سبب الحياة لكل شيء، بل لا بدَّ منه لكلِّ حي، ويشمل ذلك أيضا النبات والشجر. وفي ذلك دعوة إلى صِدق الإيمان بوحدانية الله تبارك وتعالى، والإقرار بطلاقة القدرة الإلهية، وترك الكفر والمعاندة.

ثانيًا: فيه دلالة على أنَّ الماء عنصرٌ أساسيٌّ لا يُستغنى عنه، بل لا بدَّ منه لكل ما يتَّصف بالنمو في هذا الكون، وعند غياب الماء وفقد يحدث الهلاك والفناء والدمار، وفي ذلك دعوة للنظر والاعتبار.

ثالثًا: أنَّ نصَّ القرآن الكريم على أنَّ الماء مصدر للحياة أمر عجيب يتلاقى مع ما أثبته العلم الحديث، يقول الدكتور غالي ميلر الذي كان يعمل أستاذًا في جامعة الملك فهد للبترول في قسم الرياضيات، وكان نصرانيًا ثمَّ أسلم عام ١٩٧٧م: إنَّ هذا الأمر من العجائب حيثُ إنَّ العلم الحديث أثبت مؤخرًا أنّ الخلية الحيَّة تتكوَّن من السيتوبلازم الذي يمثِّل ٨٠% منها، والسيتوبلازم مكون بشكل أساسي من الماء، فكيف لرجل أمي عاش قبل ١٤٠٠ سنة أن يعلم كلَّ هذا لولا أنَّه متَّصِلٌ بالوحي من السماء؟؟ فسبحان الله"[2].

رابعًا: من جهة الإعراب لـ ﴿ حَيٍّ ﴾ جاءت صفة لشيء، وعلى ذلك يكون معنى الآية" خَلَقَ الخَلْقَ مِنَ المَاءِ ويدُلُّ لهُ قوله في مَوْضعٍ آخَر: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ﴾ [النور: ٤٥]. قاله ابن دَرَستَوَيْه[3].

خامسًا: أنَّ التنكير يفيد العموم؛ وتوضيح ذلك: أنَّ كلُّ شيء متَّصفٌ بالحياة مما يدبُّ على وجه الأرض، فإنَّه خُلِقَ من الماء، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ﴾ [النور: ٤٥]، ولا يستثنى

---

(1) الكشَّاف : ١٤١/٤.

(2) قصة المفاجآت الخمس في القرآن الكريم، أ. د/ محمد متولي منصور: مج٤٥٣/٢.

(3) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزَّركشي: ١٩٨/٢.

من هذا العموم النبات والشجر؛" لأنَّه من الماء صار ناميًّا وصار فيه الرطوبة والخضرة والنور والثمر "[1].

سادسًا: وبناءً على ما سبق–أي: خلْقُ الخلْقِ من الماء– **فإنَّ الإنسان الأول، وهو: آدم عليه السلام يكون مخلوقًا من الماء**، وقد جاءت تعبيرات المفسرين عن وجود مرحلة الماء في خلق أبينا أدم– عليه السلام– مختلفة الألفاظ إلا أنَّها متفقة المعنى على أنَّ الماء موجود في خَلق آدم عليه السلام، ومن تلك الألفاظ:

– **(مزج)**: قد استخدم هذا اللفظ الفخر الرازي (ت:٦٠٤هـ) في حديثه عن كيفية خلق آدم– عليه السلام– ، وذلك قوله:" خَلَقَ الإنسان من تراب؛ ليكون مطفئًا لنار الشَّهوة، والغضَب ، والحرص، فإنَّ هذه النيران لا تُطفَأ إلا بالتُّراب، وإنَّما خلقه من الماء ليكون صافيًا تتجلَّى فيه صور الأشياء، **ثمَّ إنَّه تعالى مزَجَ بين الأرض والماء ليمتزج** الكثيف فيصير طينًا، وهو قوله: ﴿ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص:٧١]"[2]. فالكلام يدلُّ عى أنَّ الماء أصل في مراحل خلْق أبينا آدم– عليه السلام–.

– **(خمر)**: استخدمه البيضاوي (ت: ٦٩١هـ) في تفسيره قول الحقِّ تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا﴾ [الفرقان: ٥٤]، قال:" **يعني الذي خمر به طينة آدم**، أو جعله جزءًا من مادة البشر لتجتمع، وتسلس، وتستعد، وتقبل الأشكال والهيئات بسهولة..."[3].

– **(عجَنَ)**: استخدمه النَّسفي (ت: ٧١٠هـ)، في حديثه عن خلق أبينًا آدم – عليه السلام، فقال: كان تراباً فعجن بالماء فصار طينًا"[4]، وكذلك استخدم هذا اللفظ السَّمين الحلبي (ت:

([1]) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير): ١٦٤/٢٢.

([2]) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير): ٨٣/٨.

([3]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤/ ١٢٨.

([4]) تفسير النَّسَفِيّ (= مدارك التنزيل وحقائق التأويل):١٨٨/٢.

٧٥٦هـ)، فقال في تفسير قوله تعالى:﴿ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢]:" الطين: التراب الذي عجن بالماء"[١].

وغير ذلك من الألفاظ الدَّالة على وجود الماء في مبتدأ خلق أبينا آدم- عليه السلام- الذي كان أصله خلقه من تراب وماء.

سابعًا: وهنا توجد مشاكلة مع قول الحقِّ تبارك وتعالى:﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وقوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة: ٧]، والسؤال هنا: أيَّهما أصلُ خلقِ الإنسان الأول آدم -عليه السلام- الماء أم التُّراب؟، وإن كان الأصل من كلٍّ منهما- الماء والطين الذي أصله التراب- فلم لم يقل – سبحانه-: خلقكم منهما؟.

والجواب: قال الفخر الرَّازي (ت: ٦٠٤هـ):" فنقول في ذلك لطيفة: وهي أنَّ كون التراب أصلا والماء أصلًا أيضًا، ليس لذاتهما، وإنَّما هو بجعل الله تعالى، فإنَّ تعالى نظرًا لقدرته كان له أن يخلق أول ما يخلق الإنسان ثم يفنيه ويحصل منه التراب، ثم يذيبه ويحصل منه الماء، لكن الحكمة اقتضت أن يكون الناقص وسيلة إلى الكامل لا الكامل وسيلة إلى الناقص، فخلق التراب أولًا والماء أولًا، وجعلهما أصلين لمن هو أكمل منهما بل للذي هو أكمل من كل كائن وهو الإنسان، فإنَّ كان كونهما أصلين ليس أمرًا ذاتيًّا لهما، بل بجعل جاعل، فتارة جعل التراب، وتارة الماء؛ ليعلم أنَّه بإرادته واختياره، فإن شاء جعل هذا أصلًا، وإن شاء جعل ذلك أصلًا، وإن شاء جعلهما أصلين"[٢]. إنَّ الله على كل شيء قدير.

---

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (ط ي ن) : ٤٣٢/٢.

(٢) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرازي: ٢٥/ ١١٠، ونقله – بلا عزو- محمد بن أحمد الإسكندراني الدِّمشقي (ت: بعد ١٢٩٩هـ) في كتابه: من الإعجاز الطبي في القرآن الكريم كشف الأسرار النُّورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية:١٦/١.

- **قولـه تعـالى:** ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ قـال أبـو حيَّان الأندلسـي (ت:٧٤٥هـ):" استفهام إنكـار وفيـه معنـى التعجـب مـن ضـعف عقـولهم، والمعنـى أفـلا يتـدبرون هـذه الأدلـة، ويعملـوا بمقتضاها، ويتركوا طريقة الشرك وأطلق الإيمان على سببه"(١).
- **وفـي الآيـة أيضًـا:** أنَّ مـا فيهـا مـن هدايات ومعجـزات سـواء مـا يخـصُّ فتـق السـموات والأرض، أو الحـديث عـن المـاء كونـه مصـدر للحيـاة؛ برهـان صـدقِ نبـوة سيدنا محمـد – صلَّى الله عليه وسلم–؛ لأنَّه يُخبر عن أمورٍ ليست في مقدور البشر صنعها، وإنما صنع الله، قـال سـبحانه:﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمـل: ٨٨].
- **وفيها:** أنَّها من الآيات التي شغلت بال العلماء المؤمنين فزادتهم إيمانًا ويقينا.
- **وفيها:** أنَّ هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات تُثبت للعلماء المستشرقين إعجاز القرآن الكريم، فلقد" حصل أحد المستشرقين على جائزة نوبل سنة ١٩٧٨م في نظرية الانفجار الكوني العظيم، وقال: لو اطلعت على الآية (٣٠) من سورة الأنبياء ما قضيت أنا وفريق العمل عشر سنوات لاكتشاف هذه النظرية"(٢).

ولا عجب أن تُستنبط كل هذه الهدايات من هذه الآية العظيمة وأكثر لمن تفكَّر تدَّبر، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]، فهذا القرآن الكريم فيه من وجوه الهدايات ما لا ينحصر.

---

(١) البحر المحيط: ٢٨٧/٦.

(٢) قصة المفاجآت الخمس في القرآن الكريم، أ. د/ محمد متولي منصور: مج٥٠٦/٢.

- المبحث الثالث: مرحلة الخَلْقُ مِنْ طين:

قد تعدَّدت الآيات الدالة على هذه المرحلة من خلق أبينا آدم–عليه السلام–، وهي على الترتيب:

* **قول الحقّ تبارك وتعالى:** ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف:١٢].

* **وقوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء:٦١].

* **وقوله تعالى:** ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ [المؤمنون:١٢].

* **وقوله تعالى:** ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة:٧].

* **قوله عزَّ وعلا:** ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ [ص: ٧١].

* **وقوله تعالى:** ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [ص:٧٦].

- المعنى الإجمالي للآية الأولى:

في هذه الآية المباركة يُخبِرُ الله– تبارك وتعالى– عن امتناع إبليس اللعين السجود لأبينا آدم– عليه السلام–، ويبرِّرُ إبليس سبب امتناعه السجود، وهو: ادعائه الخيريّة، وأنَّه خلقَ من نار، وآدم– عليه السلام خُلق من طين. ولعمري إنَّها لدعوى كاذبة، وقياس باطل يُظهر مَدَى النقص والجهل بحقائق الأمور.

وأمَّا النار: فمعروفة لا تُجهل، ومحسوسة لا تُنْكر، والطين :" التُّراب والماء المُختَلط، وقَدْ يُسمَّى بذلك وإن زال عنه قوَّة الماء"(١).

- **المناسبات:**

مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة معبِّرةٌ؛ فبعد أن ذكر الله – تبارك وتعالى– عظيم فضله، وجزيل عطائه على عباده بأنْ جعل لهم الأرض مكانًا صالحًا للعيش والنَّفع فيما يحتاجونه في شئون حياتهم الدنيوية، ثم ذكَّرَهم سبحانه بعطاء آخر، وهو: ما لأبيهم آدم من شرف المقام، والاختصاص بسجود الملائكة له، فسمعوا وأطاعوا إلا إبليس لم يكن مع الساجدين، فكانت الآية الكريمة؛ لبيان ما يكمُن في قلبه من الحسد والعداوة لأبينا آدم– عليه السلام– حتى ننتبه لذلك، وندرك حقيقة العداوة والاستكبار من إبليس، فلا نتبع خطواته، ونحذر من ضلالاته وإغراءته، وقال البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) بعد تفسيره الآيات السابقة التي تتحدث عن أمر الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين :" لما كان مخالفًا الملك في محل العقاب، تشوف السامع إلى خبره فأجيب بقوله: ﴿قَالَ﴾ أي لإبليس إنكارًا عليه توبيخًا له، واستخراجًا لكفره الذي كان يخفيه بما يبدي من جوابه؛ ليعلمَ الخلق سبب طرده "(٢).

- **الهدايات:**

- **في الآية من الهدايات:** بيانٌ لسبب إخراج إبليس من ملكوت السماء، وطرده من رحمة الله تبارك وتعالى.
- **وفيها:** بيانٌ لعداوة إبليس الخبيث، وحقده، وغيرته من أبي البشر آدم – عليه السلام–.
- **وفيها:** أنَّ الله –تبارك وتعالى– قد أخبرنا بحقيقة تلك العداوة؛ لنحذر من إبليس، ومن وساوسه الخفيّة، وتزينه طُرق الضلال والغواية، ومحاولة إبعاد البشر عن طرق الهداية والرشاد.
- **وفيها:** أنَّ من نتائج الكبر على اللسان أن يُقال: أنا وأنا، كما قال إبليس (أنا).

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، الرَّاغب الأصفهاني (ط ي ن): ص٥٣٣.

(٢) نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور: ٣٦٤/٧.

- **وفيها:** أنَّ أمر الله تبارك وتعالى الملائكة الكرام بالسجود لأبينا آدم- عليه السلام- وفي ملكوت السماء؛ فيه تكريم للنوع الإنساني وتشريف له.
- **وفيها:** أنَّ السجود لأبينا آدم كان سجود تحيَّة وتكرمة، لا سجود عبادة؛ لأنّ العبادة لا تكون إلَّا للخالق -سبحانه-، وقد اتفق الجمهور من المفسرين على هذا القصد من السجود، ومنهم شيخ المفسرين ابن جرير الطَّبَريُّ (ت:٣١٠هـ)، وذلك قوله:" سجود تحية وتكرمة، لا سجود عبادة"(١)، وقال السَّمَرْقَنْدي (ت:٣٧٥هـ):"هي سجدة التحية لا سجدة الطاعة. فالعبادة لله تعالى، والتحية لآدم -عليه السلام"(٢)، وقال البغوي (ت:٥١٦هـ) - نحو ذلك-:" سجود تحيَّة لا سجود عبادة"(٣)، وقال عبد الرحمن ابن مخلوف الثعالبي (ت:٨٧٥هـ):" أجمع المفسرون أنَّه كان سجود تحيَّة لا سجود عبادة"(٤)، هذا ما عليه جمهور المفسرين من قصدِ السجود هنا، وأنَّه كسجود إخوة يوسف له في قوله تعالى:﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ **[يوسف: ١٠٠]**. غير أنَّه قد اختلف في كيفية السجود لآدم - عليه السلام-، وذلك على وجهين، الأول: هل كان سجود بوضع الجبهة مع الأعضاء على الأرض وهو المعروف في الصلاة؟ الثاني: أم كان السجود بالانحناء من غير وضع الجبهة على الأرض؟، وإنَّ الذي أؤيده هو السجود الأول، وذلك **لوجوه، أحدها:** ما يدلُّ عليه ظاهر الكلام من أنَّ المقصود بالسجود هو الذي يكون بوضع الجبهة على الأرض، وليس في ذلك شرك لأنَّ الأمر من الله تبارك وتعالى. ثانيها: أنَّ سجود التحيَّة كان مشروعًا في الأمم الماضية ثم نسخ في شرعنا بالسلام. قال ابن عطية (ت: ٥٤٦هـ):" **وفي هذه الوجوه كلها كرامة لآدم عليه السلام**"(٥).
- **قوله تعالى:﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾:** فيه **هدايات كثيرة منها:**

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٦٥/١٤.

(٢) تفسير السَّمَرْقَندي المسمَّى بحر العلوم :٥٣٢/١.

(٣) معالم التنزيل: ٣٨٠/٤.

(٤) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ٣٥٢/٣.

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١٢٤/١.

أولًا: ﴿ مَا﴾: استفهام وفيه معنى التوبيخ؛ لأنَّه جل ذكره عالم بما منعه من السجود، وإنما وبخه على تركه ذلك، وموضعه رفع بالابتداء، وخبره ﴿مَنَعَكَ﴾"[1].

ثانيًا:﴿مَنَعَكَ﴾: هذه العبارة فيها دلالة صريحة على امتناع إبليس عن السجود؟

ثالثًا:﴿ أَلَّا تَسْجُدَ﴾: لما كان قوله:﴿مَنَعَكَ﴾ قد صرَّح بعدم سجود إبليس اللعين، كان " المعنى لا يلبس بإدخال لا في قوله: ﴿ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ أتى بها لتفيد التأكيد بالدلالة على اللوم على الامتناع من الفعل والإقدام على الترك، فيكون كأنَّه قيل: ما منعك من السجود، وحملك على تركه..."[2].

- **وفي الآية أيضًا من الهدايات:** الإشارة إلى أنَّ معصية إبليس معصية معانَدة وكفر، ولذلك قال الله تعالى فيه﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٣٤]. **ويُبْنَى على ذلك حكمٌ وهو:** أنَّ" كل من خالف الله في أمره فلم يَرَهُ وَاجِبًا عليه كافر بإجماع، لو ترك تارك صلاةً قال إنها لا تجب كان كافراً بإجماع الأمة"[3].
- **قوله تعالى:** ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ قال الفخر الرازي (ت:٦٠٤هـ):" إنَّهُ تَعالَى ذَمَّ إبْلِيسَ في تَرْكِ المُسَارَعَةِ.....، وهذا يَدُلُّ علَى أَنَّ تَرْكَ المُسَارَعَةِ مُوجِبٌ لِلذَّمِّ"[4]. ومما ينبغي الإشارة إليه أنَّ وجوب الذمِّ عند ترك المسارعة ليس على إطلاقه في كلِّ موضع، بل إنَّ كلام الرازي لا يسلم به أو يؤخذ هكذا بإطلاق أو تعميم، وإنَّما تقيد الكلام هنا بحسب ما يقتضيه المقام أو عن ما فعله إبليس أولى- والله أعلم-.

([1]) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتَجَب الهَمَذَانيّ: ١٧/٣.

([2]) نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور: ٣٦٥/٧.

([3]) معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزَّجاج:٣٢٢/٢.

([4]) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرازي: ١٤٧/٤.

- **قوله تعالى:**﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ مسوق مساق التعليل للامتناع، ولذلك حذف منه اللام[1]، وهذا القول كافٍ" لنقص إبليس الخبيث. فإنه برهن على نقصه بإعجابه بنفسه وتكبره، والقول على الله بلا علم. وأي نقص أعظم من هذا؟!!"[2].
- **قوله تعالى:**﴿ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ بَيَانٌ لجُمْلة: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ فلذلك فُصِلَتْ، لأَنَّهَا بِمَنْزِلَةِ عَطْفِ البَيَانِ مِنَ المُبَيَّنِ"[3]، **وفي هذا القول من الهدايات:**

أولًا: في هذا القول اعتراف من إبليس بأنَّه مخلوق، وذلك يتبعه اعتراف بكمال ربوبية الله تبارك وتعالى، وعزَّته، وقدرته على الخلق، وإذا كان الأمر كذلك، فإنَّه من الطَّبعيّ أن يستسلم اللعين لأوامر الخالق سبحانه، ويسارع في تنفيذها، ولا يعترض عليها، لكن الحاصل أنَّ عدو الله قد ناقضَ نفسه غاية المناقضة، وذلك في الاعتراف بأنَّه مخلوق، ثمَّ معارضته لأمر الخالق بالسجود لآدم- عليه السلام-؛ فكانت النتيجة العاجلة الإخراج من الرحمة، ومن مكلوت السماء، وبيان ذلك قوله سبحانه:﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾[الأعراف: ١٣]، وقال عزَّ وعلا في سورة أخرى: ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ* وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [ص: ٧٧، ٧٨].

ثانيًا: فيه أيضًا: بطلانٌ لقياس إبليس اللعين؛ لأنَّ القياس إذا عارض النص، فإنه قياس باطل، لأن المقصود بالقياس، أن يكون الحكم الذي لم يأت فيه نص، يقارب الأمور المنصوص عليها، ويكون تابعا لها. فأما قياس يعارضها، ويلزم من اعتباره إلغاءُ النصوص، فهذا القياس من أشنع الأقيسة"[4].

ثالثًا: ردٌّ لدعوى إبليس الخبيث، التي يقول فيها إنَّ النار أشرف من الطِّين، وفي ذلك بيان لجهله بحقائق الأمور، لأنَّ" الطين من شأنه الرَّزانة والحلْمُ والأناةُ والتَّثَبُّت، والطِّينُ محَلُّ النَّبات

---

(1) التحرير والتنوير، الطَّاهر بن عاشور: ٨ ق- قسم-٢/٤١.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي : ص٢٨٤.

(3) التحرير والتنوير، الطَّاهر بن عاشور: ٨ ق- قسم-٢/٤١.

(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي : ص٢٨٤.

والنُّمُو والزيادةِ والإصلاح. والنَّارُ من شأنها الإحْراقُ والطَّيشُ والسُّرعة، ولهذا خان إبليسَ عنصُرَهُ، ونفع آدمَ عُنصُرَه في الرُّجوع، والإنابة، والاستكانة، والانقياد، والاستسلام لأمر الله، والاعتراق وطلبِ التوبةِ والمغفرة"(١).

رابعًا: في هذا القول أيضًا هداية إلى أنَّ إبليس بدعواه الكاذبة، وحجته الداحضة في تفضيل النَّار على الطين، قد وجَدَ لنفسه الأمارة بالسوء مبرِّرًا لامتناعه عن السجود، ومعصية رب الوجود، وإنّ إبليس بذلك قد " جمع بين الجهل والظلم، والكبر والحسد والمعصية، ومعارضة النص بالرأى والعقل، فأهانَ نفسه كلَّ الإهانة من حيث أراد تعظيمها، ووضعها من حيث أراد رفعتها، وأذلَّها من حيث أراد عزَّتها، وآلمها كلَّ الألم من حيث أراد لذتها، ففعل بنفسه ما لو اجتهد أعظمُ أعدائه فى مضرَّتِه لم يبلغ منه ذلك المبلغ، ومن كان هذا غِشّه لنفسه، فكيف يسمع منه العاقل، ويقبل، ويواليه؟"(٢).

- **وفي الآية أيضًا:** دلالة على أنَّ الكبر هو ذنب إبليس اللعين الذي دفعه إلى مخالفة أوامر الله تبارك وتعالى، فاستحقَّ بتلك المخالفة المقت، والطرد من رحمته سبحانه. وإنَّ شر الناس عند الله من كان متكِّبرا، ولذلك جعل الله جهنَّم دارًا للمتكبرين، قال عز وجلَّ:﴿ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ **[الزمر: ٧٢]**، ولم ينالوا من محبة الله شيئًا قال سبحانه:﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾[النحل:٢٣].

وسبحان الله العظيم على ما في هذه الآية من هدايات لا تقف عند هذا الحدِّ، وغيرها كثير يُستنبط بنظر دقيق، وفكرٍ عميق.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء ابن كثير: ٣٩٢/٣.

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية: ٢٠١/٢.

- المبحث الرابع: مرحلة الخلق من الطيّن اللازب:

بعد مرحلة الخلق لأبينا آدم عليه السلام من الطين، تأتي مرحلة أخرى، وهي انتقاله إلى الطين اللازب، وقد دلَّت على عليها آية كريمة، هي:

*** قولـــه تعـــالى:** ﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴾ [الصافات: ١١].

- المعنى الإجمالي للآية:

يخاطب الله – عزَّ وجل– نبيَّه محمد– صلَّى الله عليه وسلم– فيقول له: اسأل هؤلاء المعاندين المنكرين للبعث من مشركي مكة، أأنتم أشدَّ خلقًا أمْ خَلْقُ السموات والأرض، وما بينهما من الملائكة، والكواكب، والشهب الثواقب، والمخلوقات العظيمة التي لا تنتهي إليها العقول؟!!!، فإنَّ كان الحقُّ –تبارك وتعالى– أحسنَ خلْقَ هذه المذكورات، وأحكمَ صنعها، فإنَّه سبحانه قد خلق أبيكم آدم من طين لازب، وأنتم ذريته تعودون إليه.

ومعنى الاستفتاء:" طلب الفتوى، يقال: أفتى الرجل في المسألة، واستفتيته فأفتاني، إفتاء...، ومعنى الإفتاء والفتيا: تبيين المُشكل من الأحكام""[١].

واللازب: اللاصق"[٢]، وقال ابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ):أي: لاصقٍ لازم"[٣].

- المناسبات:

تبدأ سورة الصافات بالحديث عن وحدانية الله –تبارك وتعالى–، وبديع صنعه في خلقه للسموات والأرض، والمشارق والمغارب، والكواكب، ومردة الشياطين، ولما كانت هذه المذكورات دالة على وحدانية الله – عزَّ وعلا– وتمام قدرته في الخلْقِ، فإنَّ ما دون هذه المخلوقات العظيمة أهون

---

(١) التفسير البسيط: ١١٨/٧.

(٢) معاني القرآن، الفراء: ٣٨٤/٢.

(٣) تفسير غريب القرآن: ص٣٦٩.

عليه، ومنها إعادة البعث، وإثبات الحشر، فجاءت هذه الآية مناسبة أيَّما مناسبة؛ ليرى المشركون في مكة الذين ينكرون الحياة مرة أخرى بعد الموت أنَّ الذي خلق هذه المخلوقات الكبيرة العظيمة قادرٌ على أن يخلقكم من جديد لأنَّ ذلك أهون عليه.

- **الهدايات:**

- **فيها:** برهانان من البراهين العقلية القاطعة الدَّالة على البعث:

الأول: أنَّ ما خَلَقَ الله –عزَّ وعلا– من مخلوقات عظام منها ما تقدَّم ذكْرُها في الآيات السوابق من السورة مثل: السموات والأرض، والملائكة الكرام، والمشارق، والمغارب، والكواكب، والشهب الثواقب، ومردة الشياطين أعظم وأجلُّ وأكبر من بعثكم بعد الموت، قال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف:٣٣]، وقال تبارك وتعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، و" من قَدر عَلَى خَلْقِ الأكبر؛ فلا شكَّ أنَّه قادر على خَلْقِ الأصغرِ، كخَلْقِ الإنسان خلقًا جديدًا بعد الموت"(١).

الثاني: أنَّ" مَنْ خلقهم أولًا من طينٍ وأصلُه التراب المبلول بالماء لا يَشُكُّ عاقلٌ في قدْرَتِه على خَلْقِهم مرةً أخرى بعد أن صاروا ترابًا؛ لأنَّ الإعادة لا يُعقل أن تكون أصْعَبَ من البَدْء. والآيات الموضحة لهذا المعنى كثيرة جدًا..، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الحج:٥]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧]...، والبُرهَانَان المذكوران على البعث يُلْقِمان الكفار حَجَرًا فِي إِنْكَارهم البعث..."(٢).

- **قوله– تعالى﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ ﴾:** الفاء فاء التعقيب، **أو** المعقِّبة لِمَا ذُكِر من المخلوقات العظام المذكورات في أول السورة، فإذا تقرَّر ذلك (فاستفتهم)، وهذا يدلُّ على ترتُّب الثاني على الأول،

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشَّنْقيطي: ٦/٧٤٠.

(٢) السابق نفسه: ٦/٧٤٢.

وقيل: **الفاء: فاء الفصيحة**؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت حالهم، وإنكارهم للمعاد، وأردت أن تبكتهم، وترد عليهم في أمر إثبات المعاد فأقول لك: استفتهم"[1].

- **وفي الآية أيضًا:** أنَّ استعمال لفظ الاستفتاء دون غيره من الألفاظ التي تترادف معه، يرجع إلى أنَّ الاستفتاء نوع من السؤال على وجه مخصوص، تتطلَّب الإجابة عنه إعمال العقل وإمداد النظر، ليتبيَّن المشكل، و" لما كان المسئول عنه أمرًا محتاجًا إلى إعمال نظَرٍ أطلق على الاستفهام عنه فعلُ الاستفتاء"[2]. وإذا قيل ما وجه الهداية في الحديث عن استعمال لفظ الاستفتاء أو غيره من الألفاظ، أقول: لعل في ذلك إرشاد إلى كيفية التوظيف الصحيح للألفاظ، وبيان دقة اختيارها في الاستعمال القرآني.
- **وفيها:** وجود فائدة في امتناع إجراء الاستفهام على أصله، وذلك في قوله تعالى –من الآية– ﴿ **أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا** ﴾ ، فالهمزة هنا" خرجت إلى معنى التقرير"[3]، والفائدة هي: **التوبيخ والتبكيت لهؤلاء المعاندين المنكرين للبعث من مشركي مكة**، وقد تحدَّث عن ذلك الامتناع الإمام شرف الدين الطِّيبي(ت: ٧٤٣هـ) فأبان، وذلك قوله:" لأنَّه طلبٌ لما في الخارج **لينتقشَ مثُل ذلكَ في الذِّهنِ إلى تقريرِ الثَّابت**؛ لأنَّ هذا الأمرَ المسؤولَ مقرَّرٌ معيَّنٌ لم يحتجْ إلى أن يُستفهمَ منه، لكن أُجريَت على الاستفهام ظاهرًا؛ ليُجعل المقرَّرُ غير مقرَّرٍ؛ فيصحَ دخولُ "استفتهم" عليها، **والفائدةُ الإنكارُ والتوبيخ**، كأنَّه لم يعلمْ ذلكَ فاستفتهمَ، وهو معينٌ مقرَّر، والأسلوبُ من بابِ سوقِ المعلومِ مساقَ غيرِهِ"[4].
- **وفيها:** تعليمٌ من الله– تبارك وتعالى– لنبيِّه محمد– صلَّى الله عليه وسلم– أصول المناظرة والحجاج فيما بينه وبين المعاندين المنكرين للبعث، وذلك من خلال الاستدلال بالواقع الذي لا يُنكر، والاستدلال بالأعظم والأكبر والأشدَّ أولًا، وهو: المخلوقات المذكورات بداية السورة، ثم الاستدلال بالأصغر، والأهون، وهو: خلقهم من طين لازب، وفي ذلك تذكير بأصل خلقهم وهو: هذا الطين المجموع من تراب الأرض ومائها.

---

(1) حدائق الروح والريحان في رَوَابي علوم القرآن، محمد الأمين الهَرَري: ١٧١/٢٤.

(2) التحرير والتنوير: ٩٤/٢٣.

(3) الكشاف: ٢٠٣/٥. و والبحر المحيط، أبو حيَّان الأندلسي: ٣٣٩/٧.

(4) فتوح الغيب في الكشْفِ عن قناع الرَّيب: ١٢٦/١٣

- **وفيها:** أنَّ ضمائر الغيبة عائدة على غير مذكور في الآية، فضمير الغيبة في قوله:﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ ﴾، وقوله﴿ خَلَقْنَاهُم ﴾: عائد على منكري البعث من مشركي مكة، وأرى أنَّ في ترك ذكرهم تحقيرًا لشأنهم، وإشارة إلى ضعفهم مقارنة بالمخلوقات العظيمة المذكورة في الآيات السابقة، ولعله من الممكن أن يُنظر إلى مجيء الضمائر على هذا النحو؛ لتكون على وتيرة واحدة وملائمة للسياق، .
- **وفيها:** أنَّ الله – تبارك وتعالى– لم يحكِ عن هؤلاء المنكرين أنَّهم قد أقرُّوا أنَّ خلق السموات والأرض، وما بينهما أشد وأقوى، لوجوه:

الأول: أنَّ ذلك لا يحتاج إلى إقرار منهم فخَلقُ الله العظيم، وصنعه المُحكم ظاهرٌ معلومٌ بالضرورة.

الوجه الثاني: أنَّ تَرك حكاية إقرارهم فيه تقليل لشأنه وشأنهم، إذ ليس هناك حاجة له، ولن يُغني شيئًا.

الوجه الثالث: أنَّ هؤلاء المنكرين للبعث قد أبانوا عن ضعف حجتهم، وجهالتهم بحقائق الأمور، إذ ليس هناك مقارنة بين هذه المخلوقات العظيمة المُعجزة، وبين خَلْقِهِم من طين لازب.

- **قوله تعالى:﴿ مَّنْ خَلَقْنَآ ﴾** ، قد جاءت « من » فيه تغليبًا للعقلاء من تلك المخلوقات مثل: الملائكة، وغيرهم ممَّا بين السموات والأرض، قال أبو البركات النَّسَفِيّ(ت:٧١٠هـ):" يريد ما ذَكَر من خلائقه: من الملائكة، والسموات والأرض، وما بينهما. وجيء بـ« من» تغليبًا للعقلاء على غيرهم، ويدل عليه قراءة مَنْ[١] قرأ «أم من عددنا»بالتشديد والتخفيف"[٢].
- **قوله: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُم ﴾** قال الطّبْرِسِي (ت: ٥٤٨هـ)، **والمراد: أنَّ آدم خلقه الله من طين، وأنَّ هؤلاء نسله وذريته فكأنهم منه"[٣].**

([١]) القراءة لسيدنا عبد الله ابن مسعود– رضي الله عنه–، ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: ٤٦٧/٤، والبحر المحيط، أبو حيَّان الأندلسي: ٣٣٩/٧.

([٢]) تفسير النَّسَفِيّ (= مدارك التنزيل وحقائق التأويل): ١١٨/٣، ١١٩.

([٣]) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٢٨/٨.

- **قوله تعالى**: ﴿ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾، معنى أنَّه يلزم ما جاوره ويلصق به على نحو ما سبق؛ فإنَّ ذلك فيه دلالة على الضعف، وعدم المقدرة على الاستغناء بذاته، قال الزَّمخشريُّ(ت: ٥٣٨هـ) مبيّنًا علَّة وصف الطين باللازب:" إمَّا شهادة عليهم بالضعف والرخاوة؛ لأنَّ ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة، أو احتجاج عليهم بأنَّ الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب، فمن أين استنكروا أن يُخلقوا من تراب مثله"[١].
- **وفي الآية أيضًا**: دلالة على أنَّ المخلوق من طين لازب ضعيف عاجز لا يملك لنفسه جلب منفعة، ولا دفع مضرَّة، وإذا كان الأمر كذلك؛ فحقيقٌ بهذا المخلوق الضعيف أن يقبل على خالقه، يطلب رضاه، ويرغب فيما عنده.

وإنَّ شأن هذه الآية العظيمة لعجيب لما فيها من هدايات لا يمكن حصرها ما دام هناك نظرٌ دقيق، وفكر عميق في استنباطها، وهذا شأن آيات القرآن الكريم، أن تتجدّد هداياته وفضائله لمن أطال النظر فيه.

([١]) الكشاف: ٢٠٣/٥.

- المبحث الخامس: الخَلْقُ من حَمَأ مسنون:

الآيات التي تحدَّثت عن هذه المرحلة من خَلق الإنسان الأول، وهو- آدم عليه السلام- جاءت جميعها في سورة الحجر، وهذه الآيات أذكرها وفق ترتيب ورودها في السورة، وذلك على النحو الآتي:

* **قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ **[** الحجر: ٢٦].

* **قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨**]**.

* **قوله تعالى:** ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٣٣].

- المعنى الإجمالي للآية الأولى:

يُخبر الله – تبارك وتعالى – عن أصل خلقِ الإنسان الأول، و" المفسِّرون أجمعوا على أنَّ المراد منه هو آدمُ عليه السلام"[(١)]. فيُبيّن سبحانه أنَّه قد خلقه من صلصال من حمأ مسنون، ولكي يتبيَّن الفرق بين الحمأ المسنون كونه مرحلة من مراحل خلق آدم- عليه السلام-، وبين الصلصال كونه مرحلة تالية يأتي الحديث عنها في المبحث التالي، أشير إلى معنى كلِّ واحد منهما على النحو الآتي:

معنى قوله: ى﴿ مِن صَلْصَالٍ﴾**:** قال أبو إسحاق الثَّعْلبيُّ (ت:٤٢٧هـ):" هو الطيّنُ اليابس إذا نقرته سمعت له صلصلة أي صوتًا من يُبْسِه، قيل: أنْ تمسه النار فإذا أصابته النار فهو فخار، هذا قول أكثر المفسرين"[(٢)].

---

(١) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرازي:١٨٣/١٩.

(٢) الكشف والبيان، المعروف بتفسير الثَّعلبي: ٣٣٩/٥، وينظر أيضًا: التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء:٥٣٦/٥.

أمَّا قوله **تعالى:**﴿ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾. فإنَّ الحَمَأَ جمعُ حَمْأةٍ، وهو الطِّينُ المتغيّرُ إلى السَّواد. وقوله ﴿ مَّسْنُونٍ﴾ يعني: المتغيّر[1]. على حدِّ قول شيخ المفسرين ابن جرير الطَّبَريُّ(ت:٣١٠هـ) رحمه الله.

فطريق الجمع بين المرحلتين أنَّه لما صار الطين حمأ مسنونًا، تُرِكَ حتّى جفَّ ويبس وصار له صلصة من يبسه، وهذا ما تدلُّ عليه ظاهر الآية، وفي ذلك قال الفخر الرازي (ت: ٦٠٤هـ):" ظاهر الآية يدلُّ على أنَّ هذا **الصلصال إنَّما تولَّد من الحمأ المسنون** فوجب أن يكون كونه صلصالا مغايرًا لكونه حمأ مسنونًا..."[2].

- **المناسبات:**

لما نبَّه الله –تبارك وتعالى– في الآيات السابقة على كمال قدرته وانفراده– سبحانه– بخلق السموات والأرض وما فيهما، يستمر الحديث أيضًا عن مظاهر ومنها: أنَّه سبحانه هو الذي بيده الإحياء والإماتة، وأنَّه – تعالى– إليه منتهى الخَلق جميعًا، وهو الحشر يوم القيامة، فلما كان كذلك نَّبه المنكرين له بمبدأ أصلهم آدم – عليه السلام– وهو: الخلق من صلصال من حمأ مسنون، فكانت هذه الآية مناسبة لما قبلها من آيات من جهة إقامة الحجة على الكافرين والمشركين والمنكرين للبعث، وفي ذلك ذكرى وموعظة، وكذلك" تكملة لإقامة الدليل على انفراده تعالى بخلق أجناس العوالم وما فيها"[3]، وقال البقاعي (ت:٨٨٥هـ):" لما جرت سنته الإلهية أنَّه يذكر ابتداء الخلق دليلًا على الإعادة سابقًا ولاحقًا، وابتدأ هنا بذكر الحشر لما قام عليه من الدليل بإحياء الأرض، توقع السامع تفصيل ابتداء الخلق الذي هو أدل دليل على البعث بعد إجماله في قوله﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ﴾ فقال مفتتحًا بحرف التوقع:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا﴾أي بالعظمة الباهرة ﴿ ٱلْإِنسَٰنَ﴾...."[4].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥٩/١٤.

(٢) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير):١٨٣/١٩.

(٣) التحرير والتنوير: ٤٢/١٤.

(٤) نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور: ٤٢/١١.

- **الهدايات:**

- **فيها:** بيانٌ لأصل المادة التي خُلِق منها الإنسان الأول آدم –عليه السلام– وأنَّه مخلوق من غير أبوين.

- **وفي هذه الآية العظيمة من الهدايات:** الدلالة القاطعة على أنَّ آدم –عليه السلام– كونه أول إنسان ليس مع أبوين، مخلوقٌ لا محالة بقدرة الله –تبارك وتعالى–، قال الفخر الرَّازي (ت: ٦٠٤هـ) في مسائل هذه الآية:" ثَبَتَ بالدَّلائل القاطعة أنَّهُ يَمتنعُ القولُ بوجود حوادثَ لا أوَّل لها، وإذا ثَبَتَ هذا ظهر وُجوبُ انتهاءِ الحوادثِ إلى حادثٍ أوَّلٍ هو أَوَّلُ الحوادثِ، وإذا كان كذلك فلا بُدَّ منَ انتهاءِ النَّاس إلى إنسانٍ هو أوَّلُ النَّاسِ، وإذا كان كذَلك فذلك الإنسان الأوَّلُ غير مخلوق مع الأبوين؛ فيكونُ مخْلوقًا لا مَحالةَ بقُدرةِ اللَّه تعالى"[١].

- **قوله– تعالى–:﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾، فيه من الهدايات:**

أولًا: أنَّ الإنسان قد " سُمِّيَ بذلك، لأنه عُهِدَ إليهِ فنسيَ، ودخَلَ مَنْ بعدَهُ في ذلكَ؛ إذ هو من نسلِهِ. قاله ابن عباس [٢].

ثانيًا: توكيد الجملة بلام القسم وبحرف (قد)؛ لزيادة التحقيق تنبيهًا على أهمية هذا الخلق، وأنَّه بهذا الصفة"[٣].

- **قوله تعالى:** ﴿ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴾ يُلاحظ فيه تكرير « من »، ولعل في ذلك من الفوائد: التنبيه للاهتمام بالخبر، والتذكير بالتنوُّع في مراحل الطين الذي خُلِق منه آدم– عليه السلام–، وكذلك يمكن أن يقال إن هناك فائدة أخرى هي: ملائمة السياق لأنّ ما تعلَّقت به « مَنْ » الأولى غير ما تعلَّقت به الثانية، قال أبو الفرج ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ): كُرِّرت «

---

(١) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير):١٨٣/١٩.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية:٣٥٨/٣، ونقله مجير الدين بن محمد العليمي (ت: ٩٢٧هـ)– بلا عزو – في: فتح الرحمن في تفسير القرآن: ٥٤٨/٣.

(٣) التحرير والتنوير: ٤٢/١٤.

مَنْ» لأنَّ الأولى متعلقة بـ « خلقنا»، والثانية متعلقة بالصلصال، تقدير: ولقد خلقنا الإنسان من الصلصال الذي هو من حمأ مسنون"[١].

- **وفي الآية أيضًا** أنَّ:" المقصود من ذكر هذه الأشياء-صلصال، حمأ مسنون-" التنبيه على عجيب صنع الله- تعالى- إذ أخرج من هذه الحالة المهينة نوعًا هو سيِّد أنواع عالم المادة ذات الحياة"[٢]. فسبحان من جعلَ من تلك الحالة المهينة حالة جليلة.
- **وفيها:** أنَّ خَلقَ آدم من هذه المواد قد جاء على غاية السهولة والطواعية، لا بالمعاناة والفكر والتجربة.
- **وفيها:** دليلٌ قاطع على البعث يوم القيامة يُخرس ألسنة المنكرين له، لأنَّ من قَدَر على خلقهم- أي: خَلْق أصلهم الذي هم ذريته ونسله من بَعْده- من صلصال من حمأ مسنون، قادر بلا شكَّ على الإحياء من جديد بعد الموت.
- **وفيها:** تذكيرٌ للمشركين والمنكرين" بـخِسَّتِهم لئلا يُعْجبُوا بحالتهم. ويقال القيمة في القُربةِ لا بالتّربة؛ والنسب تربة ولكن النعتَ قربة"[٣].
- **وفيها:** تأثير في قلوب الموحدين الطائعين العابدين، وإكسابهم العديد من الصفات والأخلاق؛ مثل التَّواضع، وعدم التكبُّر والإعجاب والغرور؛ خاصة أنَّه – تعالى- قد أخبرهم بأصل تكوينهم، وإنَّ ذلك أدعى للطاعة، وأزجر للمعصية.
- **وفيها:** أنَّها من الآيات الدالة على عموم قدرته وعلمه، وإحكام صنعه، وحكمته في مراحل خلْق الإنسان الأول آدم -عليه السلام- إذ تتمُّ مراحل خلقهِ بترتيب إلهي دقيق متكامل بديع مُعْجِز، يُلقم الكافرين والمنكرين للبعث والملحدين والمشككين، ومدعي الشبهات حجرًا في تشكيكهم في مراحل خلْقِ الإنسان الأول، ولقد كانت بداية مراحل الخلق التراب الذي أضيف إليه الماء فصار طينًا ثم طينًا لازبًا، ثمَّ وصولًا إلى تلك المرحلة التي نتحدث فيها وهي: الحمأ المسنون، وهو الطين المتغيِّر لونه إلى السواد، ثمَّ تولَّد عن الحمأ المسنون الصلصال، و" اعلم أنه -تعالى-

---

(١) زاد المسير في عِلمِ التَّفسير:٣٩٨/٤.

(٢) التحرير والتنوير: ٤٢/١٤.

(٣) تفسير القُشَيْري المسمَّى لطائف الإشارات ، أبو القاسم القُشَيْري: ١٣٧/٢.

قادر على خقله من أي جنس أراد، بل هو قادرٌ على خلقه ابتداء، وإنما خلقه على هذا الوجه...؛ لأنَّ خلق الإنسان من هذه الأمور أعجب من خلقِ الشَّيءِ من جنسه"[1].

- **وفيها:** أنَّ التذكير بأصل الخِلقة وما فيها من ترتيب دقيق معجز؛ يُربّي في قلوب المؤمنين الصادقين الخشوع لله تبارك وتعالى، والإقبال عليه، والتوجُّه إليه، والرغبة فيما لديه، لأنّه سبحانه الخالق البارىء، وكل ما عداه مَخْلوق بقدرته وإرادته ومشيئته سبحانه، لا يعجزه شيء، وبيده كلُّ شيء، وإليه يرجع أمر كلّ شيء، وهو على كل شيء قدير.

وسبحان الله على ما أودع في هذه الآية العظيمة من هدايات متنوعة لا تنتهي عند هذا الحدّ، وإنَّما يوجد غيرها كثير لمن بذل الجهد في استنباطها، ولا غرو في ذلك فإنَّ القرآن الحكيم، كلام الله المعجز الذي لا تنقضي عجائبه.

---

(1) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر ابن عادل الدمشقي: ٤٥١/١١.

- المبحث السادس: مرحلة الخلْقُ من الصلصال:

قد جاء الحديث عن تلك المرحلة من خلْقِ أبينا آدم- عليه السلام- في عدد من الآيات الواردة في سورة الحجر، وسورة الرحمن، وذلك على النحو الآتي:

في سورة الحجر وَرَدَ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ **[** الحجر: ٢٦].

* **وقوله سبحانه:** ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨**]**.

* **وقوله تعالى:** ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٣٣].

وفي سورة الرحمن قد جاء:

* **قوله تعالى:** ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن : ١٤].

وإنَّني في هذا المبحث سأختار آية الرحمن؛ لتكون محور الحديث عن مرحلة الخلق من الصلصال، وذلك لبعض المزايا، ومنها: أنَّ الآية الواردة في سورة الرحمن جاء فيها ذكر الصلصال على جهة الإفراد دون ذكر أي مرحلة أخرى، كذلك جاء في هذا الآية الكريمة وصف أكثر للصلصال وهو أنَّه كالفخار، وإنَّ هذا الوصف للصلصال لم يرد في آيات سورة الحجر.

- المعنى الإجمالي للآية الواردة في سورة الرحمن:

في هذه الآية المباركة يبيّن الله -تبارك وتعالى- طورًا من أطوار التراب الذي خلقَ منه آدم، فيقول سبحانه: خلق الله الإنسان وهو أدم- عليه السلام- من صلصال كالفخار.

والصلصال قد أشرت إلى معناه فيما سبق، ولا بأس من إعادته هنا، وهو:" الطيِّنُ اليابس إذا نقرته سمعت له صلصلة، أي: صوتًا من يُبْسِه، قيل: أن تمسه النار فإذا أصابته النار فهو فخار، **هذا قول أكثر المفسرين**"[١]. على نحو ما ذكَرَ أبو إسحاق الثَّعْلبيُّ(ت:٤٢٧هـ).

وقال الفخر الرَّازي (ت:٦٠٤هـ) أيضًا: يقال: صلَّ الحديدُ صليلًا إذا حَدَثَ منه صوتٌ، وعلى هذا فهو الطين اليابس الذي يقع بعضه على بعضٍ فيحدث فيما بينهما صوت، إذ هو الطِّين اللازب الحُرُّ الذي التزق بالشيء ثم انفصل عنه دفعةً سُمِع منه عند الانفصال صوتٌ"[٢].

أمَّا ﴿ الْفَخَّارِ ﴾ فهو:" الذي قد طُبِخ من الطِّين بالنَّار[٣]، وهو الخَزَف"[٤]. وقال عبد الرحمن ابن مخلوف الثعالبي (ت:٨٧٥هـ):" الفخار: الطين الطَّيِّبُ إذا مَسَّهُ الماء فخر، أي: رَبَا وَعَظُمَ..."[٥]، وجاء في التفسير الوسيط:" الفخار: الخزَف، وهو ما أحرق من الطين حتى تحجَّر"[٦].

- **المناسبات:**

عن مناسبة تلك الآية قال القرطبي (ت:٦٧١هـ):" لمَّا ذكر الله – تعالى – خَلْقَ العالم الكبير من السماء والأرض، وما فيهما من الدلالات على وحدانيته وقدرته، ذَكَر خَلْقَ العالم

---

(١) الكشف والبيان، المعروف بتفسير الثَّعلبي: ٣٣٩/٥، وينظر كذلك: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: ٢٢٦/٥.

(٢) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرَّازي: ٩٨/٢٩.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطَّبري: ١٩١/٢٢، ١٩٢، والتحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ٢٤٥/٢٧

(٤) الكشاف، الزَّمخْشَري: ٧/٦، ومفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرَّازي: ٩٨/٢٩، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ١٧١/٥.

(٥) الجواهر الحسان في تفسير القرآن:٣٤٩/٥.

(٦) التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء:١٢٠٧/٩.

الصَّغير، فقال: خَلَقَ الْإِنْسانَ..."[1]، وقال البقاعي (ت: ٨٨٥هـ):" لمَّا كان قد تقدَّم في إشارة الخطاب الامتنان بخلق الإنسان، ثمَّ ذكر أصول النَّعم عليه على وجه بديع الشأن، إلى أن ذكر غذاء روحه: الريحان، أتبع ذلك تفصيلًا لما أجمل فقال: (خلق الإنسان) أي أصل هذا النوع الذي هو من جملة الأنام الذي خلقنا الريحان لهم والغالب عليه الأنس بنفسه وبما ألفه"[2]. وقيل عن مناسبة تلك الآية العظيمة أيضًا:" إنَّ الله سبحانه وتعالى لمَّا عدد كثيرًا من النعم، وكان بعضها يحتاج إلى زيادة إيضاح وبيان كخلق الإنسان، وحساب الشمس والقمر، وأسباب نمو الزرع والشجر .. فصَّل أحوالها على الترتيب السابق"[3]. وسواء هذا القول أو سابقه فإنَّه يُظهر مدى مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها.

- **الهدايات:**
- **فيها:** أنَّ بيانَ مراحل خلق أبي الإنس آدم- عليه السلام- من النعم العظيمة التي تتجلى فيها آثار قدرته، وبديع صنعته التى لا تكاد تُحصى وتتناهى، قال السَّعدي (ت: ١٣٧٦هـ):" وهذا من نعمه تعالى على عباده، حيث أراهم من آثار قدرته وبديع صنعته، أن ﴿خَلَقَ﴾ أبا الإنس وهو آدم -عليه السلام-﴿ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ **أي:** من طين مبلول، قد أحكم بله وأتقن، حتى جف، فصار له صلصلة وصوت يشبه صوت الفخار الذي طبخ على النار"[4].
- **وفيها:** أنَّه إذا قيل:" لماذا كان خلق الإنسان من صلصال كالفخار...؟ الجواب: لأنَّ صاحب الخلق، والأمر يريد ويفعل ما يريد! هذا هو فصل الخطاب في مثل هذه الأمور"[5]. فإن شاء خلقه من صلصال أو من غير شيء، سبحانه لا يعجزه شيء، ولا يمنعه شيء عن صنع شيء، وهو على كل شيء قدير.

([1]) الجامع لأحكام القرآن: ١٢٥/٢٠. ونقله أبو حفص عمر ابن عادل الدمشقي(ت: بعد ٨٨٠هـ) – بلا عزو- في: اللباب في علوم الكتاب،: ٣١٣/١٨.

([2]) نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور: ١١٢/١٣.

([3]) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الهَرَري: ٣٠٠/٢٨.

([4]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ص٨٢٩.

([5]) في ظلال القرآن ، سيد قطب: ٣٧٥٨/٦.

- **وفيها:** أنَّ ما قرَّره الخالق سبحانه وتعالى من خلق الإنسان من صلصال كالفخار هو الحقُّ والصواب، وليس للعقل البشري أن يقول غير ذلك.
- **وفيها:** إثبات لخلق الإنسان الأول من غير أبوين بل من صلصال كالفخار في مقابل إثبات خلق الجان من مارج من نار كما قال سبحانه: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ * وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ﴾ [الرحمن: ١٤، ١٥].
- **وفيها:** أنَّ اللفظ صلصال المُعبَّر به في هذه الآية العظيمة عن خلق آدم- عليه السلام- مختلف عن الألفاظ التي اسْتُعملت في المراحل السابقة، إذ يمثِّل الصلصال مرحلة تالية أو متولِّدة عن الحمأ المسنون.
- **وفيها:** أنَّ ذكر الصلصال هنا، والتراب في آية أخرى، الطين في آية ثالثة، والحمأ المسنون في آية رابعة أمرٌ لا تناقض أو شبهة فيه، **وإنَّما بيانٌ وإشارة** إلى اختلاف أطوار التراب الذي خُلِق منه آدم -عليه السلام-، وإنَّ طريق الجمع بين تلك الأطوار هو" أنه جعل التُّرابَ طينًا، ثم تركه حتَّى صار حمأ مسنونًا، ثم خلقه منه، وتركه حتى جفَّ، ويبس وصار له صلصلة"[١].
- **قوله- تعالى-:** ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ فيه هدايتان:

الأولى: جاء التعبير بلفظ ﴿خَلَقَ﴾ دون غيره من الألفاظ التي تترادف معه؛ لأنَّ لفظ الخلْقِ يختصُّ بالدلالة على:" الإيجاد على وفق تقدير سابق"[٢]، وما أجود قول أبي حاتم الرازي (ت:٣٢٢هـ) في الإشارة إلى دلالة اللفظ عند إسناده إلى الله الخالق – عزَّ وعلا -، حيث قال:" وإنَّما سَمَّى نفسه – عزَّ وجل- خالقًا؛ لأنَّه قدَّر الأشياء كلها ثمَّ أمضاها"[٣].

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر ابن عادل الدمشقي: ٤٥١/١١.

(٢) مجال الخلق في القرآن الكريم، دراسة في الفروق الدلالية، د/ عبد الكريم جبل: ص١٧٣.

(٣) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: ٥٣/٢.

الثانيـة: أنَّ المراد بالإنسان هنا: الإنسان الأول أصلُ الجِنْسِ، وهو: آدم – عليه السلام– وذلك باتفاق من أهل التأويل[1]. وفي ذلك إشارة إلى مبدأ أصل البشر؛ لئلا يغتروا ويتكبروا، بل يسمعوا ويطيعوا لخالقهم.

- **قوله تعالى:** ﴿ مِنصَلْصَٰلٍ﴾ قد اخْتُلِف في **اشتقاقِه** فقيل:" هو من صلّ: إذا أَنْتَنَ، فهي إشارة إلى الحَمْأَةِ، وقال الجمهور– **وقد أشرنا إلى ذلك سابقًا**–: هو من صَلَّ: إذَا صَوَّتَ[2]، وإنَّ رأي الجمهور أحجى وأوثق؛ لأنَّ الفخار ليسَ بمنتن، وعلى هذا يمكن القول: **إنَّ الاشتقاق يعدُّ طريقًا موصلًا لترجيح معنى على آخر، وكذلك يترتب على هذا الترجيح هداية من هدايات تلك الآية العظيمة،** وهي: أنَّ خلْقَ آدم– عليه السلام– كان من الطِّين الحُرِّ، أي الخالص من العيوب، وقد تنبَّه إلى ذلك غير واحد من أئمة التفسير مثل: أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، قال:" كان من جيد الطين وحُرِّه"[3]، وكذلك عبد الرحمن ابن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ) قال:" وذلك في الطين لجودته، **فهي إشارة إلى ما كان في تربة آدم من الطين الحُرِّ وذلك أَنَّ الله تعالى خلقه من طين مختلِفٍ،** فمرَّةً ذكر في خلقه هذا، ومرَّةً هذا، وكُلُّ ما في القرآن صفاتٌ ترددتْ على التراب الذي خُلِقَ منه"[4].
- **وفي الآية أيضًا:** أنَّ الفَخَّار **–** الطين المطبوخ بالنَّار حتَّى تحجَّر – " مستعملٌ على أصل الاشتقاق، وهو مبالغةُ الفاخر كالعَلَّام في العَالِم، وذلك أنَّ التُّراب الذي من شأنِه التَّفَتُّتُ إذا صار بحيث يُجْعَلُ ظرفَ الماءِ والمائِعَاتِ. ولا يَتَفَتَّتُ ولا ينْقَعُ فكأنَّه يفخر على أفراد جنسِه"[5].
- **قوله تعالى:**﴿ كَٱلْفَخَّارِ﴾ نعت لصَلصال"[1]. هذا ظاهر كلام معظم المفسرين غير أنَّ الطاهر ابن عاشور(ت: ١٣٩٣هـ) يُظهِر رأيًا آخر فيقول:" والذي يَظْهَرُ لي أنْ يكونَ كالفَخَّارِ

---

(1) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: ٢٢٦/٥، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٢٥/٢٠.

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرجمن ابن مخلوف الثعالبي:٣٤٩/٥.

(3) تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، أبو منصور الماتريدي: ٤٦٧/٩.

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن:٣٤٩/٥.

(٥) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرَّازي: ٩٨/٢٩.

حـالًا مـن الإنسـان، أي: خَلَقَـهُ مـنْ صَلْصـالٍ فصـار الإنسَـانُ كالفَخَّـار فـي صُـورَةٍ خاصَّـة وصلابة"[٢]، وهذا رأي أحرى أن يؤخذ به، إذ فيه توفيق كبير، وهو قوي حسن.

- **وفي الآية أيضًا:** أنَّ تشبيه الصلصال بالفخار **في قوله- تعالى-:** ﴿صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ ، **فيه تذكير** للبشر بعظيم قدرة الخالق- سبحانه- وبديع صنعته في أصل مبدأهم، وخلقهم من هذا الحال، وفيه تنبيه كذلك لتراتبية مراحل خلق آدم- عليه السلام-، واعتدالها، وكذلك إشارة إلى أنَّ الإنسان مخلوق ضعيف، وذلك كله أدعى للاعتبار والشكر واليقظة لهذا الإعجاز والإبداع، وأزجر للإنكار والجحود والغفلة عن آيات الله الدالة على وحدانيته وعظمته، وتفرُّده بالخلْقِ.

وانظر كم هي ألفاظ هذه الآية العظيمة وحروفها؟ - فستجد أنَّها أربع كلمات وحرفين-، ثم انظر كم في هذه الآية من هدايات لا تتناهى إلى هذا الحدِّ؟ بل فيها زيادة لمن بذل الجهد وأعمل العقل في استنباطها. ثم قلِّ لي ما هذا الإعجاز والإيجاز؟ وبالكاد سيقصر عن الجواب بيانك، ويستعجم عن الإظهار لسانك؛ لأنَّه القرآن العظيم كلام الله رب العالمين، وسنام الكتب السماوية ومصداقها.

---

(١) التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري : ١١٩٨/٢.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٤٥/٢٧.

- المبحث السابع: مرحلة التسوية ونفخ الروح:

تلك هي مرحلة التشريف والمَكْرُمة، تلك هي المرحلة التي يبلغ فيها خلقُ الإنسان غاية الكمال، وقد دلَّت عليها الآيتين الآتيتين، وهما:

* **قوله تعالى:** ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

* **وقوله سبحانه:** ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص : ٧٢].

- المعنى الإجمالى للآيتين:

في هاتين الآيتين العظيمتين يتجلَّى الإعجاز الإلهي في خلق الإنسان الأول؛ إذ يُخبرُ الله – تباركت أسماؤه– عن المرحلة التي يتم فيها تخليق آدم– عليه السلام–، والتي تتمُّ بالتسوية أولًا ثمَّ التشريف بنفخ الروح ثانيًا، الذي تبعه سجود الملائكة تنفيذًا لأمره – جلَّ في علاه، وتكريمًا لأبي البشر آدم عليه السلام.

ومعنى التَّسوية: تعديل الشيء، قال الفخر الرَّازي (ت: ٦٠٤هـ):" التَّسويةُ عبارة عنْ تَخْلِيقِ الأبْعَاضِ، وَالأعْضاء وتعديلِ المِزاج، والأشباح"[(١)].

أمَّا الروح: فقد انقسم العلماء والمفسرون في الحديث عنها إلى فريقين، أحدهما: حاول تعريفها، مثل: الإمام الواحدي(ت: ٤٦٨هـ) قال:" الرُّوح جسمٌ رقيقٌ يحْيا به البدن"[(٢)]. وقال أبو المظفَّر السمعاني (ت: ٤٨٩هـ):" : جسمٌ لطيفٌ يحيا به الإنسانُ"[(٣)]. وتابعه – بلا عزو له– الإمام البَغَوي (ت: ٥١٦هـ)[(٤)]، وكذلك نقل هذا القول– بلا عزو– مجير الدين بن محمد العليمي

---

(١) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير): ٥٢/٢١.

(٢) التفسير البسيط: ٦٠١/١٢.

(٣) تفسير القرآن: ١٣٨/٣.

(٤) معالم التنزيل: ٣٨٠/٤.

(ت: ٩٢٧هـ)[١]. وغير ذلك من الأقاويل والتعريفات التي تختلف في ألفاظها من بيئة علمية لأخرى.

الثاني: قد أَمْسَك عن الحديث عن الروح، مثل: الفراء (ت: ٢٠٧هـ) قال:" من علم ربِّي، ليس من علمكم"[٢]، وقال الواحدي :" قال الفراء: الروح الذي يعيش به الإنسان لم يخبر الله به أحدا من خلقه، ولم يعط علمه أحدا من عباده"[٣]. وكذلك ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) قال: لا تُعلم ماهيَّتها"[٤]، وغيرهم من الذين أمسكوا عن تعريف الروح.

وهذا الرأي هو الأولى والأحجى؛ لأنَّ الله- تبارك وتعالى- لم يطلع على الروح ملكًا من الملائكة المقربين، ولا نبيًا من الرسل الأكرمين، حتى أكرم الخلق، وسيد النبيين محمد – صلى الله عليه وسلم- الذي خاطبه ربه فقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]. وكلام الخالق- سبحانه – أولى بالالتزام والاتباع.

- **المناسبات:**

لما كان الحديث في الآيات السابقة عن أطوار التراب الذي خُلِق منه آدم – عليه السلام-، وهي: حمأ المسنون ثم صلْصال كالفخار، ثم ذَكَر -سبحانه – خَلْقَ إبليس من نار السَّموم، جاءت هذه الآية المباركة تبيِّنُ المرحلة الأخيرة من تخليق آدم – عليه السلام- ، وهي التسوية ثم النفخ في الروح، وتحكي كذلك واقعة أمر الله- تبارك وتعالى- الملائكة بالسجود – لآدم عليه السلام-، ثم الآيات التي بعدها تبيِّن طاعة الملائكة وتنفيذهم لهذا الأمر إلا إبليس الخبيث أبى أن يكون من

---

(١) فتح الرحمن في تفسير القرآن : ٥٤٩/٣.

(٢) معاني القرآن: ١٣٠/٢.

(٣) التفسير الوسيط: ١٢٦/٣. قد بحثت عن هذا القول في معاني القرآن للفراء، ولم أقف عليه، والكلام يتوافق مع ما أثبته عنه، فلا تعارض.

(٤) زاد المسير في عِلمِ التَّفسير:٤٠٠/٤.

الساجدين، قال تعالى:﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٠،٣١].

- **الهدايات:**

- **فيها:** بيانٌ للمرحلة التي يكتمل فيها تخليق الإنسان الأول أصل البشر آدم –عليه السلام–، وذلك بتسويته ثم نفخ الروح " هذه النفخة العلوية التي فرَّقت بينه وبين سائر الأحياء، ومنحته خصائصه الإنسانية، التي أفردته منذ نشأته عن الكائنات الحية؛ فسلك طريقًا غير طريقها منذ الابتداء. بينما بقيت هي في مستواها الحيواني لا تتعداه!

هذه النفخة التي تصله بالملأ الأعلى وتجعله أهلا للاتصال بالله، وللتلقي عنه؛ ولتجاوز النطاق المادي الذي تتعامل فيه العضلات والحواس إلى النطاق التجريدي الذي تتعامل فيه القلوب والعقول. والتي تمنحه ذلك السر الخفي الذي يسرب به وراء الزمان والمكان، ووراء طاقة العضلات والحواس إلى ألوان من المدركات، وألوان من التصورات غير محدودة في بعض الأحيان"[١].

- **وفيها:** موعظة وذكرى بإبداع القوي وآثار قدرته التى لا منتهى لها، وتذكير أيضًا بتشريف آدم – عليه السلام– أصل البشر وتكرمةِ الله الخالق سبحانه وتعالى على البشر، سبحانه لا مَكْرُمة إلا منه.
- **قوله – تعَالى–:** ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ فيه من الهدايات:

أولًا: فيه هداية إلى معرفة الدقة في الاختيار القرآني للفظ التسوية دون غيره من الألفاظ المترادفة معه، ويتَّضح ذلك من خلال الوقوف على التلاقي الدلالي[٢] بين المعنى القرآني، والمعنى اللغوي، وبيان ذلك: أنَّ معنى سويته" عدلتُ خلْقَته، وأكملْتُها، وهيَّأتها لنفْخِ الرُّوح فيها"[٣]، وقال

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب :٢١٩٣/٤.

(٢) سبقت الإشارة – في المبحث الثاني– إلى المقصود بالتلاقي الدلالي بين دلالة الألفاظ في أصل وضعها، ومدلولاتها المجازية، وما ينتج عن ذلك من هدايات.

(٣) الكشاف: ٤٠٥/٣.

الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ):" قد أطلقت – التسوية– هنا على اعتدال العناصر فيه واكتمالها بحيث صارت قابلة لنفخ الرُّوح"[١]. هذا اللفظ في السياق القرآني.

أمَّا إذا عدنا إلى اللغة، فإنَّ معنى الجذر اللغوي (سوى) تدور استعمالاته حول معنى اعتدال الشيء واستقامته، قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ) السين والواو والياء أصلٌ يدلُّ على استقامة واعتدال بين شيئين [٢]، وقال ابن سيده (ت: ٤٥٨هـ) استوى الشَّيء: اعتَدل"[٣]. فما رُمت إليه واضح بلا أدنى شبهة، ويزيد وضوحًا من خلال النقطتين الآتيتين.

ثانيًا: قد جاء ذِكْرُ التسوية بالماضي؛ لأنَّ تسوية سيدنا آدم– عليه السلام– لا تتجدد في الدنيا.

- **وفي الآية أيضًا:** أنَّ الجمع بين التَّسوية ونفخ الروح في الآية الكريمة ؛ للتمييز بين البشرية، وبين نفخ الروح، قال الفخر الرَّازي (ت: ٦٠٤هـ)" دلَّ ذلك على أنّ جوْهَرَ الرُّوحِ مَعْنًى مُغَايرٌ لِجوْهَرِ الجسَدِ"[٤]. وقال: التَّسويةُ راجعة إلى القالب ونفخ الروح إشارة إلى إبداع القوي"[٥].
- **قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ ، فيه من الهدايات:**

أولًا: معرفة وجه المناسبة بين معنى اللفظ في أصل وضعه ومعناه المجازي أو المؤول، ويترتب على ذلك تقرير المعنى المؤول للفظ القرآني، وترجيحه على غيره من المعاني المتعددة التي تجدها لأئمة التفسير، **ويتحقَّق ذلك – من وجهة نظري– من خلا ل الوقوف على التلاقي الدلالي** بين دلالة الاستعمال القرآني للفظ النفخ، وبين أصل معناه في اللغة، **وبيانه:** أنَّ أصل النَّفخ في اللغة: نَفْخُ الرِّيحِ في الشيءِ"[٦]– على حدِّ قول الرّاغب الأصفهاني (ت: نحو ٤٢٥هـ)–، وقال

---

(١) التحرير والتنوير: ٤٤/١٤.

(٢) مقاييس اللغة (س و ى): ١١٢/٣.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم (س و ى): ٦٤٠/٨.

(٤) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير): ٥٢/٢١.

(٥) السابق نفسه: ٦٤/٢٢، ٦٥.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن الكريم (نفخ): ص٨١٦.

الفخر الرَّازي (ت: ٦٠٤هـ):" أصل النَّفخ: إجراء الرِّيح في تجويف جسمٍ آخر"[١]. وعبارة السمين الحلبي(ت:٧٥٦هـ):" النّفْخُ: نَفْخُ الرِّيحِ في الشيءِ، **هذا أصله**[٢].

وقد فسَّر أئمتنا المعنى القرآني على هَدي من أصل معنى النَّفخ في اللغة، في محاولة لإثبات التلاقي بينها وبين المعنى المجازي، ومن أقولهم الدَّالة على صواب ما ذكرته: قول الإمام الواحدي (ت: ٤٦٨هـ):" ولمَّا أجرى الله- عز وجلَّ- الرُّوح في بدن آدم على صفة إجراء الريح؛ كأن قد نفخ فيه الروح"[٣].

وقال الزَّمخْشَري(ت: ٥٣٨هـ):" ومعنى﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ وأحييتُه، وليس ثمَّةَ نفخٌ ولا منفُوخ، وإنَّما هو تمثيلٌ لتحصيلِ ما يَحْيَا به فيه"[٤].

وقال أبو الفرج ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ):" وإنما سمي إجراء الروح فيه نفخًا، لأنها جرت في بدنه على مثل جري الريح فيه"[٥].

وقال الإمام شرف الدين الطِّيبي(ت:٧٤٣هـ):" لما كان الرُّوح يتعلَّقُ أولًا بالبخار اللطيف المنبعثِ من القلب، وتفيض عليه القوةُ الحيوانيَّةُ فيَسري حاملًا لها في تجاويف الشرايين إلى أعماق البدَن، جعل تعلّقَه بالبدن نفخًا""[٦].

هذا هو رأيهم في التوفيق بين الاستعمال القرآني، وبين الاستعمال العربي القديم أو حقيقة اللفظ في اللغة، وكلها آراء مقبولة تقرِّب المعنى وتوضِّحه، وبذلك فإنَّنا قد استفدنا معرفة وجه

---

(١) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير): ١٨٦/١٩، ونقله الإمام شرف الدين الطِّيبي(ت:٧٤٣هـ) بلا عزو- في: فتوح الغيب في الكشْفِ عن قناع الرَّيب: ٣٢/١٩.

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (نفخ):٤٩٥/١.

(٣) التفسير البسيط: ٦٠١/١٢.

(٤) الكشاف: ٤٠٥/٣.

(٥) زاد المسير في عِلمِ التَّفسير:٤٠٠/٤.

(٦) فتوح الغيب في الكشْفِ عن قناع الرَّيب: ٣٢/١٩.

المناسبة بين الاستعمالين، وأنَّه لا تعارض بين معنى اللفظ في اللغة ومعناه في القرآن بل إنَّ الاستعمال القرآني يتَّسم بالدِّقة في اختيار الألفاظ وتوظيفها توضيفًا وراءه العديد من الأسرار والحكم، والأوفق – من وجهة نظري– في ذلك إجراء ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ **على منوال قوله – سبحانه–** ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]؛ لأنَّ نفخ الروح إشارة إلى قدرة القادر، وإبداع القوي– سبحانه–.

ثانيًا: إضافة روح آدم إلى نفسه – سبحانه– في قوله: ﴿ مِن رُّوحِي ﴾ للتشريف، قال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ):" وأضاف روح آدم إليه تكرمةً لِما كرَّمه وشَرَّفه، وهي إضافة المِلْك"(١). وقال الفخر الرازي (ت: ٦٠٤هـ):" إنَّما أضاف الله سبحانه روح آدم إلى نفسه تشريفًا له وتكريمًا"(٢).

- **وقال الطَّاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ):**" وإسنادُ النَّفخ وإضافة الروح إلى ضمير **الجلالة** تنويهٌ بهذا المخلوق. وفيه إيماءٌ إلى أنَّ حقائق العناصر عند الله – تعالى– لا تتفاضل إلَّا بتفاضل آثارها وأعمالها، وأنَّ كراهة الذات أو الرائح إلى حالةٍ يكرهُها بعض النَّاس أو كلُّهم إنَّما هو تابع لما يُلائم الإدراك الحسِّي أو ينافره تبعًا لطباع الأمزجةِ أو لإلفِ العادة ولا يُؤْبَه في علم الله تعالى. وهذا هو ضابط وصف القذارة والنَزاهةِ عند البشر"(٣).
- **وفي الآية من الهدايات:** أنَّه إذا قيل:" لماذا ذُكر للملائكة المادة التي منها خلقُ البشر؟، الجواب: ليعلموا أنَّ شرف الموجودات بمزاياها لا بمادة تركيبها"(٤).
- **قوله تباركت أسماؤه: ﴿ فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ فيه من الهدايات:**

أولًا: الفاء:" فاء التعقيب وذلك يمنع التراخي"(٥).

---

(١) التفسير البسيط: ٦٠١/١٢.

(٢) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير): ١٨٦/١٩

(٣) التحرير والتنوير: ٤٤/١٤.

(٤) السابق نفسه.

(٥) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرَّازي: ١٨٦/١٩.

ثالثًا: أنَّ السجود لآدم – عليه السلام– لم يكن سجود عبادة وصلاة وإنَّما تحيَّة وتكرمة، وبذلك قال أكثر المفسرين[1].

وإنّي لأعجب من عظمة هذه الآية المباركة وكمالها، وجلالها، وإعجازها، وما فيها من علوم غامضة لا تصل إليها عقولنا، وما أودع الله عزَّ وجل فيها من هدايات لا تُحصر، ولا تنتهي عند هذا الحد، وأقصى ما يمكن قوله: إنَّه القرآن الكريم الذي لا تنفد أسراره، ولا تتناهى هداياته.

(1) ينظر: الكشف والبيان، المعروف بتفسير الثَّعلبي، أبو إسحاق الثعلبي: ٣٤٠/٥، والتفسير البسيط، الواحدي: ٦٠١/١٢، وفتح الرحمن في تفسير القرآن ، مجير الدين بن محمد العليمي: ٥٤٩/٣

- المبحث الثامن: مرحلة خلقُ أمِّنَا حوَّاء من آدم- عليهما السلام-:

بعد أنْ تمَّت مراحل خلق أبينا آدم عليه السَّلام- وكلُّ مرحلة هي أكبر من أختها- على نحو ما بيَّنت الآيات القرآنية العظيمة، خَلَقَ الله- تبارك وتعالى- أُمَّنا حواء من آدم، وهي بذلك قد خُلقت من ذكر من غير أنثى، كما جاء في الآيات الكريمة، وهي:

* **قولــه تعــالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

* **وقولـه تعـالى:** ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

* **وقوله تعالى:** ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَاجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾ [الزمر: ٦] .

- المعنى الإجمالى للآية الأولى:

في هذه الآية العظيمة المباركة، يخاطبُ ربنا تبارك وتعالى خلقَه من الناس، ويأمرهم بالتقوي التي هي أثر عبادته- تبارك وتعالى- وحده، لا شريك له، ولا تكون لأحد سواه؛ لأنَّه سبحانه خالقكم من من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وذرأ منهما رجالًا كثيرًا ونساءً تشعبوا في كل مكان من الأرض، ثم أمر ربنا بالتقوى مجدَّدا، وتقوى الأرحام كذلك تنبيها على مكانتها والنهي عن قطيعتها، وقد خُتِمت الآية بتبيان أنَّ الله سبحانه وتعالى رقيب أي: مراقب لجميع الأعمال والأحوال.

والنفس الواحدة: هي آدم – عليه السلام-، وذلك باتفاق أكثر أهل التأويل[1].

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرَّازي: ١٦٧/٩، وتفسير القرآن العظيم، أبو الفداء ابن كثير: ٢٠٦/٢.

و" الزوج: حوَّاء ، فـ" إنَّ حواء أخرجت من **آدم** من **ضلعه**، كما يقتضيه ظاهر قوله « **مِنْهَا**»[1]. أو قد " يكون المقصود به أنه خلقها من الجنس نفسه، وبالطريقة نفسها؟ وذلك يصح أيضًا، فسبحانه قد اكتفى بذكر خلق آدم عن ذكر خلق حوّاء، وأعطانا النموذج في واحد، وقال:﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾"[2].

- **المناسبات:**

إنَّ منْ جَلال ترابط القرآن الكريم وتناسبه، أنَّ ذلك الترابط والتناسب لا يكون بين الآيات داخل السورة الواحدة فقط ، بل يتعداه إلى كونه بين السور أيضًا، وهذا إنْ دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على أنَّ كلام الله تبارك وتعالى قد بلغ فيه الترابط والتناسب الأمد الأقصى في جميع الوجوه. فعن تناسب بداية سورة النساء مع آخر السورة التي سبقتها قال الطَّبْرَسي (ت: ٥٤٨هـ):" لمَّا ختم الله تعالى السورة التي ذكر فيها آل عمران بالأمر بالتقوى، افتتح أيضًا هذه السورة به، إلا أنَّ هناك ما خصَّ به المؤمنين، وعمَّ به سائر المكلفين"[3].

أمَّا عن المناسبة بين الآية وبين ما بعدها من آيات، فقد قال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): وتأمل كيف افتتح هذه السورة بالأمر بالتقوى، وصلة الأرحام والأزواج عمومًا، ثم بعد ذلك فصل هذه الأمور أتمَّ تفصيل، من أول السورة إلى آخرها. فكأنها مبنية على هذه الأمور المذكورة، مفصلة لما أجمل منها، موضحة لما أبهم"[4].

وقال الطَّاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ):" قد اشتملت- سورة النساء- على أغراض وأحكام كثيرة أكثرها تشريع معاملات الأقرباء وحقوقهم، **فكانت فاتحتها مناسبة** لذلك بالتذكير بنعمة خلق

---

(١) التحرير والتنوير: ٤/٢١٥.

(٢) تفسير الشعراوي : ٧/٤٠٥٩.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣/٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ص١٦٣.

الله، وأنَّهم محقوقون بأن يشكروا ربهم على ذلك، وأن يُراعوا حقوق النوع الذي خلقوا منه، بأن يصلوا أرحامهم القريبة والبعيدة..."[١].

- **الهدايات:**
- **فيها:** أنَّ هذه الآية العظيمة التي هي مفتتح سورة النساء، بمنزلة الديباجة التي أُجْمِلَت فيها أمورٌ كثيرة، وتكاليف عظيمة ثمَّ فُصِّلَت أتمَّ تفصيلٍ، وبُيِّنت أبلغَ بَيَانٍ.
- **وفيها:** إرشاد إلى أنَّ أصل خلقِ البشر بدايته آدم وحواء عليهما السلام.
- **وفيها:** بيان السِّر في كون الزوج من جنس الزوج وهو الألفة والأنس والتعاون"[٢].
- **قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾**، قال الطَّاهر ابن عاشور(ت: ١٣٩٣هـ):" جاء الخطاب بيأيُّها الناس: ليشمل جميع أمَّة الدعوة الذين يسمعون القرآن يومئذ وفيما يأتي من الزمان. فضمير الخطاب في قوله« خلقكم» عائد إلى النَّاس المخاطبين بالقرآن، أي لئَلَّا يختصُّ بالمؤمنين – إذ غير المؤمنين حينئذ هم كفَّار العرب– وهم الذين تلقَّوا دعوة الإسلام قبل جميع البشر؛ لأنَّ الخطاب جاء بلغتهم، وهم المأمورون بالتبليغ لبقية الأمم..."[٣].
- **وفيها:** أنَّ المقصود من التَّقوى في قوله: ﴿ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ اتقاء غضبه، ومراعاة حقوقه، وذلك حقٌّ توحيده والاعتراف له بصفات المال، وتنزيهه عن الشركاء في الوجود والأفعال والصفات"[٤].
- **وفيها:** أنَّه سبحانه قد " قرن الأمر بتقواه بالأمر ببر الأرحام، والنهي عن قطيعتها؛ **ليؤكد هذا الحق،** وأنَّه كما يلزم القيام بحق الله، كذلك يجب القيام بحقوق الخلق، خصوصًا الأقربين

---

[١] التحرير والتنوير: ٢١٣/٤.

[٢] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري: ٢٧٤/٢.

[٣] التحرير والتنوير: ٢١٣/٤.

[٤] السابق نفسه.

منهم، بل القيام بحقوقهم هو من حق الله الذي أمر به"[1]. وقال الفخر الرَّازي (ت: ٦٠٤هـ):" دل قوله تعالى (والأرحام) على تعظيم حق الرَّحم وتأكيد النهي عن قطعها..."[2].

- **وقال السعدي (ت: ١٣٧٦هـ):**" افتتح تعالى هذه السورة بالأمر بتقواه، والحثُّ على عبادته، والأمر بصلة الأرحام، والحثّ على ذلك. **وبيَّن السبب الداعي الموجب لكل من ذلك،** وأن الموجب لتقواه أنْ ﴿رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾ ورزقكم، وربـاكم بنعمـه العظيمـة، التـي مـن جملتهـا خلقكم ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾" [3].
- **قال الفخر الرازي (ت: ٦٠٤هـ):**" أجمع المسلمون على أنَّ المراد بالنَّفس الواحدة ههنا آدم عليه السلام، إلَّا أنَّه أنَّثَ الوصف على لفظ النفس، ونظيره قوله تعالى:(**أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ**) – [الكهف: ٧٤]–..."[4].
- **وفيها:** أنَّ الإخبار من الله – سبحانه– بأنْ خَلَقَنَا من ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾؛ محلُّ النِّعمة والمنَّة، قال الطَّبْرَسي(ت: ٥٤٨هـ):" وإنَّما منَّ علينا تعالى بأن خلقنا من نفسٍ واحدة، لأنَّه أقرب إلى أن يعطف بعضنا على بعض، ويرحم بعضنا بعضًا لرجوعنا جميعًا إلى أصلٍ واحد، وذلك أبلغ في القدرة وأدلُّ على العلم والحكمة"[5].
- **وفيها:** أنَّ (مِن) في قوله سبحانه: ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾" لابتداء الغاية[6]، وفي ذلك دلالة أنَّ مبدأ خلق الآدميين يعود إلى أصل واحد، هو نفس آدم – عَلَيْهِ السَّلَام – أبيكم.
- **وفيها: أنَّ** " وَصْل« خلقكم» بصلة « من نفسٍ واحدة» إدماج للتنبيه على عجيب هذا الخلق وحقّه بالاعتبار"[1].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ص١٦٣.

(٢) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرَّازي: ١٧٢/٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ص١٦٣.

(٤) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرَّازي: ١٦٦/٩.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٧/٣، وينظر كذلك: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي: ص١٦٣.

(٦) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتَجَب الهَمَذَانيّ: ١٩٨/٢.

- **وفيها:** أنَّ كونه سبحانه خالقًا لنا ﴿ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ على وجه مخصوص، والمقصود بها نفس: آدم عليه السَّلام فإنَّ ذلك" يُوجب علينا الطاعة، والاحتراز عن المعصية"[٢]، وأرى أنَّ وجه الوجوب في ذلك الطاعة طريق موصلة إلى مرضاة الله تبارك وتعالى، وأنَّ المعصية طريق موصلة إلى غضبه والطرد من رحمته، كما أنَّ المعصية طريق إبليس الذي سلكه حين اعترض على أمر خالقه.
- **وفيها:**" أنَّ الناس إذا عرفوا كون الكلّ من شخصٍ واحد تركوا المفاخرة، والتكبر، وأظهروا التواضع، وحسن الخلق"[٣].
- **قوله تعالى:** ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ المراد من هذا الزوج هو حوَّاء...، قال أبو المظفَّر السمعاني (ت: ٤٨٩هـ):" وَسميت حَوَّاء؛ لأَنَّهَا خلقت من حَيّ[٤]، و" الذي عليه الأكثرون أنَّه لما خلق آدم ألقى عليه النَّوم، **ثم خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى، فلما استيقظ رآها ومال إليها وألفها؛ لأنَّها كانت مخلوقة من جزء من أجزائه**"[٥]، وحجتهم على ذلك قول النبي – صلَّى الله عليه وسلم:" « إنَّ المرأة خُلقَتْ منْ ضِلْعٍ. لن تستقيم لك على طريقة، فإن اسْتَمْتَعْتَ بها استَمْتَعْتَ بِها وَبِهَا عِوَجٌ. وإن ذهبت تُقيمُهَا كَسَرْتَها وكَسْرُهَا طَلَاقُها»"[٦]، ففي الحديث دلالة على كيفية خلقِ أمنا حوَّاء من أبينا آدم– عليهما السلام–.
- **وفيها:** أنَّه إذا قال بعض المتحذلقين: أي فائدة في خلقها من ضلع والله تعالى قادر على أن يخلقها من تراب ؟، فالجواب قد بيَّنه الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، وذلك قوله:" إنَّ فائدة ذلك سوى الحكمة التي خفيت عنا إظهار أنه سبحانه قادرٌ على أن يخلق حيًّا من حي، لا على

---

(١) التحرير والتنوير: ٢١٥/٤.

(٢) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرَّازي: ١٦٥/٩.

(٣) السابق نفسه: ١٦٦/٩.

(٤) تفسير القرآن: ٣٩٣/١.

(٥) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرَّازي: ١٦٧/٩، وينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء ابن كثير: ٢٠٦/٢.

(٦) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، حديث رقم(١٤٦٨): ١٠٩١/٢، والسنن الكبرى، أبو بكر البيهقي، باب حقُّ المرأة على الرجل، حديث رقم(١٤٨٣٩): ١١٥/١٥.

سبيل التوالد– كما أنه قادر على أن يخلق حيًّا من جماد كذلك– ولو كانت القدرة على الخلق من التراب مانعة عن الخلق من غيره لعدم الفائدة، لخلق الجميع من التراب بلا واسطة لأنه سبحانه– كما أنه قادر على خلق آدم من التراب– هو قادر على خلق سائر أفراد الإنسان منه أيضا، فما هو جوابكم عن خلق الناس بعضهم من بعض مع القدرة على خلقهم كخلق آدم عليه السلام فهو جوابنا عن خلق حواء من آدم مع القدرة على خلقها من تراب»[1].

- **وفيه أيضًا– أي: قوله سبحانه:﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾**–:" **تنبيهٌ على** مراعاة حق الأزواج والزوجات والقيام به، لكون الزوجات مخلوقات من الأزواج، فبينهم وبينهن أقرب نسب، وأشد اتصال، وأقرب علاقة"[2].
- **وفي الآية أيضًا:** أنَّ (مِن) في قوله تعالى:﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾" **تبعيضية**. ومعنى التبعيض أنَّ حوَّاء خلق من جزء من آدم..."[3]، أو" خلقها من الجنس نفسه، وبالطريقة نفسها؟ وذلك يصح أيضًا، فسبحانه قد اكتفى بذكر خلق آدم عن ذكر خلق حوّاء، وأعطانا النموذج في واحد، وقال: ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾"[4]، وفي ذلك إرشاد إلى أنَّ " خلقها منه لم يكن بتوليد كخلق الأولاد من الآباء فلا يلزم منه ثبوت حكم البنتية والأختية فيها"[5].
- **وفيها:** إرشاد إلى أمر الله الكوني القدري في جعلِ وجود المرأة مستندًا إلى الرَّجل من جهة خلقها منه، واستنادها عليه، وكذلك يكون الأمر الكوني القدري في الحياة بأن تكون المرأة مستندة عليه في جميع شئون حياتها، قال محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ): إنَّ المرأة الأولى كان وجودها الأول مستندًا إلى وجود الرجل وفرعًا عنه. وهذا أمر كوني قدري من الله، أنشأ المرأة في إيجادها الأول عليه. وقد جاء الشرع الكريم المنزل من الله ليُعمل به

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: ٣٩٣/٢، وينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوَّى: ٩٨٧/٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ص١٦٣.

(٣) التحرير والتنوير: ٢١٥/٤.

(٤) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي : ٤٠٥٩/٧.

(٥) فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان:٩/٣.

في أرضه، بمراعاة هذا الأمر الكوني القدري في حياة المرأة في جميع النواحي، فجعل الرجل قائمًا عليها، وجعلها مستندة إليه في جميع شؤونها"[١].

- **وقوله تعالى﴿ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾؛" ليناسبها**، فيسكن إليها، وتتم بذلك النعمة، ويحصل به السرور"[٢].
- **وفي الآية من الهدايات:** أنَّه سبحانه لم يقل:"« وبثَّ منهما الرجال والنِّساء»؛ لأنَّ ذلك يوجبُ كونَهما مبثوثين عن نفسِهما، وذلك محالٌ، فلهذا عَدَل عن هذا اللفظ إلى قوله: « وبثَّ منهما رجالًا كثيرًا ونساءً»"[٣].
- **وفيها:** أنَّه" إن قيل: لِمَ لمْ يَقُل: وبثَّ منهما رجالًا كثيرًا ونساء كثيرًا؟ ولم خصَّصَ وصف الكثرة بالرجال دون النِّساء؟. فالجواب:" أنَّ شهرة الرجال أتمّ، فكانت كثرتهم أظهر، فلا جرم خُصُّوا بوصف الكثرة، وهذا كالتنبيه على أنَّ اللائق بحال الرجال الاشتهار والخروج والبروز، واللائق بحال النِّساء الاختفاء والخمول"[٤].
- **وفيها أيضًا:** أنَّه الاستغناء بوصف أحدهما عن الآخر، جائز في اللغة[٥]، ولعل في ذلك دلالة على أنَّهما سواء في أصل الخلقة والتكليف، وأنَّهما متوائمين وليسا متخالفين ومتضادين.
- **وفيها:** دلالة على المعاد؛" لأنَّه تعالى لمَّا كان قادرًا على أن يخرج من صلب شخص واحد أشخاصًا مختلفين، وأن يخلق من قطرة من النُّطفة شخصًا عجيب التركيب لطيف الصورة، فكيف يستبعد إحياء الأموات وبعثهم ونشورهم، فتكون الآية دالة على المعاد من هذا الوجه (لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ)- [النجم: ٣١] -"[٦].

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٦٦٨/٧، ٦٦٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ص١٦٣.

(٣) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرَّازي: ١٦٨/٩.

(٤) السابق نفسه: ١٦٨/٩، ١٦٩.

(٥) ينظر: اللباب في علل الإعراب، أبو البقاء العُكبَري: ١٥٣/١.

(٦) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرَّازي: ١٦٦/٩.

- **وفيها: من** الفوائد: أنَّ العقل لا دليل فيه على أنّ الخلق يجب أن يكونوا مخلوقين من نفس واحدة، بل ذلك إنَّما يعرف بالدلائل السمعية، وكان النبي – صلَّى الله عليه وسلم– أميًّا ما قرأ كتابًا ولا تلمذ لأستاذ، فلمَّا أخبر عن هذا المعنى كان إخبارًا عن الغيب فكان معجزًا، فالحاصل أنَّ قوله (خلقكم) دليل على معرفة التوحيد، وقوله (من نفس واحدة) دليل على معرفة النبوة"[١].
- **وفيها:**" تلويحٌ للمشركين بأحقِّية اتباعهم دعوة الإسلام؛ لأنَّ الناس أبناء أب واحد، وهذا الدين يدعو النَّاس كلّهم إلى متابعته ولم يخصّ أمة من الأمم أو نسبًا من الأنساب، فهو جدير بأن يكون دين جميع البشر، بخلاف بقية الشرائع فهي مصرّحة باختصاصها بأمم معينة"[٢].
- **وفيها:**" تعريض للمشركين بأنَّ أولى النَّاس بأن يتَّبِعُوه هو محمد –صلى الله عليه وسلم– لأنَّه من ذوي رحمهم"[٣].
- **وفيها:**" أنَّه تعالى ختم هذه الآية بما يكون كالوعد والوعيد والترغيب والترهيب فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾ والرقيب هو المراقب الذي يحفظ عليك جميع أفعالك. ومن هذا صفته فإنَّه يجب أن يخاف ويرجى؛ فبيَّن تعالى أنَّه يعلمُ السِّرَّ وأخفى، وإنَّه إذا كان كذلك يجب أن يكون المرء حذرًا خائفًا فيما يأتي ويترك"[٤].

ولا يتوقَّف الحديث عن الهدايات في هذه الآية العظيمة عند هذا الحدّ، لأنها لا تتناهى هداياتها لمن أعمل العقل، وأطال النظر.

---

(١) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرَّازي: ١٦٦/٩.

(٢) التحرير والتنوير: ٢١٥/٤.

(٣) السابق نفسه.

(٤) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرَّازي: ١٧٢/٩، ١٧٣.

- **تعقيب:**

بعد ذِكْرِ الآيات التي تتحدَّث عن خلْقِ أبينا آدم وزوجه – عليهما السلام– في القرآن الكريم واستنباط هداياتها– قدر المستطاع– ؛ قد تبيَّن أنَّه لا تعارض ولا تناقض إذا جاءت آية من هذه الآيات العظيمة ناطقة بأنَّ مبتدأ خلقه– عليه السلام– من تراب، وأخرى فيها إشارة إلى أنَّ أصل خلقه يعود إلى الماء، أو أخرى دلَّت على أنَّ ابتداء خلقه – عليه السلام من طين، لأنَّه عند الجمع بين تلك الآيات فإنَّك ترى تكامل مراحل خلقِ سيدنا آدم – عليه السلام– وتراتبها، حتَّى وإن اختلفت الألفاظ، قال أبو إسحاق الزَّجاج (ت: ٣١١هـ):" الألفاظ التي قال الله –عزَّ وجلَّ– إنه خلق الإِنسان منها مختلفة اللفظ، وهي في المعنى راجعة إلى أصل وَاحدٍ. فأصل الطين التراب.

فأَعْلَمَ اللَّه – عزَّ وجلَّ – أنَّه خلق آدم من تراب جُعِلَ طينًا ثم انتقل فصار كالْحَمَأ ثم انتقل فصار صَلْصَالًا كالْفَخار، والصلصال اليابس، فهذا كله أصله التراب، وليس فيه شيء ينقض بعضه بعضًا. وإنما شرحنا هذا لأنَّ قومًا من الملحدين يسألون عن مثل هذا ليُلْبِسُوا على الضعفة، فأعلم اللَّه – عزَّ وجلَّ – من أي شيء خلق أبا الإنس جميعًا آدم عليه السلام..."[١].

والله– تبارك وتعالى– ذو المُلْك والمَلَكُوت والقدرة والجَبَرُوت الحىّ الذى لا يموت قادرٌ على خلقِ آدم – عليه السلام– ابتداءً من أي مرحلة،، أو من أي شيء، أو من غير شيْء، قال صلى الله عليه وسلم:" وإذا أراد الله خلْقَ شيءٍ، لم يَمْنَعْهُ شيءٌ[٢]. وإنَّ الله سبحانه قد خَلقَ آدم على هذا الوجه لأمور يقتضيها العلم والإحكام سبحان هو العليم الحكيم،" لأنَّ خلق الإنسان من هذه الأمور أعجب من خلقِ الشَّيءِ من جنسه"[٣].

وفي هذا المقام أودُّ أن أنقلَ كلام سيدنا علي بن أبي طالب– رضي الله عنه– عن صفة خلْقِ أبينا آدم –عليه السلام–؛ وذلك قوله– كرَّم الله وجهه–:"

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ٩٩/٩٨.

(٢) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، كتاب النكاح، باب العزل، حديث رقم (١٤٣٨): ١٠٦٤/٢، والسنن الكبرى، البيهقي، باب العزل، رقم (١٤٤٢٦): ٤٦٦/١٤.

(٣) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر ابن عادل الدمشقي: ٤٥١/١١.

ثمَّ جَمَعَ سبحانه من حَزْنِ الأرض وسهْلِها ، وعذْبِهَا وسَبْخِها تربةً سنَّها بالماء حتَّى خَلَصَتْ، ولَاطَها بالبَلَّةِ حتَّى لزَبَتْ، فجبَل منها صورةً ذاتَ أحْناءٍ ووُصُولٍ، وأعضاءٍ وفُصولٍ: أجمَدَها حتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وأصْلَدَها حتَّى صَلْصَلَتْ لوقتٍ معدود، وأمدٍ معلومٍ؛ ثمَّ نفخَ فيه من روُحه فمَثُلَت إنسانًا ذا أذهانٍ يُجيلُهَا، وفك يتصرَّفُ بها، وجوارحَ يخْتَدِمُهَا، وأدواتٍ يُقَلِّبُها، ومعرفةٍ يفْرُقُ بها بينَ الحقِّ والباطِل، والأذواقِ والمشامِّ ، والألوان والأجناسِ، معْجونًا بطينة الألوان المختلفة، والأشباه المؤتلفة، والأضداد المتَعَادِية، والأخلاطِ المتباينة، منَ الحَرِّ والبردِ، والبَلَّة والجمود، واسْتَأَدَى الله سبحانه الملائكةَ وديعتَهُ لديهم، وعَهْدَ وصيَّتِهِ إليهم، في الإذعان بالسُّجود له، والخنوع لتَكْرِمَتِهِ، فقال سبحانه: « **اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ**» - [البقرة:٢٤]- اعْتَرَتْه الحَميَّةُ، وغلَبَتْ عليْهِ الشِّقْوَةُ، وتعزَّزَ بِخِلْقَة النَّار، واسْتَوهَنَ خلْقَ الصَّلْصَال، فأعطاه الله النَّظِرَةَ استِحْقَاقًا للسُّخْطَةِ، واسْتِتْمامًا للبليَّةِ، وإنجازًا للعِدَّة فقال:«**إنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ * إلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ**» - [الحجر: ٣٧، ٣٨]-، ثمَّ أسكنَ سبحانه آدم دارًا أرغَدَ فيها عَيْشَهُ، وآمنَ فيها محَلَّتَهُ، وحَذَّرَهُ إبليسَ وعدَاوَتَهُ، فاغْتَرَّه عَدُوُّهُ نَفَاسةً عَلَيْهِ بدَار المُقام، ومُرَافقَةَ الأبْرارِ، فباع اليقينَ بشكِّه، والعزيمةَ بوَهْنِه، واسْتَبْدَل بالجَذَلِ وَجَلًا، وبالاغترارِ نَدَمًا. ثمَّ بسَطَ الله سبحانه لهُ في توْبَتِهِ، ولقَّاه كلمة رحمَتِه، ووعدَه المردَّ إلى جنَّتِه، وأهبَطَه إلى دار البَليَّة، وتناسلِ الذُّريَّةِ"[1].

ومن العلماء الذين تحدَّثوا عن مراحل خلْقِ أبينا آدم- عليه السلام- بشكل عام، القاضي أبو زيد الدبوسي (ت: ٤٣٠هـ)، قال:" إنَّ بدء الخلْقِ كان قبضة من تراب، فمزجت بقبضة من ماء، فصات سلالة من طين تنسل من بين الأصابع لو قبض عليها، ثم مكث ما شاء الله حتى اعتدل كأنَّه حمأ مسنون، يقبل التصوير، فصوره ، ثم سلَّط عليه الريح حتى يبس، فصار صلصالا يتصلصل كالفخار، ثم حركه الجبار وأحياه بالحرارة المركبة في الدَّم، حتى استكملت الطبائع فكانت نفسًا، فنفس الشيء عبارة عن هويته، وهوية الآدمي من الدنيا: صورة ومعنى. (البسيط)

الرُّوحُ عِنْدَ ربِّ الْعَرْشِ مَبْدؤه وتربةُ الأرضِ أصلُ اللَّحْمِ والبَدَنِ

وَهكَـذَا أَلَّفَ الرَّحمنُ بَيْنَهُمَا لِيَصْلُحَا لقبُولِ الْعَهْـدِ والْمِنَنِ

([1]) ينظر: نهج البلاغة- علي بن أبي طالب-: ص٤٢، ٤٣.

ثم لمَّا كان هذا الخلق للابتلاء، ثمَّ للجزاء في دار البقاء وهي غير دار الفناء، وهذه النفس من دار الدنيا [داعية إليها]– كنفوس البهائم– قرن الله الروح الناطقة التي هي للملائكة إلى هذه النَّفس، فأحيا بها كل هذا العالم؛ لتكون الروح داعية إلى المولى، ودليلًا على البقاء بعد فناء الأولى، والله أعلم بحقيقة الأمر، فهو علام كل شيء.

ثمَّ لم يجعل إلى هذا العلم سبيلا بقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ –[الإسراء: ٨٥]– . بَعْدَ ما عرف الفلاسفة النفس، وأوضحوا عليها دليلًا. وقال تعالى: ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ – [التحريم: ١٢] –. وقال﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ - [الحجر:٢٩] . فأضافه إلى نفسه على الخصوص، إضافة تكريم كبيت الله، وعبد الله، وناقة الله"[1].

وقد وقفت كذلك على كلام للشيخ الإمام محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ) – رحمه الله– في حديثه عن صفة خلْقِ أبينا آدم– عليه السلام– أرى من الفائدة ذِكْرُه، قال– رحمه الله– :" والذين يريدون أن يكذبوا القرآن يقولون: إنَّ القرآن لم يأت بخبر واحد عن خلق الخلق، فمرة يقول إن الخلق كان من ماء، ومرة كان من تراب، ومرة كان من طين، ومرة كان من صلصال.

ونقول: أحين يتكلم الحق عن مراحل الخلق فهل في هذا تضاد؟ . أصل الخلق ماء، خلطه الحق بتراب، وبعد وضع الماء على التراب صار الإثنان طينًا، ثم إذا تركنا الطين إلى أن يختمر، يصير حمأ مسنونًا، وبعد ذلك يصير صلصالًا، ومن بعد ذلك خلق منه الحق آدم. إذن فكل شيء تكلم عنه سبحانه في خلق آدم إنما يتفق مع كل الآيات التي جاءت عن هذا الخلق. وهو القائل عن آدم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩].

وبعد صنع الله القالب الذي يشبه التمثال الذي نراه، ولكن تنقصه الحركة والحياة، فيأتي النفخ في الروح بكلمة « كن» . إذن نحن نحتاج إلى روح، وإلى كلمة. والروح عنصر وجودي. وعندما تختلط بالقالب تحدث الحياة، ولا بدَّ من بعد ذلك من الإرادة بكلمة « كن» . ولذلك نجد الإنسان قد يصنع نفس خلطة الإنسان الكيماوية لكنها لا تصير إنسانًا؛ لأنَّ الأمر ينقص الإذْن بميلاد الإنسان.

([1]) الأمد الأقصى: ص٤١، ٤٢.

وساعة يتكلم الحق عن خلق آدم، وهو أمر لم نشهده، فذلك من رحمته بنا، ويترك لنا سبحانه في الكون دليلًا على صدقه عن خلق آدم، فإذا كنَّا لم نشهد خلق الحياة فنحن نشهد نقيض الحياة وهو الموت، الذي يحدث فيه أولًا خروج الروح، ومن بعد ذلك ينتفخ الجسم كأنه الحمأ المسنون، ثم يتبخر الماء، وبعد ذلك يتحلل إلى تراب. هذه هي مراحل الموت التي تبدأ من خروج الروح، ويتصلب الجسم إلى أن يَرِم ثم يتبخر الماء، وتبقى العناصر في الأرض.

وإذا كنا لم نعرف كيف بدأت الحياة، فنحن نعرف كيف انتهت الحياة أمامنا بالأمر المشهدي، وجعل سبحانه أمر انتهاء الحياة أمامنا دليلًا على صدقه في إخبارنا بالحياة وكيف بدأت؛ لأنَّ نقض الحياة يكون بالموت، ونقض أي شيء إنما يتم على عكس طريقة بنائه. وآخر أمر دخل في الإنسان هو الروح، ولذلك فهي أول ما يخرج من الإنسان عند الموت. وبعد ذلك يتصلَّب الجسم، وبعد ذلك يصير رمة، وهي الحمأ المسنون. وبعد ذلك يتبخر الماء ويبقى أخيرًا التراب"(١).

فسبحان الله العظيم الخالق الباري القادر المقتدر الحكيم المبدع قد جعلَ بداية خلقِ آدم– عليه السلام– التراب ثم نهايته التراب ثمَّ منه يخرُج تارة أخرى، قال ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ):" إنْ أردْت أنْ تنظُر إلى نفسك فخُذْ كفًّا من تراب، فإنَّك منه خُلِقْت، وفيه تَعُود، ومنه تخْرُج"(٢).

أمَّا عن مراحل خَلقِ ذريَّة آدم– عليه السلام– وتنقلاتها، على نحو ما بيَّنت الآيات القرآنية؛ فأقول مستعينًا بالله – عزَّ وجلَّ– القادر الوهاب، ومفوضًا حالي إليه، ومتوكلًا عليه:

(١) تفسير الشعراوي : ٥/٢٨٦٣، ٢٨٦٤.

(٢) التذكرة في الوعظ: ص١٦٩.

- الفصل الثاني:

مراحلُ خَلْقِ نَسْلِ آدم –عليه السلام– وذريته، ويشتمل على سبعة مباحث:

- المبحث الأول: مرحلة الخلق من ماء مهين ودافق.
- المبحث الثاني: مرحلة تخليق (طور) النُّطفة في الرَّحم.
- المبحث الثالث: مرحلة (= طور) تكوُّن العَلقة.
- المبحث الرابع: مرحلة التطور إلى المُضغة.
- المبحث الخامس: مرحلة تخليق العظام (ابتداء تكوين الهيكل الإنساني).
- المبحث السَّادس: مرحلة كسوة العظام باللحم.
- المبحث السابع: مرحلة تمام الخلقِ، وكماله: النفخ في الرّوح.

- **توطئة : بصائر في الإنسان:**

١- من جهة الاشتقاق:

الإنسان مأخوذ من الجذر اللغوي (أنس) الذي تَحوم استعمالاته اللغوية حول معنى الأنس والألفة، قال الدكتور محمد حسن جبل (ت: ١٤٣٦هـ):" المعنى المحوري: (الأُنس والأُلفة=) كون الشيء في وَسَطٍ مجانس أو مشاكل له (يظهر منه)"[١]. ومن تلك الاستعمالات التي يَسْري فيها هذا المعنى، قولهم: كيف ابن إنْسِك؟ إذا سأله عن نفسه"[٢]، أي:" كيف نَفْسُك (التي بين جنبيك)[٣]. و" إِنْسَانُ الْعَيْنِ: صَبِيُّهَا الَّذِي فِي السَّوَادِ"[٤] (في وسطِها يُرَى)[٥]. وقال الرَّاغب الأصفهاني (ت: نحو٤٢٥هـ):" **والإنسان قيل:** سمِّي بذلك لأنَّه خُلِقَ خلقةً لا قوام له إلا **بإنس بعضهم ببعض**، ولهذا قيل: الإنسانُ مَدنيٌّ بالطَّبع، من حيث لا قوام لبعضهم إلا ببعض، ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه، وقيل: سمِّي بذلك **لأنَّه يأنس بكلِّ ما يألفه**"[٦]، ومما سبق يتبيَّن سريان معنى الأنس والألفة في الاستعمالات المختلفة المصوغة من الجذر المعالَج.

٢- من جهة التَّصريف:

قال الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ):" وهو اسم على وزن فِعلان. وجمعه من حيث اللفظ أَناسِين؛ كسِرحان وسراحين، غير أَنَّ الجمع الأصليّ غير مستعمل. وجمعه المعروف ناس وأُناس وأَنَس وآنُس. والإنس جمع جنس. وفى الأَناسيّ خلاف: فقيل: جمع إِنسِيّ؛ ككُرسيّ وكراسيّ. وقيل: الإِنْس جمع إِنسيّ؛ كروم وروميّ وزَنْج وزَنْجيّ. وقيل: الأَناسِيّ جمع إِنسان، وأَصله أَناسين، حذفوا نونه،

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (أ ن س): ص ٢١٨٧.

(٢) مقاييس اللغة ، ابن فارس (أ ن س): ١٤٥/١.

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (أ ن س): ص ٢١٨٧.

(٤) مقاييس اللغة ، ابن فارس (أ ن س): ١٤٥/١.

(٥) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (أ ن س): ص ٢١٨٧.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن الكريم (أ ن س): ص٩٤.

وعَوّضوا عنه ياءً؛ اجتمع ياءَان فأَدغموا، فصار، أَناسِىّ. **والناس تخفيف الأُناس، حذفوا الهمزة طلبًا** للخفَّة. والأَنيس أَيضا بمعنى الإنسان"[١].

وقال الدكتور محمد حسن جبل (ت: ١٤٣٦هـ):" والإنسان وجمعه (أناسيّ) و(النَّاس) والمعتمد أنَّه اسم جمع للإنسان كقوم ورهط، وأنَّ أصله (أناس) حذفت همزته بعد دخول (ال) عليها لكثرة الاستعمال، ثمَّ استمرَّ الحذف بعد حذف(ال)"[٢].

٣-من جهة: ما ميَّز الله – تبارك وتعالى- به الإنسان عن سائر الحيوانات:

ميَّز الله- عزَّ وعلا- الإنسان بما لا يُحصى عدده، ولا ينتهي أمده من الأفضال والنِّعم:

أحدها: خلَقه في أحسن تقويم، وبيانه قوله سبحانه:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤] قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ):" إنَّ معنى ذلك: لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأعدلها"[٣]، قال أبو البركات النَّسفي (ت:٧١٠هـ):" في أحسن تعديلٍ لشكله وصورته، وتسويةٍ لأعضائه"[٤]، وفي هذا الإنسان قال الشاعر- ولله درُّه-: (المتقارب)

أَتَحْسَبُ أَنَّكَ جِرْمٌ صَغِيْرُ وَفِيْكَ انْطَوَى الْعَالَمُ الأَكْبَرُ "[٥].

ثانيها: ميَّزه الخالق- تبارك وتعالى- **بالفكر**، قال ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ):" اعلم أنَّ الله سبحانه وتعالى ميَّز البشر عن سائر الحيوانات بالفكر الذي جعله مبدأ كماله ونهاية فضله على الكائنات وشرفه..."[٦].

---

(١) بصائر ذوي التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي: ٣١/٢.

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (أ ن س): ص ٢١٨٧، ٢١٨٨.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥١٣/٢٤.

(٤) تفسير النَّسَفِيّ (= مدارك التنزيل وحقائق التأويل): ٦٦٠/٣.

(٥) ديوان الإمام علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه-: ص٧١.

(٦) مقدِّمة ابن خلدون : ٩١٦/٣.

ثالثها: أنَّ الله تبارك وتعالى ميَّز الإنسان بالنُّطق عن سائر المخلوقات.

رابعها: أنَّ الله سبحانه قد كرَّمه ورزقه من الطيبات، وهو قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ٧٠].

خامسًا: أنَّ الله سبحانه جعل معيار التفاضل بين الناس: التقوى، لا اللون، أو قوة الجسد، أو النَّسب، أو العائلة، أو القبيلة، فقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحج ر ك: ١٣].

وغير ذلك من الأفضال، ووجوه التخصيص، أمَّا عن الآيات المبيّنة لخَلْقِ الإنسان في القرآن الكريم ابتداءً من الماء المهين ثمَّ تنقُّلاته في الرَّحم حتى يصير إنسانًا، وما فيها من عجائب وإعجاز وهدايات، فأقول طالبًا من الله – سبحانه– الإخلاص والهداية والتوفيق والسداد :

- المبحث الأول: مرحلة الخلق من ماء مهين ودافق:

إنَّ المرحلة الأولى التي يُبدأ منها تخليق نسل آدم – عليه السلام– في الرَّحم، هي: ماء الرجل وماء المرأة حين يمتزجان، وقد جاء التعبير القرآني عن هذا الماء بأنَّه: **ماءٌ مَهين، ماءٌ دافق، منيٌّ يُمنى**، وذلك على النحو الآتي في الآيات الآتية:

* **قوله تبارك وتعالى:** ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٨].

* **وقوله سبحانه:** ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠].

* **وقوله عزَّ وعلا:** ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٥، ٦].

* **وقوله تباركت أسماؤه:** ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة:٣٦، ٣٧].

- المعنى الإجمالي للآية الأولى:

عند الوقوف على معنى هذه الآية المباركة لا بدَّ أولًا من الوقوف على معنى الآية السابقة واستحضار معناها؛ وذلك للترابط والتكامل بين الآيتين، فيقول الله تبارك وتعالى:﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة:٧]، قال عامة المفسرين: إنَّ المراد آدم – عليه السلام–"[1]. وهناك تفسير آخر قاله الفخر الرَّازي (ت: ٦٠٤هـ) وذلك قوله:" ويمكن أن يُقال بأنَّ الطينَ ماءٌ وترابٌ مجتمعانِ والآدمي أصلُه منيٌّ والمنيُّ أصله غذاءٌ، والأغذية إمَّا حيوانيَّة وإمَّا

([1]) معاني القرآن وإعرابه، الزجَّاج: ٢٠٤/٣، ٢٠٥، وتأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، أبو منصور الماتريدي: ٣٣٢/٨، والهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، مكي بن أبي طالب: ٥٧٥٢/٩، و والنكت والعيون، الماوردي: ٤/ ٣٥٥، ٣٥٦، التفسير الوسيط، الواحدي:٤٥٠/٣، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٥/١٧.

نباتيَّة، والحيوانيَّة بالآخرةِ ترجع إلى النَّباتيَّة والنبات وجوده بالماء والتراب الذي هو طين"[١]، وهذا انتزاع حسن.

وبناءً على ذلك يكون تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة:٨] على التفسير الأول:" ظاهرٌ لأنَّ آدم كان من طين ونسْلُه من سلالة من ماء مهين وهو النُّطفة، **وعلى التفسير الثاني:** هو أنَّ أصله من الطِّين، ثم يوجد من ذلك الأصل سلالة من ماء مهينٍ، فإن قال قائل التفسير الثاني غير صحيح لأنَّ قوله: بدأ خلق الإنسان... ثم جعل نسله دليلٌ على أنَّ جعلَ النَّسْلِ بعد خَلْقِ الإنسان من طينٍ فنقول: لا بل التفسير الثاني أقربُ إلى التَّرتيب اللفظي فإنَّه تعالى بدأ بذِكْرِ الأمر من الابتداء في خلقِ الإنسان فقال بدَأَه من طينٍ ثم جَعَله سُلالة ثمَّ سواه ونفخ فيه من روحه...." [٢]، والتفسير الثاني: وجيه يعتمد على الترتيب اللفظي.

ومعنى ﴿نَسْلَهُۥ﴾: ذرِّيتَه. أمَّا قوله:﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾: فالسلالة: النطفة، والعرب تسمى النطفة: سلالة"[٣]. وقال أبو منضور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ):" السلالة: الخالص من كل شيء"[٤].

وقوله: ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾: الماء، هو منيُّ الرجل ومنيُّ المرأة، والمهين: الضعيف المُستقذر المُبتذل، وقال الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ):" المهين الشيء الممتهن الذي لا يعبأ به"[٥]، وكون هذا الماء دافق على نحو ما جاء في الآيات السابقة، فإن الدَّفق معناه الدَّفع و" نسبة الدَّفق إلى الماء مجاز، والمراد: ماء الرجل وماء المرأة؛ لأنَّ الولد منهما يكون، فإذا اعتبر أصله، علم أن القادر على ذلك قادر على البعث"[٦].

---

(١) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير): ١٧٤/٢٥.

(٢)السابق نفسه.

(٣) تفسير النَّسَفِيّ (= مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات النَّسفي:٤٦١/٢.

(٤) تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، أبو منصور الماتريدي: ٣٣٢/٨،

(٥) الحرير والتنوير: ٢١٦/٢١.

(٦) فتح الرحمن في تفسير القرآن، مجير الدين بن محمد العليمي: ٣٣٥/٧.

ومن شمولية الحديث عن هذه المرحلة استكمال الحديث عن معنى الآية:﴿ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ﴾، لأنَّ التعبير القرآني عن الماء قد اختلف فجاء بلفظ: المني، قال ابن كثير عن معناها(ت:٧٧٤هـ):" أي: أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين، يمنى **يراق** من الأصلاب في الأرحام"[١]، ومعنى ذلك المني هو الماء المهين، وأنَّ النُّطفة التي يتوقَّف عليها تكوُّن الجنين- كما سيأتي الحديث عنها-، تنفرز من المني **أو الماء المهين** الذي يُمنى أي: يُصبُّ في الأرحام.

- **المناسبات:**

لمَّا ذكر سبحانه في الآيات السابقة على هذه الآية خَلْق السموات والأرض وما بينهما، وهو الخلق الأكبر، شرَع عزَّ وعلا في ذِكْر الخلقِ الأصغر، وهو خلق الإنسان، وقد خصه الله هنا" **بالذكر ليقوم دليل الوحدانية بالأنفس كما قام قبل بالآفاق**"[٢]، وإنَّ كلا الخَلْقَيْنِ من أعظم الدائل على آثار قدرة الباري، وبديع صنعه، وكمال جلاله وعظمته، وعن مناسبة هذه الآية للتي قبلها على على وجه مخصوص، وهي قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ﴾ [السجدة:٧]، قال البقاعي(ت: ٨٨٥هـ):" لمَّا كان قلب الطين إلى هذا الهيكل على هذه الصورة بهذه المعاني أمرًا هائلًا، إشار إليه بأداة البعد في قوله: **(ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ)** أي ولده الذي ينسل أي يخرج **(مِن سُلَٰلَةٖ)** أي من شيء مسلول، أي منتزع منه(**مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ**) أي حقير وضعيف وقليل مراق مبذول"[٣].

- **الهدايات:**

---

(١) تفسير القرآن العظيم:٨/٢٨٣.

(٢) نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور، البقاعي: ١٥/٢٤٤.

(٣) السابق نفسه.

- **فيها:** دلالة ظاهرة على نفاذ إرادة الخالق – سبحانه– وكمالها في أطوار خَلقِ الإنسان، قال الفخر الرَّازي (ت: ٦٠٤هـ):" ودلائلُ الأنفس أدلُّ على نفاذ الإرادة فإنَّ التغيرات فيها كثيرة ، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾..."[١].
- **وفيها:** أنَّ هذه المرحلة: وهي مرحلة الماء المهين أو الدَّافق الذي يخرج من بين الصُّلب والترائب، ويراق في الأرحام، هي الأولى التي تسبق مرحلة النُّطفة، لأنها جزء من هذا الماء، وأنَّ ما بعد ذلك من مراحل خلْقِ الإنسان العجيبة المُعجزة حتى تَكتَمل بالنَّفخ في الرُّوح، مِنْ أكبر الشواهد بوحدانية الله عزَّ وعلا، الخالق القادر على ما يشاء، قال الشاعر: (المتقارب)

فَفِي كُلّ شَيْءٍ لَهُ آيَة تَدُلّ علَى أنَّه وَاحدُ[٢].

- **وفيها:** دعوة للتفكُّر والاعتبار **في** أطوار خلق الإنسان، ومن أي شيء ابتُديء خلقه.
- **وفيها:** أنَّ القرآن الكريم يستخدم الألفاظ استخدامًا دقيقًا محكمًا بحيث لا يكون هناك تعارض بين مدلولاتها في كلام العرب، ومدلولاتها في القرآن الكريم، كونه نزل بلسان عربي مبين، ويظهر من خلال الوقوف على التلاقي الدلالي بين المعنى اللغوي (= المحوري) للفظين الواردين في الآية، وهما: النَّسْلِ، وسلالة، وبين معناهما في الاستعمال القرآني، وبيان هذا: أنَّ قوله– تعالى–: ﴿نَسْلَهُۥ﴾ قد جاء على طريقة الاشتقاق من الجذر اللغوي (نَسَل) الذي تحُوم استعمالاته اللغوية حول معنى: الخروج بلطف مع الانفصال عن الموضع[٣]، قال الرَّاغب الأصفهاني (ت: نحو٤٢٥هـ):" النّسل: الانفصال عن الشيء"[٤]، وقال ابن عطية

---

(١) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير): ١٧٥/٢٥.

(٢) ديوان أبي العتاهية: ص١٠٤.

(٣) ينظر: الألفاظ الدالة على الخروج والدخول في القرآن الكريم، دراسة في البنية والدلالة، رمضان خيري : ص٢١٠.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن الكريم(ن س ل): ص٨٠٢.

(ت: ٥٤٦هـ):" النَّسل... مأخوذ من نسل الشيء إذا خرج من موضعه"[١]، وقال الطَّبْرِسيّ (ت : ٥٤٨هـ):" **أصل باب النسول الخروج**"[٢]، وقال الدكتور محمد حسن جبل (ت: ١٤٣٦هـ):" المعنى المحوري: امتداد الشيء **خارجًا أو متسيبًا** من أصله أو مقره بلطف ومفارقة"[٣].

أمَّا في القرآن الكريم فإنَّ معنى قوله- سبحانه-: ﴿ نَسْلَهُۥ﴾: ذريته سميت بذلك؛ لأنها تنسل منه أي تنفصل"[٤]. قال أبو عبيدة (ت: ٢٠٩هـ):" مجازه ثم خلق ولده من ماء انسلّ **فخرج** من مائه أي هراقته"[٥]، فمما سبق يلاحظ التوافق الدلالي بين الاستعمالين بل إنَّ التوظيف القرآني للفظ توظيف فيه دقة وإعجاز من جهة أنَّه إذا كان الملمح الدلالي الذي يميّز لفظ (نسل) أنَّه يدلُّ على الخروج بلطف مع مفارقة المقرّ أو الحيّز، فإنَّ هذا هو حال نسْلُ آدم عليه السلام وذريته، إذ أن أصلهم من اليسير الخالص الذي ينفرز من الماء المهين، وإنَّ لمْحِ تلك الدقائق يكون من خلال معرفة حقيقة اللفظ في اللغة، وتلمُّس دقائق استعماله في القرآن الكريم.

- وكذلك لفظ « **سلالة**»، فإنَّها مشتقة من الجذر اللغوي « **سلل**» الذي تدور استعمالاته في اللغة حول معنى«الخروج بلطف ورفق **من منفذ ضيق** »[٦]، قال إسحاق الزَّجاج (ت:

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٥٩/٤.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٤٦/٢.

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (ن س ل) : ص٢١٩٤.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤/ ١٢٨.

(٥) مجاز القرآن: ١٣١/٢.

(٦) ينظر: الألفاظ الدالة على الخروج والدخول في القرآن الكريم، دراسة في البنية والدلالة، رمضان خيري : ص٣٥٨.

٣١١هـ):" السلالة في اللغة ما ينسَل من الشيء القليل"[١]، وقال ابن منظور(ت:٧١١هـ):" سلالةُ الشَّيءِ: ما اسْتُلَّ مِنْهُ، والنُّطْفة سُلالَةُ الإنسان"[٢].

وقد قام المفسرون بتفسير هذا اللفظ– سلالة– على هَدي من فهمهم للمعنى اللغوي، في محاولة لإثبات التلاقي الدلالي بينه وبين المعنى في القرآن الكريم، ومن أقوالهم: قولِ أبي منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)– المشار إليه سابقًا–": السلالة: الخالص من كل شيء" [٣]. وقول المَاوَرْدي (ت:٤٥٠هـ):" السلالة من كل شيء صفوته التى تستل منه"[٤]. وقال الزَّمَخْشَري (ت: ٥٣٨هـ):" السلالة: **الخلاصة**؛ لأنَّها تسلّ من بين الكدر "[٥].

ولا يخفى التلاقي الدلالى بين ما عليه الاستعمال القرآني، وبين ما عليه الاستعمال العربي القديم من جهة جنس المعنى وعُمومه، وكذلك لا يَخْفى ما ميَّز به الاستعمال القرآني لفظ « **سلالة** » من جهة الدلالة أنَّ المُستلُّ من الشيء لا يكون عاديًّا أو مجرد بعضًا منه، وإنَّما يكون خلاصة هذا الشيء وصفوته، وهذا المعنى الدقيق استفدته من التوظيف القرآني الدقيق للفظ (سلالة).

- **وفي الآية أيضًا: أنَّ « سلالة»** على زنة فُعالة، وهذا بناء **يدلُّ** على القِلَّة، قال الزَّمَخْشَري (ت: ٥٣٨هـ): و« فعالة»: بناء للقلة.."[٦]، وإنَّ توظيف القرآن الكريم لهذا اللفظ على هذا البناء على وجه مخصوص، يدلُّ على أنَّ هذه القلَّة المُستلَّة من الشيء كونها قليلة فهي خالصة حسنة، إذ تمثِّل الخلاصة، والصفوة التي يكون منها الأبناء والذرية. قال الطَّبْرَسي(

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ٢٠٥/٤.

(٢) لسان العرب (ن س ل): ٢٠٧٤/٣.

(٣) تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، أبو منصور الماتريدي: ٣٣٢/٨،

(٤) النكت والعيون: ٤٧/٤.

(٥) الكشاف: ٢٢١/٤.

(٦) السابق نفسه.

ت: ٥٤٨هـ): السلالة: صفوة الشيء **التي يخرج** منها كالسلافة، قال الشاعر: (الطويل)

وهلْ أنت إلّا مُهْرةٌ عربيَّةٌ سَليلَة أفْراسٍ تَجلّلَها بَغْلُ[١].

- **قوله سبحانه: ﴿ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾: فيه من الهدايات:**

أولًا: أنَّ(مِنْ) للتبعيض أو للابتداء، وقال ابن عاشور(ت: ١٣٩٣هـ):" و(من) بيانية فالسلالة هي الماء المهين، هذا هو الظاهر لمتعارف النَّاس؛ ولكن في الآية إيماءٌ علميٌّ لم يُدْركه النَّاس إلا في هذا العصْر، وهو أنَّ النُّطفة يتوقَّف تَكَوُّنُ الجنين عليها؛ لأنَّه يتكوَّن من ذرَّات فيها تختلطُ مع سُلالة من المرأة، وما زاد على ذلك يذهبُ فضلة، فالسلالة التي تنفرِزُ من الماء المهين هي النَّسل لا جميع الماء المهين، فتكون من في قوله « من ماء مهين» للتبعيض أو للابتِداء"[٢]. ومعنى كلام الشيخ ابن عاشور أنَّ جزءًا يسيرًا جدًّا من هذا الماء لا جميعه، وقد سمَّى الله سبحانه هذا الجزء يسير سلالة ونطفة، وهي التي يتوقَّف تكوُّن الجنين عليها، وإنَّ هذا الكلام يتلاقى مع ما أثبته العلم الحديث على نحو ما ذكر الدكتور محمد على البار في كتابه المميَّز[٣].

ثانيًا: أنَّه إذا كان معنى قوله سبحانه: **﴿ مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾**: منيٌّ ضعيف لا يُعبَأُ به، فإنَّ ذلك يعني أنَّه لا قيمة له عندكم أيها النَّاس، بل إنَّكم لا تطيقوا تواجده على ملابسكم، وتتخلصون منه بغسل موضعه، على الرَّغم من أنَّه أول المراحل في تطوركم في بطون أمهاتكم، **وإذا كان الأمر كذلك**، فإنَّه **أزجر للكبر والغفلة الذي يملأ قلوب الكثير منكم، وأدعى للتواضع والاعتبار**.

---

[١] مجمع البيان فى تفسير القرآن: ١٣١/٧. .

[٢] التحرير والتنوير: ٢١٦/٢١. .

[٣] خلق الإنسان بين الطب والقرآن: ص١١١.

ثالثًا: وفي وصف الماء بأنَّه مهين، قال الطَّاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ):" والغرض من إجراء هذا الوصفِ عليه الاعتبار بنظام التكوين إذ جعل الله تكوين هذا الجِنْس المكْتَمل التركيب العجيب الآثار من نوعِ ماءٍ مِهراقٍ لا يُعْبَأ به ولا يُصان"(١).

- **وفي الآية من الهدايات:** إرشاد إلى أنَّ الماء المهين يشمل ماء الرجل وماء المرأة، وأنَّ الوصف بالمهين يجري على كلا المائين، وأنَّه لا ينتج عنهما شيء، ولا تنفرز عنهما النطفة حال الانفصال، بل حال تدفقهما بسب الدواعي لذلك، واجتماعهما في قرار الرَّحم، فيحدث التلقيح بإذن الخالق سبحانه، وفي هذا الحال أي: حال كون ماء الرجل وماء المرأة منفصلين، ثم التدفق، ثم الاجتماع تراتبية إلهية لا عشوائية.
- **وفيها أيضًا:** أنَّ كون السلالة تنفصل عن مجموع هذا الماء المهين وتنفرز منه، وهو في الأصل ماء ضعيف، فيؤخذ من ذلك أنَّ ما ينفصل عنه أضعف، فالسلالة التي عليها يكون ابتداء خلْقِ الذرية والأبناء ضعيفة أخذت من ضعيف، وفي ذلك كله دلالة على ضعفهم، وقلة حيلتهم، وأنهم لا يستطيعون دفع الضرِّ عنهم، أو جلب الصالح لأنفسهم.

ولا عجب أن تُستنبط هذه الهدايات من هذه الآية العظيمة، بل إنَّ الأمر فيه مزيد من الهدايات لمن اجتهد في استنباطها، فتحت كل حرف من حروف القرآن الكريم وكلماته أسرار لا تتناهى.

---

(١) التحرير والتنوير: ٢١٦/٢١.

- المبحث الثاني: مرحلة تخليق (طور) النُّطفة في الرَّحم:

بعد الحديث عن الماء (= المنيُّ)، أي: ماء الرجل وماء المرأة، تأتي مرحلة النطفة أو طور النطفة التي تنفرز عن اجتماع هذا الماء وامتشاجه في قرار الأرحام، وإنَّ تلك النطفة تمثِّل جزءًا يسيرًا من مجموع هذا المنيّ، وهي التي يتوقَّف تكُّون الجنين عليها، وهو ما سيتضح من خلال الآيات والهدايات المستنبطة، وقد بلغ عدد الآيات التي جاء الحديث فيها عن النطفة اثنتا عشرة آية[1]، بيانها على النحو الآتي:

* **قوله تعالى:** ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾ [النحل:٤].

* **قوله سبحانه :** ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا﴾ [الكهف:٣٧].

* **قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ﴾ [الحج: ٥].

* **قوله عزَّ وعلا:** ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ﴾ [المؤمنون:١٣].

* **قوله تعالى:** ﴿ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤].

* **قوله تعالى:** ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ [فاطر:١١].

* **قوله سبحانه:** ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾ [يس:٧٧].

* **قوله تعالى:** ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ﴾ [غافر: ٦٧].

---

[1] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي: ص٧٠٥.

* **قوله تعالى:** ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ * مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴾ [النجم: ٤٥، ٤٦].

* **قوله تعالى:** ﴿ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴾ [القيامة: ٣٧].

* **قوله تعالى:** ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢] .

* **قوله تعالى:** ﴿ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾ [عبس: ١٩].

- **المعنى الإجمالي للآية الأولى:**

في هذه الآية العظيمة يذكر الحق – سبحانه وتعالى– مبْدأ خلقِ الإنسان، وهو: خلْقه من نُطفة من منيٍّ مهين لا حسَّ به ولا حركة، ثمَّ نقْلِه من تلك الحال إلى حال الكمال العقلي أو القوة التي أمكنه معها الجدال والخصام، مع عدم ذِكْرِ ما بين الحالين من مراحل الخلق والتكوين، قال الزَّجاج (ت:٣١١هـ) اختصر ههنا، وذكر تقلبَ أحْوال الإنْسانِ في غير مكان من القرآن"[١]، ولعلَّ في ذلك: تذكير الإنسان بمبدأ خلقه حين نسِي ذلك، فَكَفَر بنِعم خالقه، وعبَدَ غيره، و" صار ذا ذهن ورأي يخاصمُ ويجادل فليشكر العبد ربه الذي أوصله إلى هذه الحال التي ليس في إمكانه القدرة على شيء منها"[٢].

والمراد بالنُّطفة هنا: مادة التلقيح التي يكون عليها تكُّون الجنين، قال ابن عطية (ت:٥٤٦هـ):" النُّطفَة: الماء الذي خلق المرء منه[٣]، وقال السَّمين الحلبي (ت:٧٥٦هـ):" النُّطْفَةُ هنا المنيُّ المخلوقُ منه البشر"[٤]. وكما أشرت سابقًا إلى أنَّ النطفة ليست كلّ الماء أو المنيّ، بل تمثِّل جزءًا يسيرًا منه، وهو ما سيأتي الحديث عنه علميًّا في الهدايات المستنبطة.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ١٩٠/٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي : ص٤٣٦.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥٦٨/٤.

(٤) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (ن ط ف): ١٩٠/٤.

وقوله: ﴿ خَصِيمٌ﴾، قال ابن عطية(ت: ٥٤٦هـ):" **[خَصِيمٌ]** يحتمل أن يريد به الكفرة الذين يختصمون في الله ويجادلون في توحيده وشرعه، ذكره ابن سلام عن الحسن البصري"[١]، ثم أضاف ابن عطية على ما ذكره ابن سلام عن الحسن البصري، من جهة أنَّ اللفظ يحتمل معنًى أعم، فقال:" ويحتمل: أن يريد أعم من هذا على أن الآية تعديد نعمة الذهن، والبيان على البشر، ويظهر أنها إذا تقدر في خصام الكافرين ينضاف إلى العبرة وعيد ما"[٢]. وقال البغوي: (ت:٥١٦هـ) :" والصَّحيح أنَّ الآية عامة، وفيها بيانُ القدرة، وكشف قبيح ما فعلوه، من جحد نعم الله مع ظهورها عليهم"[٣]، وقال الطَّاهر ابن عاشور(ت: ١٣٩٣هـ):" المراد: الخصام في إثبات الشركاء، وإبطال الوحدانية وتكذيب من يَدْعون إلى التوحيد، كما دلَّ عليه قوله تعالى في سورة يسن-:٧٧، ٧٨- « أو لم ير الإنسان أنَّا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم»[٤]، والأرجح أن يتمَّ حمل المعنى على الأعم.

أمَّا قوله – سبحانه-﴿ مُّبِينٌ﴾ ، قال ابن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ):" يَعني بالمبين: أَنَّهُ يُبِينُ عن خُصومته بمنطِقِه، ويجادل بلسانهِ، فذلك إِبَانَتُهُ"[٥]. وقال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ):" وقوله تعالى ﴿ مُّبِينٌ﴾: ظاهر، ومعناه: الظَّاهر الخصومة"[٦].

- **المناسبات:**

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: ٣٧٩/٣، وينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جُزَيٍّ الكلبي: ٧٣٢/٢، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي : ص٤٣٦.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: ٣٧٩/٣، وينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جُزَيٍّ الكلبي: ٧٣٢/٢، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي : ص٤٣٦.

(٣) معالم التنزيل: ٩/٥.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١٠٢/١٤، ١٠٣.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٦٥/١٤.

(٦) التفسير البسيط: ١٢/١٣، وينظر: زاد المسير في عِلمِ التَّفسير، ابن الجوزي: ٤٢٩/٤.

لمَّا " نزه سبحانه نفسه- في الآية السابقة عليها من السورة- عما فاهوا به في استهزائهم وشركهم وعظيم بهتهم وأتبع ذلك تنبيها وتعظيما فقال: **[خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ]** [النحل:٣]... ثم أتْبعَ ذلك بذكر ابتداء خلق الإنسان، وضعف جبلته ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ ﴾. ثمَّ أبلغه تعالى حدًّا يكون منه الخصام، والمحاجة، كل ذلك ابتلاء منه، واختبار؛ ليميز الخبيث من الطيب..."[١].

قال السعدي(ت:١٣٧٦هـ)" لمَّا ذكر خلق السماوات والأرض ذكر خلق ما فيهما. وبدأ بأشرف ذلك، وهو الإنسان فقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ لم يزل يدبرها، ويرقيها وينميها، حتى صارت بشرًا تامًا كامل الأعضاء الظاهرة والباطنة، قد غمره بنعمه الغزيرة، حتى إذا استتمَّ فخر بنفسه، وأعجب بها ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾"[٢].

وقال الطاهر ابن عاشور(ت:١٣٩٣هـ):" بعد أن استدلَّ عليهم بخلق العوالم العُليا والسفلى وهي مُشاهدة لديهم انتقل إلى الاستدلال عليهم بخلق أنفسهم المعلوم لهم. وأيضًا لمَّا استدلَّ على وحدانيته بخلق أعظم الأشياء المعلومة لهم استدل عليهم أيضًا بخلقِ أعجب الأشياء للمتأمّل وهو الإنسان في طرَفَيْ أطواره من كونه نطفةً مهينةً إلى كونه عاقلًا فصيحًا مُبينًا بمقاصِدِه وعلومه"[٣].

- **الهدايات:**
- **فيها:** أنَّ هذه الآية الكريمة" استئناف بيانيٌّ..، وهو استدلال آخر على انفراده تعالى بالإلهيَّة ووحدانيته فيها"[٤]، على حدِّ قول الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩١هـ).
- **وفيها:** أنَّه قد عني بالإنسان: جميعُ النَّاس، أُخْرِج بلفظ الواحد وهو في معنى الجميع"[٥]، وأرى أنَّ في ذلك ما يثير الانتباه، فيدفع إلى أنْ يفكّر كل إنسان بمفرده في خلقه العجيب،

---

(١) البرهان فى تناسب سور القرآن، ابن الزبير الغرناطي: ص٢٤٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي : ص٤٣٦.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١٠٢/١٤.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١٠٢/١٤.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري: ١٦٥/١٤.

كما أنَّ مجيء لفظ الإنسان دون يغيره ملائم لما بعده من جهة الإفراد، إذ لو قيل: خلق الناس من نطفة، لفُهم أن أصل خلق الناس جميعهم ينبسل عن نطفة واحدة، وهذا أمر يترتب عليه الكثير من التصورات، لكن اختيار القرآن الكريم اختيار معجز، ودقيق، – والله أعلم بالصواب–، وقال الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ):" تعريف الإنسان للعهد الذهني، وهو تعريف الجنس، أي خَلَق الجنس المعلوم الذي تدْعُونه بالإنسان"[١].

- **وفيها:** جاء التعبير بلفظ ﴿ خَلَقَ﴾ دون غيره من الألفاظ التي تترادف معه– **سبقت الإشارة إلى ذلك ويعاد الكلام مع الزيادة لمناسبة المقام**– ؛ لأنَّ لفظ الخلْقِ يختصُّ بالدلالة على:" الإيجاد على وفق تقدير سابق"[٢]، وقال الرَّاغب الأصفهاني (ت: نحو٤٢٥هـ):" الخَلْقُ أصله: التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشّيء من غير أصل ولا احتذاء..."[٣]. وما أجود قول أبي حاتم الرازي (ت:٣٢٢هـ) في الإشارة إلى دلالة اللفظ عند إسناده إلى الله الخالق – عزَّ وعلا –، حيث قال:" وإنَّما سَمَّى نفسه – عزَّ وجل– خالقًا؛ لأنَّه قدَّر الأشياء كلها ثمَّ أمضاها"[٤].
- **وفيها:** أنَّ هذه الآية العظيمة تدلُّ على أنَّ هذا الإنسان المكتمل التركيب العجيب الآثار خلقه الله تبارك وتعالى من نطفة أمشاج ضعيفة قد انفصلت عن ماء مهين ضعيف.
- وهذه النُّطفة تكون من ملايين النطف الموجودة في المنيّ أو الماء الذي يكون من الولد، وهو قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾ [القيامة: ٣٧].
- وهذه النُّطفة: يجعلها الخالق –سبحانه– في قرار مكين كما قال في آية أخرى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون:١٣]. أي في قرار معدٌّ ومُهيَّأ؛ لتستقَّر النُّطفة فيه استقرارًا دقيقًا كاملا مُعجزًا، قال محمد الأمين الهرري:" الاستعارة التصريحية الأصلية في قوله:﴿ قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ حيث شبه الرحم بالقرار؛ أي: بموضع الاستقرار فحذف المشبه، الذي

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١٠٢/١٤.

(٢) مجال الخلق في القرآن الكريم، دراسة في الفروق الدلالية، د/ عبد الكريم جبل: ص١٧٣.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن الكريم (خ ل ق): ص٢٩٦.

(٤) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: ٥٣/٢.

هو الرحم، وأبقى المشبه به، وهو القرار، ثمَّ وصفَه بمكين، بمعنى متمكن، لتمكنه في نفسه، بحيث لا يعرض له اختلال، أو لتمكن ما يحل فيه، كقولهم طريق سائر؛ أي: يُسار فيه"[1].

- وأنَّ هذه النُّطفة وصفها الله تعالى في آية أخرى بأنَّها أمشاج، وهو قوله- سبحانه:﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ [الإنسان: ٢]. وفي ذلك دلالة على أنَّ ما يتوقَّف عليه تكوُّن الجنين يكون من هذه النطفة التي هي في أصلها أمشاج، ومعنى أمشاج: اختلاط نطفة الرجل بنطفة المرأة، وهو قول ابن عباس – رضي الله عنهما- في رواية عطاء، والكلبي ومقاتل"[2]. وقال ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)- بعْدَ أنْ ذكرَ عددًا من أقوال أهل التأويل-:" وأشبه هذه الأقوال بالصواب قولُ مَنْ قال: معنى: ﴿ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ نطفة الرَّجل، ونُطفةُ المرأة؛ لأنَّ الله وصف النُّطفة بأنَّها أمشاجٌ، وهي إذا انتقَلَت فصارت علقة؛ فقد استحالت عن معنى النُّطفة، فكيف تكونُ نُطفةً أمشاجًا وهي علقةٌ؟[3]، وقال السَّمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ):" أي أخلاطٍ لأنه خلق من ماء الرجل والمرأة جميعًا"[4]. وعبارة ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ):" أي: أخلاط، والمشجُ والمشيج: الشيء الخليط بعضه في بعض"[5]. وغيرهم من المفسرين قديمًا وحديثًا على هذا الرأي في تفسير قوله سبحانه:﴿ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ [الإنسان: ٢]، وإنَّ كلام المفسرين في معنى أمشاج يرشدنا إلى أنَّ النطفة وهي الجزء اليسير من ماء الرجل، وماء المرأة لا تتكوَّن إلا بامتشاجهما معًا في قرار الرَّحم، ولا يكون ذلك إلا بإرادة الله مهما كانت الأسباب مهيَّأة لذلك، سبحانه:﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾[الشورى: ٤٩].

---

(1) حدائق الروح والريحان في رَوَابي علوم القرآن: ٦٠/١٩.

(2) ينظر: التفسير البسيط، الواحدي: ١٢/٢٣.

(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥٣٥/٢٣، ٥٣٦.

(4) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (خ ل ط) : ٩٤/٤.

(5) تفسير القرآن العظيم: ٢٨٥/٨.

- وصدق النبّي الكريم – عليه أزكى الصلاة وأطيب التسليم– إذ يقول:" ما من كلِّ الماء يكون الولد، وإذا أراد الله خلْقَ شيء لم يمنعه شيء"[١]. وفي الحديث أيضًا: أنَّ يهوديًّا مرَّ بالنَّبي وهو يحدِّث أصحابه فقالت قيس: يا يهودي إنَّ هذا يزعم أنَّه نبي، فقال: لأسألنَّه عن شيء لا يعلمه إلَّا نبي فقال: يا محمد مِمَّ يُخلق الإنسان؟ فقال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم– يا يهودي، من كلِّ يُخلق، من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة، فقال اليهودي: هكذا كان يقول مَنْ قبلك (أي: من الأنبياء)"[٢].
- ثم تأتي الأبحاث والمكتشفات العلمية في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين وتتوصل إلى أنَّ المني أو الماء الذي يكون منه تناسل الذرية، وخلقُ الآدميين يحتوي على مئات الملايين من الحيوانات المنوية، بل إنَّ خلق الآدميين وتناسلهم لا يكون من جميع هذا المني، بلْ من جزءٍ يسيرً منه يتوقَّف تكوُّن الجنين عليه، وفي ذلك قال الدكتو محمد علي البار:" ونحن نعلم الآن أنَّ جزءًا يسيرًا جدًا من المني هو الذي يخلق الله منه الولد... فالدفقة الواحدة من المني تحمل مائتي مليون حيوان منوي... **والذي يلقح البويضة هو حيوان منوي واحد فقط** ..."[٣]. ولا يوجد ما يُقال إلا أن يقال: سبحان الله كم في كلامه عزَّ وعلا، وكلام نبيه – صلى الله عليه وسلم– من إعجاز لا عدَّ له ولا حدّ؟!!!.
- قال سعيد حوى– رحمه الله– (ت: ١٤٠٩هـ):" يتَّضح بجلاء أنَّ ما اكتشفته البشرية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين قد تحدَّث به القرآن بلا أدنى شكٍّ أو مواربة، وقد وضَّحته الأحاديث النبوية الشريفة... كما أنَّ الصحابة والتابعين من أعلام المفسرين– وعلى رأسهم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قد فهموا من الآيات الكريمة ما نفهمه نحن اليوم بعد الاكتشافات العلمية، وقد نقلنا ذلك عنهم حسب ما رواه شيخ المفسرين ابن جرير الطبري، والحافظ ابن كثير الدِّمشقي، وغيرهم من أعلام التفسير في القديم

---

(١) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، كتاب النكاح، باب العزل، حديث رقم (١٤٣٨): ١٠٦٤/٢، والسنن الكبرى، أبو بكر البيهقي، باب العزل، حديث رقم (١٤٤٢٦): ٤٦٦/١٤.

(٢) مسند الإمام أحمد، حديث رقم (٤٤٣٨): ٢٥٧/٤، ٢٥٨.

(٣) خلق الإنسان بين الطب والقرآن: ص١١١.

والحديث، **ولا أظنُّ أحدًا سيتهمُنا بأنَّنا نتعسَّف النصوص لنفسر بها الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**"[1].

- **وفي الآية من الهدايات:** أنَّ الأمر فيه مزيد من الإعجاز، حيث إنَّ" هناك اختيارًا بعد اختيار لهذه الحيوانات فلا يصل منها إلا ما أرادته المشيئة الإلهية التي جعلت كلَّ شيء بقد ... وأنَّ خلاصة (سلالة) هذا الماء المهين هي التي تصل إلى البويضة لتلقيحها...، وهناك اختيار واصطفاء أيضًا للبويضة.. فمبيض الطفلة وهي لا تزال جنينًا في بطن أمها يحتوي على ستة ملايين بويضة... فإذا ما خرجت إلى الدنيا مات الكثير منها... وتستمر هذه البويضات في اندثارها حتى إذا بلغت الفتاة المحيض لم يبق منها إلا ثلاثين ألفًا... وما ينمو منها ويخرج من المبيض لا يزيد عن أربعمائة بويضة في حياة المرأة كلها... وفي كل شهر تنمو مجموعة من البويضات ولكن يد القدرة تختار واحدة منها فقط لتكتمل نموها، وتخرج لملاقاة الحيوان المنوي السعيد في الثلث الوحشي لقناة الرَّحم..."[2].
- وإذا كان هناك اختيار واصطفاء للحيوان المنوي، وكان هناك اختيار واصطفاء للبويضة، فإنَّ" هناك اختيارًا واصطفاءً للبويضة الملقحة والكرة الجرثومية.. فليس كل بويضة تلقَّحت تصبح جنينًا كاملًا... كلا فإنَّ الأبحاث الحديثة جدا (مجلة MEDICINE DIGEST عدد يناير ١٩٨١ تقول: أن ٨٧ بالمائة من كل حمل يجهض ويتم إسقاطه ... وأنّ ما يقرب من ٥٠ بالمائة تسقط قبل أن تعلم الأم أنَّها حامل مصداقًا لحديث المصطفى- صلوات الله وسلامه عليه- حيث يقول: إذا وقعت النطفة في الرَّحم بعث الله ملكًا فقال يارب مخلقة أو غير مخلقة فإن قال غير مخلقة مجتها الأرحام دمًا". أخرجه ابن أبي حاتم[3]. ولم تعرف الحيوانات المنوية ومكونات المنى إلا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. حيث علم دور الحيوانات المنوية في إيجاد الإنسان على ضوء المعلومات الطبية

([1]) الأساس في التفسير: ٦٣٠٢/١١.

[2] خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د/ محمد علي البار: ص١١٢.

[3] رواه ابن جرير الطبري في تفسيره من طريق داود بن أبي هند عن عامر عن علقمة عن عبد الله، ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن:٤٦١/١٦، وينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، باب مخلقة وغير مخلقة: ٢٩١/٣، ٢٩٢.

الحديثة"[1]. فأي إعجاز هذا؟!!!. فسبحان الله العظيم ذي القُدرة التي لا تُحدُّ ، والكرم الذي لا يُعَدُّ.

- **وفيها:** أنَّه إذا كانت النطفة– على ما سبقها من اختيارات واصطفاءات قد غاب منها الكثير عن أفهام العلماء وعقولهم – يقوم عليها تخلُّق الجنين ثم تدرُّجه في مراحل التخليق طورًا بعد طورٍ إلى أن يُصبحَ بشرًا سويًّا– على نحو ما سيأتي– مكتمل التركيب بديع الصنع عجيب الآثار؛ **فإنَّ ذلك من أوضح الدلائل وأبينها وأعظمها** على قدرة الخالق البارىء على البعث، فمن لم يعجزه الخلق الأول لن تعجزه النشأة الأخرى، سبحانه سبحانه لا يعجزه شيء ولا يمنعه شيءٌ عن شيء، وهو على كلِّ شيء قدير.
- **وفيها:** الاهتداء إلى دقَّة القرآن الكريم في اختيار لفظ دون غيره من ألفاظ اللغة، وتوظيفه توظيفًا محكمًا، ويتَّضح ذلك من خلال الوقوف التلاقي الدلالي بين المعنى اللغوي للفظ نطفة، وبين معناه في الاستعمال القرآني، فمن جهة اللغة، قال الخليل بن أحمد (ت:١٧٥هـ):" والنَّطَفُ: اللُّؤْلؤُ، الواحدةُ: نَطَفةٌ، وهي الصّافيةُ الماء، وقيل: الواحدة: نُطَفَةٌ، والجميع: النُّطَفُ. تَشبِيهًا بقطرة الماء."[2]، وقال ابن فارس (ت:٣٩٥هـ):" النُّطْفَةُ: الماء الصّافي..."[3]، وقال ابن سيده (ت:٤٥٨هـ):" النُّطْفَةُ والنُّطافَةُ: القليلُ من الماءِ، وقِيلَ: الماءُ القليلُ يُبَقَي في القِرْبَةِ"[4]، وقال السَّمين الحلبي(ت: ٧٥٦هـ):" النَّطفة... أصلها الماء الصافي، فعبر بها عن ماء الفحل..."[5]، ومما نلاحظه من أقوال أهل اللغة اجتماعهم على أنَّ النطفة تختصُّ بالدلالة على القليل الصافي أو الخالص.

---

[1] خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د/ محمد علي البار: ص١١٢، ١١٣.

[2] العين (ن ط ف): ٤٣٦/٥.

[3] مقاييس اللغة (ن ط ف): ٤٤٠/٥.

[4] المحكم والمحيط الأعظم (ن ط ف): ١٨٦/٩.

[5] عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (ن ط ف): ١٩٠/٤.

أمَّا معنى النُّطفة في الاستعمال القرآني؛ فيتَّضح من خلال أقوال المفسرين، ومنها: قول ابن فورك (ت:٤٠٦هـ):" النُّطفة القطرة من الماء"[١]. وفي ذلك دلالة على أنَّ النطفة جزء يسير من الماء بمقدار القطرة، وقال ابن عطية (ت: ٥٤٦هـ):" النُّطفَة: الماء الذي خلق المرء منه[٢]، وقال أيضًا:" « النطفة» : القطعة من الماء"[٣]، وفي ذلك إشارة أيضًا إلى أنَّ النطفة ليست كلّ الماء بل جزء يسير منه، وهو ما يتوافق مع دلالة اللفظ في اللغة، بل إنَّ القرآن الكريم قد استعمل اللفظ استعمالًا دقيقًا ومحكمًا، وذلك من جهة توظيفه للدلالة على الجزء اليسير من ماء الرجل وماء المرأة حال امتشاجهما، وقد أثبت العلم الحديث ذلك على نحو ما سبق.

- **وفيها:** تقابلٌ بين صورتين ، صورة حاضرة، وهي: مرحلة كمال الإدراك والمقدرة على الجدال والخصومة، وأخرى ماضية، وهي: مرحلة انعدام الإدراك أساسًا وعدم القدرة على الكلام، قال الشيخ محمود محمد غريب:" ذَكَرَ النُّطفة وعطف عليها مرحلة الكمال العقلي، وهي مرحلة القدرة على الخصومة... فالخصيم المبين قدرة بعد أن كان نطفة لا يدري ماهي الحياة. والوسط بين النطفة والخصيم محذوف"[٤]. وذلك أدعى للاعتبار والتفكر في قدرة الله – تبارك وتعالى– ، ونعمه العظيمة على عباده، وأزجر للغفلة والنسيان، وترك المخاصمة والجدال.
- و" قد ذُكِر للاعتبار بخلق الإنسان ثلاثة اعتبارات: جنسه المَعلوم بماهيته وخواصِّه من الحيوانيَّة والناطقية وحُسن القوام، وبقيةُ أحوال كونه، ومبدأ خلقه وهو النُّطفة التي هي أمهن شيء نشأ منها أشرف نوع، ومنتهى ما شرفه به وهو العقل. وذلك في جملتين وشبه جملة « خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين»"[٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٦٩/١.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥٦٨/٤.

(٣) السابق نفسه: ٤٠٧/٥.

(٤) لطائف قرآنية: ص٣١.

(٥) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١٠٢/١٤.

- **وفيها:** أنَّ ألفاظ هذه الآية في غاية الانسجام وكماله،" تسير رقة كالماء ....، وإذا رقَّ الكلام انوزن من غير قصد الوزن: فمثاله... من- بحر- المنسرح:﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ ﴾"[1].
- **قوله تعالى:** ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾: إنْ قيل الفاءُ تدلُّ على التَّعقيب، وكونُه خصيمًا لا يَكونُ عُقَيْبَ خَلْقِهِ منْ نُطْفَةٍ؛ فجوابه من وجهين: أحدها: أنَّه أشار إلى ما يَئُول حاله إليه، فأجرَى المنتظرَ مجرى الواقع، وهو من باب التعبير بآخر الأمرِ عن أوَّله؛ كقوله:« أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا» - [يوسف: ٣٦]-. وقوله تعالى: « وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا»- [غافر: ١٣]- ؛ أي سبب الرِّزق؛ وهو المطر. والثَّاني: أنَّه إشارةٌ إلى سُرعةِ نِسيانِهِم مَبْدأَ خَلْقِهِم"[2].
- **وفيها:** أنَّه- تبارك وتعالى- لم يقل: فهو خصيم أو فكان خصيمًا، وإنَّما جاء التعبير بـ ﴿**إذا**﴾ ، فما الذي حقَّقه مجيء حرف إذا دون غيره، قال الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ):" والإتيان بحرف (إذا) المفاجأة استعارة تبعية. استعير الحرف الدَّال على معنى المفاجأة لمعنى ترتب الشيء على غير ما يظن أن يترتبَ عليه. وهذا معنى لم يُوضع له حرف. ولا مفاجأةَ بالحقيقة هنا لأنَّ الله لم يفجأه ذلك ولا فَجَأ أحدًا، ولكن المعنى أنَّه بحيث لو تدبَّر النَّاظر في خلق الإنسان لترقب منه الاعتراف بوحدانية خالقه وبقدرته على إعادة خلقه، فإذا سمع منه الإشراك والمجادلة في إبطال الوحدانية وفي إنكار البعث كان كمن فجأه ذلك. ولما كان حرف المفاجأة يدل على حصول المفاجأة للمتكلم به تعيَّن أن تكون المفاجأة استعارة تبعية. فإقحام حرف المفاجأة جعل الكلام مفهما أمرين هما: التعجب من تطور الإنسان من أمهن حالة إلى أبدع حالة هي الخصومة والإبانة الناشئين عن التفكير والتعقُّل، والدّلالة على كفرانه النعمة وصرفه ما أنعم به عليه في عصيان المنعم عليه. فالجملة في حدِّ ذاتها تنويه، وبضَمِيْمَة حرف المفاجأة أدمجت مع التنويه العجيب، ولو قيل فهو خصيم أو فكان خصيمًا لم يحصل **هذا المعنى البليغ**"[3].

([1]) الأصلان في علوم القرآن، أ. د. محمد عبد المنعم القيعي: ص٣٢٩.

([2]) التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري : ٧٨٨/٢، ٧٧٩.

([3]) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١٠٣/١٤.

- **وقوله سبحانه:** ﴿ خَصِيمٌ﴾ : على زنة فعيل وهو من صيغ المبالغة، أي: كثير الخِصام. وقال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ):" الخصيم بمعنى المخاصم...، قالوا: خصيمك الذي يخاصمك، وفعيل بمعنى مُفاعل معروف، كالنسيب بمعنى المناسب، والعشير بمعنى المعاشر، والأكيل والشريب، ويجوز أن يكون خصيم فاعلًا من خَصِم يَخصِم بمعنى اختصم..."[1]، وهذه الوجوه جميعا يحتملها اللفظ في هذه الآية المباركة، فلا يمتنع حملها عليه، وهذا يدلُّ على اتساع المدى الدلالي للفظ القرآني.
- **وفي الآية من الهدايات:** بيانُ القدرة الإلهية، وذلك أنَّ الله تبارك وتعالى الذي خلق الإنسان من نطفة ضعيفة منفصلة عن ماء ضعيف، جعله يمتلك ذهنًا ورأيًا يخاصم ويناقش، ويجادل، وإن كان الأمر كذلك، فليشكر العبد ربه، ويؤدي حقَّه، ويوظِّف تلك المخاصمة ذلك في طاعة الله، والدفاع عن دينه، ويبتعد عن الجحود والإنكار لأنعُم الله.

وانظر كم في هذه الآية العظيمة من عظيم الحُجج، وعجائب الإعجاز– وكلُّ كلام الله إعجاز– التي لا تنفد، والهدايات التي لا تنحصر، لمن أعمل الفكر، وأطال النَّظر في كلام الخالق سبحانه.

(١) التفسير البسيط: ١٢/١٣.

- المبحث الثالث: مرحلة (= طور) تكوُّن العَلقة:

بعد أنَّ جَعل الله تبارك وتعالى النُّطفة التي هي جزء يسير مُنفرز عن ماء الرجل، وماء المرأة بعد امتزاجهما وامتشاجهما في قرار الرَّحم، فإنَّ تلك النُّطفة تنتقل إلى طورٍ آخر من أطوار التخليق والتكوين وهو: أن تصبِح تلك النُّطفة **عَلَقةٌ**، قال الدكتور محمد البار: العلقة هي المرحلة التي تلي تكوُّن النطفة الأمشاج.. وتبدأ تعلق النُّطفة الأمشاج (مرحلة التوتة) بالرَّحم.. وتنتهي عند ظهور الكتل البدنية التي تعتبر بداية المضغة"[1]، والآيات التي تحدَّثت عن تلك المرحلة بيانها على النحو الآتي:

* **قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ [الحج: ٥].

* **وقال سبحانه:** ﴿ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤].

* **وقال الخالق- جلَّ ذكْرُه وعلا شأنه وأمرُه-:** ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ﴾ [غافر: ٦٧].

* **وقال تباركت أسماؤه:** ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى * أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [القيامة:٣٦- ٣٨].

* **وقال عزَّ وعلا:** ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ [العلق:١، ٢].

---

[1] خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د/ محمد علي البار: ص٢٠١.

- **المعنى الإجمالي للآية الأولى:**

يُخاطبُ الله – تبارك وتعالى–المشركين مُنكري البعث المجادلين في آيات الله ، واليوم الآخر، فيقول لهم: إن ارتبتم من قدرتنا على البعث، فإنَّ مبدْأَ خلقكم وأصله – وهو آدم عليه وعلى نبيِّنا الصلاة والسَّلام– من تُراب، ثمَّ من نطفة ثمَّ من علقة ثم من مضغة، ثم ماكان بعد ذلك من تصريفكم أحوالًا، حالًا بعد حال، وطورًا بعد طورٍ، حتى بلغتم أشدَّكم ثم مرحلة الموت التي تصيرون معها ترابًا من جديد؛ أفلا يكون ذلك متَّعظًا تتعظون به،" فتعْلمون أنَّ مَنْ قَدَرَ على ذلكَ فغيْرُ مُتَعَذِّرٍ عليْه إعَادتُكُمْ بَعْدَ فنائِكُمْ، كما كُنْتُمْ أحْيَاءً قَبْلَ الفَنَاء"[1].

ومعنى ﴿ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ تقدَّم بيانه في المرحلة السَّابقة.

أمَّا المراد بقوله: ﴿ مِنۡ عَلَقَةٖ﴾ فقد قال أبو المظفر السمعاني (ت :٤٨٩هـ):" العَلقَة هِيَ الدَّم المتجمد، وَقيل: المنعقد"[2]. وقال ابن عطية (ت: ٥٤٦هـ):" العلق الدَّم العبيط"[3]، أي: الطَّري، وقيل: الشَّديد الحُمرة"[4]، وقال الطَّاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ):" العلقة: القطعة من الدَّم الجامد الليِّن"[5].

ومعنى قوله سبحانه: ﴿ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ﴾: سيأتي بيانه في المرحلة التالية.

- **المناسبات:**

قال البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) عن وجه المناسبة بين هذه الآية العظيمة، والآيات السَّابقة عليها، والتي جاء الحديث فيها عن يوم البعث:" لما حذَّر الناس من ذلك اليوم، وأخبر أنَّ منهم من يكذب،

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطَّبري: ٤٦١/١٦.

(٢) تفسير القرآن: ٤١٩/٣.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: ١٠٧/٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٣١٣/١٤.

(٥) التحرير والتنوير: ١٩٧/١٧.

وعرف بمآله، فأفهم ذلك أن منهم من يصدق به فيكون له ضد حاله، وكان كثير من المصدقين يعملون عمل المكذبين، أقبل عليهم سبحانه إقبالًا ثانيًا رحمة لهم، منبهًا على أنه ينبغي أن لا يكون عندهم نوع من الشك في ذلك اليوم لما عليه من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم، فقال دالًاعليه بالأمرين: {يا أيها الناس} ...."[1].

وقال الطَّاهر ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ):" أعاد خطاب النَّاس بعد أنْ أنذرهم بزلزلة الساعة، وذكَرَ أنَّ منهم من يجادل في الله بغير علم، فأعاد خطابهم بالاستدلال على إمكان البعث، وتنظيره بما هو أعظم منه، وهو الخلق الأول، قال تعالى:« أفَعَيِينَا بالخلق الأول بل هم لبسٍ من خلق جديد». فالذي خلق الإنسان من عدم، وأخرجه من تراب، ثم كوَّنه من ماء، ثم خلقه أطوارًا عجيبة، إلى أنْ يتوفاه في أحوال جسمه، وفي أحوال عقله، وإدراكه، قادرٌ على إعادة خلقه بعد فنائه"[2]، وسواء هذا القول، أو سابقه فإنَّ فيه دلالة على كمال التناسب بين آيات القرآن الكريم.

- **الهدايات:**

في هذه الآية العظيمة استدلالات قاطعة، منها: الاستدلال على البعث ببدء الخَلْقِ؛ وبيان ذلك: أنَّ منْ قدَرَ على خلقِ الناس من تراب أولًا، ثم من نُطفة أمشاج، ثم من علَقة ثمَّ من مضغة...، ثمَّ إلى آخر الأطوار، وصولًا إلى مرحلة الكمال العقلي التي يصير فيها الواحد منهم ذا ذهن ورأي؛ فيتجرأ ويخاصم، ويجادل في آيات الله تبارك وتعالى، ثم الموت الذي تكونون بعده ترابًا، فإنَّ من قدر على ذلك كله، فبلا شكّ قادرٌ على إعادة ما بدأه، والبعث للمعاد والجزاء؛ فالإبداء والإعادة في مقدوراته سبحانه سواء، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الحج:٦].

([1]) نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور: ٨/١٣.

([2]) التحرير والتنوير: ١٩٦/١٧.

- قال جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ):" ليتأمل العاقل خِلْقته من علقة في رَحم مغمومة من دَم حيض، فلما كبر، وترعرع صار يخاصِمُ مَوْلاه، كما قال تعالى:﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس:٧٧]"[١].
- **وفيها:** لعلَّ الغرض من ذِكْر هذا المراحل بهذا التدريج هو بيان: الإمكان والمقدورية على الخَلْقِ والبعث بعد الموت، وغير ذلك وهو مما يختصُّ به الله وحده، دون سواه، وذلك ظاهر من قوله- تعالى- بعد مراحل تطور الجنين: ﴿ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾، أي: " لنظهر لكم إذا تأملتم دليلًا واضحًا على إمكان الإحياء بعد الموت"[٢].
- **وفيها:** دعوة للاعتبار والتدبر والتفكُّر في مبدأ الخلق الذي من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم ما تلا ذلك من مراحل، وذلك أدعى للتواضع، فما لابن آدم والفخر، وما لابن آدم والغرور، وما لابن آدم والجدال في آيات الله، والجحود والإنكار، وهذا هو أول خلقه!!!!.
- **وفيها:** دلالة على أنَّ من صفات المشركين: الشكَّ الذي يملأ قلوبهم، والجدال الذي يُبنى على جهل وعدم وعي، والمكابرة والعناد، والغرور.
- **وفيها:** من الحجج الظاهرة التي تلقم الكفار حجرًا في إنكارهم البعث، وتكذيبهم باليوم الآخر، والإعادة مرة أخرى للوقوف بين يدي الله – عزَّ وعلا-؛ للحساب والجزاء.
- **وفيها:** أنَّ تلك الشبهة، وهي : إنكار البعث وغيرها من الشبهات باطلة لا أثر ولا وزن لها.
- **وفيها:** أنْ " جُعل ريبهم في البعث مفروضًا بـ(إنَّ) الشرطية مع أنَّ ريبهم محقق للدلالة على أنَّ المقام لما حف به من الأدلة المبطلة لريبهم ينزل منزلة مقام من لا يتحقق ريبُه كما في قوله تعالى: «أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ »-[الزخرف:٥]-"[٣].
- **أمَّا** جواب الشرط فـ" جملة « فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ » واقعة موقع جواب الشرط ولكنها لا يصلح لفظها لأن يكون جوابًا لهذا الشرط بل هي دليل الجواب. والتقدير: فاعلموا أو

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٦١٢/٢.

(٢) التحرير والتنوير: ١٩٩/١٧.

(٣) السابق نفسه: ١٩٦/١٧.

فنعلمكم بأنَّه ممكن كما خلقناكم من تراب مثل الرفات الذي تصير إليه الأجساد بعد الموت، أو التقدير: فانظروا في بدء خلقكم فإنَّا خلقناكم من تراب"[١].

- **وفي الآية أيضًا:** أنَّ الظرفية المفادة ب(في) مجازية. شبهت ملابسة الرَّيب إياهم بإحاطة الظرف بالمظروف"[٢].
- **وفيها:** الاهتداء إلى توافق رؤية اللغويين والمفسرين، والطب الحديث حول دلالة لفظ علقة، وبيان ذلك كما يأتي، أولًا: من جهة اللغة، فقد جاء لفظ علقة على طريقة الاشتقاق من الجذر اللغوي (علق) الذي تدور استعمالاته حول معنى نشوب الشَّيء بالشَّيء، قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ):" العينُ واللام والقاف أصلٌ كبيرٌ صحيحٌ يرجع إلى معنى واحد، وهو أنْ يُناط الشَّيءُ بالشَّيء العَالي"[٣]، وقال الدكتور محمد حسن جبل (ت: ١٤٣٦هـ):" المعنى المحوري: نشوب أو امتساك مع ارتفاع وغلظ ما"[٤]، ومن الاستعمالات التي يسري فيها هذا المعنى، قولهم: عَلَّقْتُ الشَّيْءَ أُعَلِّقُهُ تعْليقًا. وقد عَلِقَ به، إذا لَزِمَهُ"[٥]، وقال الخليل بن أحمد (ت:١٧٥هـ):" والمَعْلُوقُ: الذي أخَذَ العَلَقَ بحَلْقِهِ إذا شَرِبَ"[٦]، وقال:" العَلَقُ: الدَّمُ الجامدُ قبل أنْ يَيْبَسَ."[٧]، و" قياسُهُ صحيحٌ، لأنَّهُ يَعْلَقُ بالشَّيْءِ؛ والقطْعَةُ مِنْهُ عَلَقَةٌ"[٨].

---

[١] السابق نفسه.

[٢] التحرير والتنوير: ١٩٦/١٧.

[٣] مقاييس اللغة، ابن فارس (ع ل ق): ١٢٥/٤.

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (ع ل ق): ص١٥١١.

[٥] مقاييس اللغة (ع ل ق): ١٢٥/٤.

[٦] العين (ع ل ق): ١٦١/١.

[٧] السابق نفسه.

[٨] مقاييس اللغة (ع ل ق): ١٢٥/٤.

أمَّا إذا عدنا إلى أقوال المفسرين، فنذكر منها قول الواحدي(ت ٤٦٨هـ):" إنَّ النُّطفة المخلوق منها الولد تصيرُ دمًا غليظًا"[١]، في إشارة منه إلى العلقة.

وقال الزَّمخشري (ت:٥٣٨هـ):" العلقةُ: قطعة الدَّمِ الجامدة"[٢]، وقال أبو الفرج ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ):" قيل: سميَّت علقة لرطوبتها وتعلُّقها بما تمرُّ به، فإن جفَّت فليس بعلقة"[٣].

وبالمقارنة بين هذه الأقوال، وبين أقوال أهل اللغة يُلاحظ التوافق والتقارب بينهما إلى حدٍّ كبير.

ليس هذا فحسب بل إنَّ هذه الأقوال جميعًا تتلاقى مع دلالة العلقة، وحالها في علم الطب الحديث، قال الدكتور محمد علي البار:" إنَّ لفظ العلقة يُطلقُ أساسًا على كلِّ ما ينشب ويعلق.. وكذلك تفعل العلقة إذ تنشب وتعلق في جدار الرَّحم، وتنغرز فيه .. وتكون العلقة محاطة بالدَّم المتخثر(المتجمد) من كل جهاتها... وإذا عرفنا أنَّ حجم العلقة عند انغرازها لا يزيد عن ربع مليمتر أدركنا على الفور لماذ أصَّر المفسرون القدامى على أنَّ العلقة هي الدَّم الغليظ... فالعلقة لا تكاد تُرى بالعين المجردة وهي مع ذلك محاطة بالدَّم من كل جهاتها.. فتفسير العلقة إذن بالدَّم الغليظ ناتج عن الملاحظة بالعين المجردة.... ولم يبعد بذلك المفسِّرون القدامى عن الحقيقة كثيرًا... فالعلقة العالقة بجدار الرَّحم، والتي لا تكاد تُرى بالعين المجردة محاطة بدم غليظ يراه كلَّ ذي عينين"[٤].

- **وفيها: أنَّ﴿ ثُمَّ﴾**" التي عطف بها **ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ** عاطفة مفردات فهي للتَّراخي الحقيقي"[٥]. وذلك لأنَّ الانتقال من حال إلى حال أو خلقة إلى خلقة من أطوار التخليق يحتاج فترة زمنية تصل إلى أربعين، فبعد أن تستقر النُّطفة في رحم المرأة أربعين

---

(١) التفسير البسيط: ٢٥٧/١٥.

(٢) الكشَّاف: ١٧٧/٤.

(٣) زاد المسير في عِلمِ التَّفسير: ٤٠٦/٥.

(٤) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د/ محمد علي البار: ص٢٠٣.

(٥) التحرير والتنوير، الطَّاهر ابن عاشور: ١٩٧/١٧.

يومًا، تتحوَّل بقدرة من يقول للشيء كن فيكون إلى علقة فتمكث كذلك إلى غير ذلك من الأطوار...، وهذا ما أشار إليه الصادق المصدوق – صلَّى الله عليه وسلم– قال:" إنّ أحدكم يجمع خلقُه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، **ثم يكون علقةً مثل ذلك**، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكًا، ويؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح...."[1].

وقال أبو الفداء ابن كثير(ت:٧٧٤هـ):" إذا استقرَّت النُّطفة في رحم المرأة، مكثت أربعين يومًا كذلك، يضاف إليها ما يجتمع إليها، ثمَّ تنْقَلِب علقةً حمراء بإذن الله، فتمكُث كذلك أربعين يومًا، ثمَّ تستَحيلُ فتصير مُضغة– قطعة من لحمٍ لا شكل فيها ولا تخطيط– ثمَّ يُشرَع في التشكيل والتَّخطيط، فيُصوِّر منها رأس ويدان، وصدر وبطنٌ، وفخذان ورجلان، وسائر الأعضاء، فتارةً تُسقِطُها المرأة قبل التَّشكيل والتَّخطيط، وتارةً تُلْقيها وقد صارتْ ذات شكلٍ وتخطيط؛ ولهذا قال تعالى:﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ أيْ: كما تُشاهدونها..."[2].

وقال الدكتور محمد علي البار:" جاء التعبير في النقلة بين النطفة والعلقة **بثمَّ** إذ البون شائع بين النطفة سواء كانت نطفة الذكر (الحيوان المنوي) أو نطفة الأنثى (البويضة) أم منهما معًا، وهي النُّطفة الأمشاج والتي تتحرك في قناة الرَّحم؛ لتصل إلى الرحم (القرار المكين) فتستقرَّ فيه ... فالبون شاسع بين هذه النطفة وبين العلقة العالقة بجدار الرَّحم، والمكونة من كرة جرثومية لها خلايا خارجية آكلة تعلق وتنشب بجدار الرحم وكتلة خلايا داخلية يخلق الله منها الجنين ... ويظهر فيها (أي في هذه الكتلة) طبقة خارجية وهي الاكتودرم وتكون مسقوفة بتجويف السلى (الأمنيون).. وطبقة داخلية وهي الانتودرم وتشكل هي سقف كيس المح. ثم تنمو بعد ذلك فيما بين الطبقتين طبقة ثالثة هي الطبقة المتوسطة أو طبقة الميزودرم..."[3].

---

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، حديث رقم (٣٣٣٢): ١٣٣/٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٣٩٥/٥.

(٣) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د/ محمد علي البار: ص٢٤٥.

وإنَّ في الأمر تفصيلات كثيرة تصل إلى حدِّ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، قد تحدَّث فيها ذوي الاختصاص من أهل العلم والطب[١]، بل إنَّ من الإعجاز أيضًا أنْ يصفَ القرآن الكريم هذه المراحل الدقيقة من مراحل خلقِ الإنسان بدقَّةٍ تفوقُ وصف الواصفين، وشرح الشارحين، وذلك قبل ألف وأربعمئة عام.

- قال الطَّاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ):" ومن إعجاز القرآن العلمي تسمية هذا الكائن باسم العَلَقة فإنَّه وَضْع بديع لهذا الاسم إذ قد ثبت في علم التشريح أنَّ هذا الجزء الذي قد استحالت إليه النُّطفة هو كائن له قوة امتصاص من دم الأم بسبب التصاقه بعروق في الرَّحم تدفعُ إليه قوة الدَّم. والعلقة: قطعة من دمٍ عاقد"[٢].
- **وفي الآية أيضًا:** أنَّ"(مِنْ) المكررة أربع مرات هنا ابتدائية وتكريرها توكيد"[٣].
- **قوله –** سبحانه–: ﴿ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ﴾ ، فيه: أنَّ " اللام للتعليل متعلقة بما في تضمينه جواب الشرط المقدرُ من فعل ونحوه تدلُّ عليه جملة « **فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرابٍ**» إلخ، وهو فعل: فاعلموا، أو فنعلمكم، أو فانظروا. وحذف مفعول«**لِنُبَيِّنَ» لتذهب النفس في تقديره كلَّ مذهب مما يرجع إلى بيان ما في هذه التصرفات من القدرة والحكمة، أي لنبيِّن لكم قدرتنا وحكمتنا**"[٤].

وهذه الآية العظيمة بحر نظر وفكر فيها الكثير من الهدايات التي يمكن أن يستنبطها كل ذي اختصاص على حده، فإنَّ تدبَّر اللغوي سيستنبط الكثير من هدايات ألفاظها من جهة الاستعمال والتوزيع...إلخ، وإن تأمل البلاغي سيستنبط الكثير من إعجاز بيانها...إلخ، وإنَّ تعمَّق الطبيب سيستنبط العديد من إعجازها العلمي الذي يُبهر العقول...إلخ، وغيرهم من ذوي الاختصاص والعلم.

---

[١] السابق نفسه: ص٢٠١-٢٤٢.

[٢] التحرير والتنوير: ٢٣/١٨، ٢٤.

[٣] التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١٩٧/١٧.

[٤] السابق نفسه.

- المبحث الرابع: مرحلة التطور إلى المُضغة:

بعد مرحلة العلقة تأتي مرحلة أخرى بإذن الله وقدرته، وهي مرحلة تطور العلقة (= الدم الغليظ الطري قبل أن يجفَّ) إلى مضغة، وقد جاء الحديث عن هذا المرحلة في آيتين، مع تكرَّر استعمال لفظ المضغة ثلاث مرات[1]، وبيان ذلك على النحو الآتي:

* **قال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[الحج: ٥].

* **وقال سبحانه:** ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

- المعنى الإجمالي للآية الثانية:

في هذه الآية العظيمة يخبر الله –تبارك وتعالى– عن مراحل خَلْقِ الإنسان في بطْنِ أمه بداية من اجتماع ماء الرجل، وماء المرأة، وامتزاجهما في قرار الأرحام، ثم انفصال النُّطفة منهما لتكون في قرار مكين، قال تعالى:﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٣]، وإنَّ تلك النُّطفة هي التي يكون منها ابتداء تكوُّن الإنسان، ثم انتقاله إلى العلقة ثم إلى المضغة، وهكذا من حال إلى حال، حتى يتشكَّل في أحسن تقويم، وهو ظاهر في الآية، ويعيش ما شاء الله له أن يعيش محافظًا على أمر خالقه، ومحققًا لطاعته، أو مقصرًا في أمر خالقه، ومضيعًا لطاعته، ثم وصوله إلى النهاية: وهي الموت، قال سبحانه:﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون:١٥]، ثم بعد الموت

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي: ص٦٦٨.

والفناء يكون البعث؛ للوقوف بيد يدي الله رب العالمين للحساب، والجزاء، قال تعالى:﴿ **إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**﴾ [المؤمنون: ١٦]..

وإذا عُدنا إلى الآية لنقف على معنى اللفظ الذي يُعبِّر عن تلك المرحلة، وهو: المضغة، فقد قال شيخ المفسرين ابن جرير الطَّبري(ت:٣١٠هـ):" مضغة وهي القطعة من اللحم"(١). وقال ابن كثير(ت:٧٧٤هـ):" مُضغة: قطعة من لحمٍ لا شكل فيها ولا تخطيط"(٢)، وجاء في التفسير الوسيط:" (مُضْغَةً) أي: قطعة لحم بقدر ما يمضغ"(٣).

وقال الطَّاهر ابن عاشور(ت: ١٣٩٣هـ):" والمضغة: القطعة الصغيرة من اللحم مقدار اللقمة التي تُمضغ"(٤).

فالمضغة إذًا تكون" اسمًا للحالة التي ينتهي إليها الجنين بعد العلقة"(٥).

وقوله: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ قال ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ):" مَعْنَاهُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الصَّانِعِينَ"(٦).

- **المناسبات:**

قال الفخر الرَّازي (ت: ٦٠٤هـ):" اعلم أنَّه لما أمر بالعبادات في الآية المتقدِّمة، والاشتغال بعبادة الله لا يصح إلا بعد معرفة الإله الخالق، لا جرم عقَّبَهَا بذكر ما يدلُّ على وجوده، واتصافه بالوحدانية فذكر من الدلائل أنواعًا:

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢١/١٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٣٩٥/٥.

(٣) التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء: ١٢٧٤/٦.

(٤) التحرير والتنوير: ٢٤/١٨.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرءوف المناوي: ص٣٠٧.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن:٢٥/١٧.

النوع الأول: الاستدلال بتقلُّب الإنسان في أدْوارِ الخِلْقَة وأكوانِ الفِطرَة..."[1].

- **الهدايات:**
- هذه الآية العظيمة وغيرها من الآيات التي تحدَّثت عن أطوار خلقِ الإنسان، وما فيها من إعجاز لا يتناهي؛ تدفع الإنسان العاقل إلى أن يكون مُقرًّا بالعبودية لربّه، طائعًا له، حامدًا آلاءه، شاكرًا نعماءه التي لا تُحدّ، ولا تُعدّ.
- **قوله -سبحانه-:﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ فيه من الهدايات:**

أولًا: العطف بالفاء دون غيره، قال الطَّاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ):" وعطف جَعْل العَلقة **مُضْغةً بالفاء؛ لأنَّ** الانتقال من العلقة إلى المضغة يشبه تعقيب شيء عن شيء، إذ اللحم والدم الجامد متقاربان فتطورهما قريب وإن كان مكث كل طورٍ مدة طويلة"[2]، وقال الدكتور محمد علي البار:" ولكن النقلة فيما بين العلقة ....، والمضغة... قريبة وتدلف العلقة إلى المضغة دون أن يكون هناك فارق زمني ولا فارق خلقي كبير... ولذا جاء التعبير عنها **بالفاء** دلالة على الاتصال بينهما﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾..."[3]، فسبحان الله العظيم البارىء ذي القدرة والجبروت.

ثانيًا: يُلاحظ أنَّه قد تكرّر﴿ فَخَلَقْنَا﴾ من ابتداء مراحل الخلق، ثمَّ تحويلها من حال إلى حال، ومن طور إلى طور وصولًا إلى طور المضغة، وفي ذلك دلالة أشار إليها الفخر الرّازي (ت: ٦٠٤هـ)، وذلك قوله:" سُمِّي التحويل خلقًا؛ لأنَّه سبحانه يُفْنِي بعض أعراضها ويَخْلُقُ أعراضًا غيرها فسمّى خلق الأعراض خلقًا لها، وكأنَّه سبحانه وتعالى يخلق فيها أجزاء زائدة"[4]. وقال الطَّاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ):" **التخليق:** صيغة تدلُّ على تكرير الفعل، أي خلقًا بعد خلق، أي شكلًا

---

(١) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرَّازي: ٨٤/٢٣ ، ٨٥.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٤/١٨.

(٣) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د/ محمد علي البار: ص٢٤٥.

(٤) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرَّازي: ٨٥/٢٣.

بعد شكل"[1]، وفي كلامه دلالة على أنَّ التخليق يجري لكلِّ الأعضاء، أو جميع ما يكون عليه حال الإنسان في أحوال تخليقه، ويلاحظ أنَّ كلامه هنا أوسع من كلام الرَّازي، ولعل القول بالسِّعة أدق وأرجح، لتناسبها مع كمال التخليق، وتمامه، والأثر الكامل للانتقال من طور إلى آخر والإخراج من حال إلى حال نتيجة التخليق، كما أنَّ فيه معنى الكثرة، وفي ذلك دلالة على تفرُّد الله به، وكمال قدرته فيه.

ثالثًا: أنَّ اسم المضغة، وهو المسمَّى أو المفهوم العام الذي حدَّده القرآن الكريم؛ ليكون مفهومًا ومسمًى عامًّا لتلك المرحلة، لم يزد عليه علم التشريح، والأجنة في هذا العصر، وذلك يثبت بما لا يدع مجالًا للشكِّ دقة القرآن الكريم في اختيار الألفاظ، والإعجاز في التوظيف.

رابعًا: أنَّ من الهدايات التي يستفيدها الغائص على استخراج الأسرار والدقائق التي تحتملها مفردات القرآن الكريم: الاطمئنان إلى تفسير من بين التفسيرات المتعددة لمفردات القرآن الكريم، ومعرفة أنَّ القرآن قد بلغ الأمد الأقصى بل الإعجاز في الاختيار الدقيق للفظ ما دون غيره من الألفاظ التي تتقارب معه، ويمكن أن نقف على ملامح تلك الهدايات وغيرها من خلال الوقوف على معنى (المضغة) في كلام العرب، وفي الاستعمال القرآني، وفي العلم الحديث، وبيان ذلك أنَّ المضغة في اللغة: قد جاءت على طريقة الاشتقاق من الجذر اللغوي (مضغ) الذي تحوم استعمالاته حول معنى: انضغاط النسيج اللحمي بعضه في بعض فيشتدّ.."[2]. على حدِّ قول الدكتور محمد حسن جبل– رحمه الله – (ت: ١٤٣٦هـ).

وعبارة ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ):" الميم والضاد والغين أصلٌ صحيحٌ، وهو المَضْغُ للطَّعام"[3]، وأرى أنَّ عبارة الدكتور محمد حسن جبل أدقَّ وأوسع إذ أنَّ مضغ الطعام: لوْكه و" يتمُّ بضغطه شديدًا مع تقليبه، ويساعد بلال الريق على تليينه ثم إذابته"[4]، فمعنى الانضغاط واضح،

---

(1) التحرير والتنوير: ١٩٨/١٧.

(2) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (م ض غ): ص٢٠٨٩.

(3) مقاييس اللغة (م ض غ): ٣٣٠/٥.

(4) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (م ض غ): ص٢٠٩٠.

ومن الاستعمالات اللغوية المشتقة من هذا الجذر: مَضَغ يَمْضَغ، ويَمْضُغ مَضْغا: **لاكه**، وأمضغه الشَّيْء، ومَضّغه: ألاكه اياه"[1]، والمعنى المُوصّل واضح إذ أنَّ لوْكَ الشيء يكون بضغطه بعضه في بعض، وممَّا جاء على طريقة الاشتقاق من هذا الجذر أيضًا: المُضاغة، قال الخليل ابن أحمد (ت: ١٧٥هـ):" المُضاغةُ: ما يبقى في الفمِ مما تَمْضَغُهُ"[2]، ففي ذلك دلالة أنَّ ما يُمضغ قليل، ويكون ذلك بضغط هذا القليل بعضه ببعض، وقال:" والمُضْغَةُ: قِطْعةُ لحْمٍ"[3]. لأنَّها كالقِطعة التي تُؤخَذُ فَتُمْضَغُ"[4].

أمَّا إذا عدنا إلى المعنى القرآني، فقد جاء تعبيرات المفسرين على النحو الآتي:

قال الواحدي(ت:٤٦٨هـ):" وقوله: ﴿ **ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ**﴾ المضغة قطعة لحم، وقلب الإنسان مضغة من جسده وإذا صارت العلقة لحمة فهي مضغة"[5].

وقال الزَّمخشري (ت:٥٣٨هـ):" والمضغة: اللحمة الصغيرة قدرَ ما يُمضَغ"[6].

وقال ابن عطية (ت:٥٤٦هـ):" بضعة اللحم قد ما يُمضغ"[7].

قال الفخر الرازي (ت:٦٠٤هـ): مضغة أي قطعة لحمٍ كأنَّها مقدار ما يُمضغ كالغُرْفة وهي مقدار ما يُغْتَرَف"[1].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (م ض غ): ٤١٢/٥.

(٢) العين (م ض غ): ٣٧٠/٤.

(٣) العين (م ض غ): ٣٧٠/٤.

(٤) مقاييس اللغة، ابن فارس (م ض غ): ٣٣٠/٥.

(٥) التفسير البسيط: ٢٥٧/١٥.

(٦) الكشَّاف: ١٧٧/٤.

(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٥٩/٤.

وبناءً على ما سبق يُلاحظ أنَّ القرآن الكريم قد استعمل اللفظ كما عرفته العرب وتكلَّمت به، قال أبو الفتح، نصر الله بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير (ت:٦٣٧هـ)،:" إنَّ ألفاظ القرآن الكريم قد نطق بها العرب قبل نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم، وليس فيه لفظة من الألفاظ إلا وقد تكلموا بها، وجاءت عنهم. ولولا ذلك لما كان عربيًّا..."(٢).

أمَّا في العلم الحديث فقد قال الدكتور محمد علي البار:" وقد كان المفسرون القدامى يصفون المضغة بأنَّها مقدا ما يمضغ من اللحم..، ولكني بعد إعادة النظر والمناقشة أرى الآن أنَّ وصف المضغة ينطبق تمام الانطباق على مرحلة الكتل البدنية..إذ يبدو الجنين فيها وكأنَّ أسنانًا انغرزت فيه ولاكته ثمَّ قذفته"(٣)، وقال الدكتور محمد فياض:" هذه اللفظة تصف لنا بإيجاز معجز ساحر شكل الجنين بالنسبة إلى: ١-حجمه، ٢-شكله، ٣-قوامه"(٤)، وقال أيضًا:" قد أوضح علم الأجنة الحديث مدى دقة اختيار القرآن الكريم لتسمية: مضغة، من حيث ارتباطها بالشكل الخارجي للجنين، وتركيباته الداخلية الأساسية. فقد وجد أنَّه بعد تخليق الجنين والمشيمة في هذه المرحلة، فإنَّ الجنين يتلقَّى الغذاء والطاقة، وبذلك تتزايد عملية النّمو بسرعة، ويبدأ ظهور الكتل البدنية المسماة فلقات، والتي تتكون منها العظام والعضلات. ونظرًا لتعدُّد الفلقات التي تتكون، فإنَّ الجنين يبدو كأنَّه مادة ممضوغة عليها طبعات أسنان واضحة، فهو مضغة"(٥).

ومما سبق يمكن أن نهتدي إلى : إعجاز القرآن الكريم في اختيار الألفاظ المعبِّرة عن مراحل خلق الإنسان كما هو الحال في هذه المرحلة، والتأكُّد من توافق رؤية اللغويين، والمفسرين، وعلم الطب الحديث.

---

(١) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرَّازي: ٨٥/٢٣.

(٢) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ص٦٦.

(٣) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د/ محمد علي البار: ص٢٥٥.

(٤) إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان: ص٩١.

(٥) السابق نفسه: ص٩٢.

- **وفي آية سورة الحج وُصفت « المُضغة» بأنَّها مخلَّقة وغير مخلَّقة وهو قوله – سبحانه-** ﴿ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾؛ " **وذلك** تطور من تطورات المضغة. أشار إلى أطوار تشكُّل تلك المضغة فإنَّها في أوَّل أمرها تكون غير **مخلقَّة. أي غير ظاهر فيها شكلُ الخِلقة. ثمَّ تكون مخلَّقة. والمراد تشكيل الوجه ثم الأطراف. ولذلك** لم يُذكر مثل هذين الوصفين عند ذكر النُّطفة والعلقة. إذ ليس لهما مثل هذين الوصفين بخلاف المضغة. وقد جعلت المضغة من مبادىء الخلق تعيّن أن كلا الوصفين لازمان للمضغة. فلا يستقيم من فسَّر غير المخلقة بأنَّها التي لم يكمل خلقها فسقطت"(١).
- **ويلاحظ أنَّه**" قُدِّم ذكر المخلقة على ذكر غير المخلقة على خلاف الترتيب في الوجود؛ **لأنَّ** المخلقة أدخل في الاستدلال. وذُكر بعده غير المخلقة لأنَّه إكمال للدليل وتنبيه على أنَّ تخليقها نشأ من عدم. فكلا الحالين دليل على القدرة على الإنشاء وهو المقصود من الكلام"(٢).
- **كلامُ** ذوي الاختصاص من أهل العلم في الطبِّ في هذا العصر: في حديث سعيد حوى- رحمه الله- في تفسيره عن **الفوائد** المستنبطة من هذه الآية، – والحقيقة أنَّ هذه الكلام العلمي يجعلك تُلم بجميع المراحل السابقة مع ما يظهر فيها من وجوه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم؛ خاصة في خلق الإنسان المكتمل البنيان العجيب الآثار اللطيف التركيب- يقول:" موضوع انتقال الجنين من حال إلى حال موضوع يمرُّ معنا كثيرًا، **ونحب هنا أن ننقل نقولًا يتبيَّن بها بعض أسرار الإعجاز- العلمي-** : قال الدكتور/ خالص كنجو: **في كتاب (الطب محراب للإيمان):** بعد أن يتمَّ تلقيح البيضة تضرب في محيطها الخارجي جدارًا كتيمًا، بحيث إنَّ جميع النُّطف التي تأتي بعد ذلك وتضرب برؤوسها الجدار لا تستطيع اختراقها، وهكذا تموت بقية النُّطف. ثم لنتابع رحلة البيضة الملقحة حيث نجد أنَّها تبدأ بالانقسام بشكب سلسلة هندسية ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢، ٦٤، ١٢٨، ٢٥٦، ٥١٢، وهذا ينتج عددًا ضخمًا من الخلايا مع عدم زيادة حجم البيضة الأصلية أي أنَّ الذي يحصل هو تقسيم البيضة فقط، وأثناء هذا الانقسام تكون البيضة سائرة في نفق البوق، حيث تدفعها التيارات المصلية الموجودة في البوق، وتستغق هذه المرحلة عبر النفق البوقي قرابة عشرة

---

(١) التحرير والتنوير: ١٩٨/١٧.

(٢) السابق نفسه.

أيام، حيث يكون الانقسام قد أخذ ذورته، وعلى ما يذكر البعض يحصل قرابة خمسين انقسامًا، وعندما تصل إلى الرَّحم يكون الغشاء المخاطي الرحمي مهيأ لاستقبالها كما ذكرنا، وهنا يبدأ عمل عجيب ومهم وهو دخول البيضة إلى داخل الجدار الرحمي، والجدار مغلق أمامها. ثم لا نلبث أن نرى أنَّ هذه البيضة التي أصبح لها شكل التوتة من كثرة ازدحامها بالخلايا، تمدُّ أرجلًا كأرجل الأخطبوط تعمل بقوة وعنف في فتح الجدار الرحمي أمام التوتة، وعندما يتم لها ذلك تنطمر هذه البيضة التوتية في جدار الرحم ، ويغلق الباب الذي فتح لها خلفها، ثم ماذا؟ إنَّ هذه الأرجل الأخطبوتية تمتدُّ على مدار التوتة، وهي ما تُعرف (بالزغابات) حيث تقوم بقضم محتويات الجدار مع العروق الدموية، فينسكب الدم الغزير بشكل برك تحيط بهذه العلقة! لأنَّها علقت في جدار الرَّحم، وتنغمس الأرجل الأخطبوطية في برك الدَّم؛ لتمتصَّ الغذاء للجنين. **العلقة واللوحة والمضغية:** وهكذا نرى أنَّ العلقة الإنسانية تصبح محاطة من كلِّ الجوانب بالزغابات الكوريونية التي تمتصُّ من الدَّم كل ما يلزم لتخلق الجنين من الماء والأملاح المعدنية والفيتامينات والسكريات والآحينات والدَّسم، فهل هناك أعجب من أن يكون المرء في غرفة، والمواد الغذائية من فواكه وخضروات ومآكل طيبة، ووجبات دسمة تقدَّ له من السقف والأرض والنوافذ، وجدران الغرفة، إنَّ هذا هو ما يحصل بالضبط للعلقة الإنسانية حين تتغذى!!..... لو دخلنا إلى داخل هذه العلقة لوجدنا أنَّ بعض المناطق فيها لها شكل يختلف عن بقية المناطق، هذا المكان رقيق يشبه اللوحة أو القص الصغير، سمي باللوحة المضغية، وهو أبعد الأماكن التي يتخيلها الذهن، والتي يمكن أن تكون مصدر الكيان الإنساني، وهكذا نرى أنَّ أكداس الخلايا التي تكونت وشكلت ما يعرف بالتوتة، يختص قسم منها بالتكوين الخارجي للمضغة ويختص قسم صغير منها في تكوين الخريطة الأولى للمساحة الإنسانية، هذه اللوحة التي يسمونها بمجموع الوريقات التي ستتخلَّق منها الأعضاء، وهي تعرف بالوريقة الباطنة والظاهرة والمتوسطة، فلنر الآن كيف ستبدأ عملية التخلق.... تظهر ميزابة في وسط **المضغة والتي ستكون في المستقبل الدماغ والنخاع،** كما تظهر بجانبها قطع عرفت بالقطع البدئية، ومن هذه القطع تتولد الفقرات وامتداده العظمي، وهي عظام الأطراف ومنها العضلات حيث تمتد لتكوِّن عضلات كل الجسم، والعجيب أنَّ العظام تتكوَّن بالأصل، ثم تأتي العضلات بعد ذلك لتكسوها، وصدق الله العظيم ﴿ **فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا** ﴾ ثم تبدأ العملية الجبارة في خلق أعضاء الجنين، فطائفة من الخلايا تختص بالحواس، وأخرى بالعظام وثالثة بالعضلات،

ورابعة بالأجهزة؛ وهكذا يتكوَّن من الوريقة الباطنة الرغامي والقصبات، والرئتان، والبلعوم، والأنبوب الهضمي، والكبد، والمعثكلة، كما يتشكَّل من الوريقة المتوسطة الجمجمة، ونشيج الرأس الضام وعضلات الأطراف، وهيكل العظام والجهاز التناسلي، وغشاء الجنب (غشاء الجنب يغلِّف الرئتين والثامور (غشاء يغلِّف القلب) والصفاق (غشاء يغلِّف الأمعاء) والقلب والعروق والبلغم والجملة البولية، كما يتكون من الوريقة الظاهرة بشرة الجلد، والعناصر الملحقة به من غدد وأشعار وأظافر وأعضاء الحواس، والجملة العصبية، فكيف خططت كل هذه الأجهزة وكيف سار البناء في نسقٍ واحد، بحيث إنَّ كل مجموعة خلوية تقوم ببناء جهاز خاص بل نسيج خاص وهي لا تعمل مستقلة، بل متعاونة مع غيرها، بحيث إنَّ كل جهاز يأخذ مكانه الطبيعي، وأي خلل يُعطي تشوُّهات خطية للمستقبل، كما يعرض الحياة للخط، ولذا لم نجد أنَّ العين نمت في البطن، أو أنَّ اليد انبثقت من الرأس، أو أنَّ الأذن نبتت على السَّاق، أو أنَّ الشرج ركب في الظهر ﴿ **يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ، كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ**﴾. – [الانفطار: ٦، ٧]-

.

وعند ما ينمو الجنين أو بالأصح عند ما تنمو المضغة وجد أنها خلال الأسابيع الأولى تشبه كثيرًا مضغة الزواحف والطيور، وحتى الخنازير!! ولكن ما إن يكتمل الشهر الثاني حتى يبدأ تخلُّق الإنسان، وينشأ إنشاءً جديدًا، وصدق الله ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾"[1].

- **وفيها:** أنَّه قد" فُرِّع على حكاية هذا الخلق العجيب إنشاء الثناء على الله تعالى بأنَّه « **أَحْسَنُ الْخالِقِينَ** » أي أحسنُ المنشئين إنشاءً؛ لأنَّه أنشأ ما لا يستطيع غيره إنشاءه. **ولمَّا كانت دلالة** خلقِ الإنسان على عظم القدرة أسبق إلى اعتبار المعتبر كان الثناء المعقَّب به ثناء على بديع قدرة الخالق مشتقًّا من البركة وهي الزِّيادة"[2].

([1]) الأساس في التفسير، سعيد حوى: ٣٦٣٢/٧– ٣٦٣٤، وينظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د/ محمد علي البار: ص٢٤٥ وما بعدها.

([2]) التحرير والتنوير، الطَّاهر ابن عاشور: ٢٥/١٨.

- و" صيغة تفاعَل صيغة مطاوعة في الأصل، وأصل المطاوعة قبول أثر الفعل. وتستعمل في لازم ذلك، وهو التلبس بمعنى الفعل تلبسًا مكينًا؛ لأنَّ شأن المطاوعة أن تكون بعد معالجة الفعل فتقتضي ارتساخ معنى الفعل في المفعول القابل له حتى يصير ذلك المفعول فاعلًا فيقال: كسرته فتكسر، فلذلك كان تفاعَل إذا جاء بمعنى فَعَل دالا على المبالغة كما صرَّح به الرَّضي في شرح الشَّافية، ولذلك تتفق صيغ المطاوعة وصيغ التكلف غالبا في نحو: تثنَّى وتكبَّر، وتشامخ، وتقاعس. فمعنى « تبارك الله » أنَّه موصوف بالعظمة في الخير، أي عظمة ما يقدره من خير للناس وصلاح لهم"[1].
- **وفيها:** أنَّ الفخر الرَّازي (ت:٦٠٤هـ) قال:" قالوا في الآية دلالة على بطلان قول النظَّام في أنَّ الإنسان هو الرُّح لا البدن، فإنَّه سبحانه بيَّن أنَّ الإنسان هو المركب من هذه الصفات..."[2].
- **و" فيها** دلالة أيضًا على بطلان قول الفلاسفة الذين يقولون إنَّ الإنسان شيء لا ينقسِم، وإنَّه ليس بجسم"[3].

وفي هذه الآية العظيمة من الهدايات ما لا تتِّسِع المجلدات لاستنباطها، إذ جاء الحديث فيها عن مراحل تطوُّر الجنين حالًا بعْدَ حالٍ بدقَّة وإعجاز يذهل العقول، ويفوق الوصف، والعلم الحديث لم يزد على هذه المراحل شيئًا بل راح يدور في فلكها ويكتشف بعض ما فيها من إعجاز، ولا غرو في ذلك فهذا القرآن العظيم كلام خالق السموات والأرض وما فيهنَّ.

---

(١) التحرير والتنوير، الطَّاهر ابن عاشور: ٢٥/١٨.

(٢) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرَّازي: ٨٦/٢٣.

(٣) السابق نفسه.

- المبحث الخامس: مرحلة تخليق العظام (ابتداء تكوين الهيكل الإنساني):

هذه المرحلة هي التي تَلِي مرحلة المُضغة في مراحل أطوار الجنين الإنساني، وابتداء تكوين هيكله، قال الطَّاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ):" وخلق المضغة عظامًا هو تكوين العظام في داخل تلك المضغة، وذلك ابتداء تكوين الهيكل الإنساني من عظم ولحم..."[١]، والآية التي دلَّت على تلك المرحلة بشكل دقيق من جهة تخليق العظام – عن غيرها من الآيات[٢] – هي الآية الواردة في سورة المؤمنون، وذلك كما يأتي:

* **قال سبحانه:** ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

أمَّا من جهة ربط العظام والمفاصل بالعروق والأعصاب، فقد **قال تبارك وتعالى:** ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٨].

- المعنى الإجمالي للآية الأولى:

في هذه الآية العظيمة يُبيّن الله – تبارك وتعالى– تنقُّلِ أحوال الإنسان في الرَّحم حالًا بعَد حال، وخلقًا بعد خلق ابتداء من النُّطفة (التي مثِّل جزءًا يسيرًا من المنيّ، ويتوقَّف عليهَا تكوُّن

---

(١) التحرير والتنوير، الطَّاهر ابن عاشور: ٢٤/١٨.

(٢) جاء في القرآن الكريم آيات دالة على جمع العظام، وتكوُّنها، وليس المقصود بجمع العظام في هذه الآيات، الجمعُ الذي يكون في مراحل تطوُّر الجنين الإنساني، وابتداء تكوُّنِ هيكله، بل إنَّ المقصود بجمع العظام في هذه الآيات، هو جمعها مرة أخرى بعْدَ أنْ بُليَت، قال تعالى:﴿**وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وقال سبحانه: ﴿ **أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ**﴾ [القيامة: ٣، ٤]، ويكون ذلك عند البعث من بعد الموت، لا ابتداء التخليق، على نحو ما قال به أهل التأويل، ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري:٦١٣/٤، ٦١٤، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: ٤٠٢/٥، ومعالم التنزيل، البغوي:١/ ٣٢٠، والبحر المحيط، أبو حيَّان الأندلسي:٣٠٥/٢، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير:٦٨٨/١.

الجنين)، فالعلقة (القطعة من الدَّم الطِّري)، فخَلْق المضغة (اللحمة الصغيرة قدر ما يُمضغ)، فخلقُها عظامًا(وهي المرحلة التي تحدث عنها) ...، إلى آخر المراحل؛ حتَّى يصير المتخلِّق إنسانًا حيًّا.

أمَّا قوله – سبحانه –﴿ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾ **معناه:**" فجعلنَا تلك المضغة من اللحم عظامًا"[1]. وقال ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ):" يَعْني: شَكَّلناها ذاتَ رأسٍ ويدينِ ورجْلَيْن بعظامها وعصبهَا وعُروقها"[2].

- **المناسبات:**

لمَّا بيَّن الله –تبارك وتعالى– في الآيات السابقة أوصاف المؤمنين الأحقَّاء بأن يُسمُّوا وراثًا للفردوس أي: الجنَّة، بيَّن بعد ذلك تنقُّل أحوال خلْقِ الإنسان، تلك الخلقة العَجِيْبة الشأن، البديعة التركَّيب، التي تُبهر العقول، وتدفعها إلى الاعتبار والتفكُّر، والإقبال على الخالق – سبحانه وتعالى– إقرارًا بالعبودية له وحده، وتوجُّها بالشكر له دون سواه، قال الفخر الرَّازي (ت: ٦٠٤هـ):" اعلم أنَّه لما أمر بالعبادات في الآية المتقدِّمة، والاشتغال بعبادة الله لا يصح إلا بعد معرفة الإله الخالق، لا جرم عقَّبَهَا بذكر ما يدلُّ على وجوده واتصافه بالوحدانية فذكر من الدلائل أنواعًا:

النوع الأول: الاستدلال بتقلُّب الإنسان في أدْوارِ الخِلْقَة وأكوانِ الفِطرَة..."[3]، وهذا الكلام وإن كنت قد ذكرته سابقًا، إلَّا أنَّه جدير أن يعاد ذكره هنا.

- **الهدايات:**

- **فيها:** أنَّ هذه الآية – وغيرها من آيات خَلق الإنسان في القرآن الكريم– دلالة على أنَّ الخَلْقَ الأوْلَى بالاعتبار والتفكُّر، هو الخَلْق الذي أنتم عليه أيُّها النَّاس؛ لأنَّه الأقرب إليكم، والأسبق في معرفتكم به، قال سبحانه: ﴿ **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ [الذاريات:٢١].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطَّبري:٢١/١٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٤٦٦/٥.

(٣) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرَّازي: ٨٤/٢٣ ، ٨٥.

- **وفيها: أنَّ** حال **خلْق المضغة عظامًا** من أحوال الإنسان العظيمة في الرَّحم – وكلُّ حالٍ من أحوال الجنين الإنساني في الرَّحم عظيم ومعجز– التي تنبِّه على عجائب صنع الله تبارك وتعالى، وبدائع حكمته، وتمام نعمته، والعاقل من تأمَّل وتدبَّر وتفكِّر، فأطاع وأقبل.
- وقال الزَّمخشري (ت: ٥٣٨هـ) في حديثه عن هذه الآية وأحوال تنقُّل خلق الإنسان فيها:" كلُّ عضو من أعضائه، وكلُّ جزء من أجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة، لا تُدرك بوصف الواصف، ولا تُبلغ بشرح الشَّارح..."[١].
- **قوله تعالى: ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا ﴾: فيه من الهدايات:**

أولًا: أنَّ عطف جَعْل المُضْغَة عظَامًا بفاء التفريع؛ يدلُّ على أنَّ الانتقال من المضغة إلى العظام يشبه تعقيب شيء عن شيء، وأنَّ تطوُّر قطعة اللحمة الجامدة(= المشتدة) إلى العظام قريب، قال الدكتور محمد علي البار عن دلالة التعبير **بالفاء** في الانتقال من مرحلة المضغة إلى العظام؛ لأنَّ:" النقلة من المضغة إلى العظام نقلة سريعة دون فاصل زمني ولا خلقي ولذلك جاء التعبير القرآني المعجز :﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا ﴾..."[٢].

ثانيًا: قال الفخر الرازِي (ت: ٦٠٤هـ):" سُمِّي التحويل خلقًا؛ لأنَّه سبحانه يفنى بعض أعراضها ويخلقُ أعراضًا غيرها فسمِّي خلق الأعراض خلقًا لها، وكأنَّه سبحانه وتعالى يخلق فيها أجزاء زائدة"[٣]، وقال الطَّاهر ابن عاشور(ت: ١٣٩٣هـ):" **التَّخْلِيْق:** صيغة تدلُّ على تكرير الفعل، أي خلقًا بعد خلق، أي شكلًا بعد شكل"[٤]، ويلاحظ أنَّ كلام ابن عاشور أعم من كلام الرَّازي، لأنَّ الحال في كلِّ طور من أطوار التخليق هو أن يجري هذا التخليق لكلِّ الأجزاء، أي شكلًا بعد شكل، وفي هذا الكلام دلالة على عجائب صنع الله، وكمال قدرته في التخليق، وهذا الكلام قد سبقت الإشارة إليه في المرحلة السابقة، إلَّا أنَّه جدير أن يُعاد ذكره هنا.

---

(١) الكشَّاف: ٢٢١/٤.

(٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د/ محمد علي البار: ص٢٤٥.

(٣) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرَّازي: ٨٥/٢٣.

(٤) التحرير والتنوير: ١٩٨/١٧.

ثالثًا: من جهة اختلاف القراءة لقوله تعالى ﴿ **عِظَامًا**﴾ قال شيخ المفسِّرين ابن جرير الطَّبري (ت: ٣١٠هـ):" قد اختلفتِ القُّراء في قراءة ذلك، فقرأتْهُ عامَّة قُرَّاء الحِجاز والعراق سوى عاصم: ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ عَلَى الجماع[١]، وكان عاصِمٌ وعبد الله بن عامر يقرآن ذلكَ:(عَظْمًا) في الحرفين على التَّوحيد جميعًا. والقراءة التي نختار في ذلك الجماعُ؛ لإجماع الحجة من القُرَّاء عليه"[٢]، **ومن جهة الهداية أو الدلالة في قراءة الجمع،** قال أبو إسحاق الثعلبي(ت: ٤٢٧هـ):" قرأ الآخرون بالجمع لأنَّ الإنسان ذو عظام كثيرة"[٣]، وبذلك قال البغوي (ت: ٥١٦هـ) [٤]. أمَّا محمود بن أبى الحسن النَّيْسَابوري (ت: بعد ٥٥٣هـ)، فقد قال:" جُمِعَت العِظام مع إفراد أخواتها لاختلافها بين صغيرٍ وكبيرٍ، ومُدَوَّرٍ وطويل، وصُلْبٍ وغضروفٍ"[٥].

- وإنَّ هذه العظام بعد تكوُّنها تُربط بالعروق والأعصاب، وهذا يُفهم من قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾[الإنسان: ٢٨]؛ أي: قوينا ربط مفاصلهم بالأعصاب؛ أي: شددنا أوصالهم ومفاصلهم، وربطنا بعضها إلى بعض بالعروق والأعصاب، ليتمكنوا بذلك من القيام والقعود والأخذ والدفع والحركة. **وحق الخالق المنعم أن يُشكر، ولا يكفر، ففيه ترغيب....**، قال الرَّاغب: **فيه إشارة إلى الحكمة في تركيب الإنسان المأمور بتدبر نفسه وتأملها**"[٦].
- **وفي الآية من الهدايات:** أنَّه –تبارك اسمه وعلا شأنه وأمرُه- قال ﴿ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾: **لأنَّه** لاتفاوت في خلقه. وأصل الخلق التَّقدير. يقال خلقت الأديم إذا قسته لتقطع منه شيئًا"[٧].

---

(١) الجماع: هكذا في متن الكتاب.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢١/١٧.

(٣) الكشف والبيان، المعروف بتفسير الثَّعلبي: ٤٢/٧.

(٤) معالم التنزيل: ٤١٢/٥.

(٥) إيجاز البيان عن معاني القرآن: ٥٨٥/٢.

(٦) حدائق الروح والريحان في رَوَابي علوم القرآن، محمد الأمين الهَرَري: ٥٠٨/٣٠.

(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٣٢/٧.

وقال مجاهد: يصنعنون ويصنع الله والله خير الصانعين. يقال: رجلٌ صانعٌ، أي: خالق" [1]. وفي هذا دليل على أنَّ اسم الخلق قد يطلق على فعل غير الله تعالى، إلَّا أنَّ الحقيقة في الخلق لله سبحانه فقط، فإنَّ المراد من الخلق إيجاد الشيء مقدرًا تقديرًا لا تفاوت فيه، وهذا إنما يكون من الله سبحانه وتعالى. ودليله قوله: [أَلَا لَهُ الْخَلْقُ والْأَمْرُ] [الأعراف: ٥٤]"[2]. ويبقى قول أبي حاتم الرازي (ت:٣٢٢هـ) الذي يقول فيه :" وإنَّما سَمَّى نفسه – عزَّ وجل– خالقًا؛ لأنَّه قدَّر الأشياء كلها ثمَّ أمضاها"[3]، من أجود ما قيل في معنى اسم الخَالق سبحانه.

- **وفيها:** تُرِكَ ذِكْرُ المُميَّز في قوله ﴿أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾، والوجه في ذلك بيَّنه الزَّمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، وذلك قوله:" تُرك ذك المميز؛ لدلالة الخالقين عليه..."[4]؛ كأنُّه قيل: أحسن الخالقينَ خلقًا"[5].
- **وفيها:** أنَّ تخليق الأعضاء يُبنى شيئًا فشيئًا بإبداع يخرق الأفكار والأوهام؛ فـ" يبدأ ذلك بالتخطيط له ووضع مواضع الفصل والوصل ثم تُبنى الأعضاء شيئًا فشيئًا..."[6]، وقد قال ابن قَيِّم الجَوْزيَّة (ت: ٧٥١هـ):" هاهنا تصويران: أحدها: تصويرٌ خفيٌّ لا يظهر للبشر، وهو تصويرٌ تقديريٌّ، كما يُصَوِّرُ من يُفَصِّل الثوب أو يَنْجُرُ الباب مواضع القطع والتفصيل، فيُعَلِّم عليها، ويصنع مواضع الفصل والوصل. وكذلك كلُّ من يضنع صورةً من مادةٍ، لا سيَّما مثل هذه الصورة التي ينشأ فيها التصوير والتخليق على التدريج شيئًا بعد شيءٍ، لا

([1]) معالم التنزيل: ٤١٢/٥.

([2]) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٣٢/٧.

([3]) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: ٥٣/٢.

([4]) الكشَّاف: ٢٢١/٤.

([5]) فتوح الغيب في الكشْفِ عن قناع الرَّيب، شف الدِّين الطِّيبي: ٥٥٩/١٠.

([6]) لذوي الاختصاص من أهل الطب في هذا العصر تفصيلات كثيرة في كيفية بناء تلك الأعضاء، ينظر في ذلك: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د/ محمد علي البار: ص ٢٧٧–٢٩٥.

وَهْلَةً واحدةً..." [1]. وإنَّ ما ذكره ابن قيم الجوزية؛ لهو من باب التقريب – أو التصوير كما نصَّ على ذلك– لأنَّ شأن الخَلْقِ لا يتوقَّف حصوله على شيء، إذا أراد الله –تبارك وتعالى– ، فـإذا أراد سـبحانه، يكـون الأمـر كمـا قـال: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢].

وتأمَّل في وجوه الهدايات المستنبطة من هذه الآية العظيمة– بالرُّغم من أنَّه قد بُني الحديث عليها في المرحلة السابقة: مرحلة المضغة – والتي لا يزال منها الكثير لمن أطال النَّظر، وأعمل الفكر من أهلِ كلِّ فن، لأنَّه القرآن الكريم الذي أودع الله فيه علم كل شيء.

(1) التبيان في أيمان القرآن : ص٥٢١.

- المبحث السَّادس: مرحلة كسوة العظام باللحم:

بعد مرحلة تكوَّن العظام والتئامها وتواصلها وشدّها بعضها ببعض، تأتي مرحلة **كسوة تلك العظام باللحم،** وهو ما جاء واضحًا في الآية العظيمة [1] من سورة المؤمنين، وهي:

*** قول- تباك وتعالى-** :﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

- المعنى الإجمالي للآية:

كما أشرت سابقًا إلى أنَّ هذه الآية العظيمة يخبر الخالق – عزَّ وعلا- فيها عن أطوار الإنسان وتنقلاته في الرَّحم بشكل دقيق وترتيب معجز، وقد تقدَّم بيان معنى: النُّطفة، والعلقة، والمضغة في المراحل السَّابقة.

وأمَّا المراد بقوله – سبحانه- ﴿ فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾: قال ابن جرير الطَّبري (ت: ٣١٠هـ):" يقولُ: فألبَسْنَا العظامَ لحْمًا"[2]، وقال أبو البركات النَّسَفِيّ(ت:٧١٠ هـ):" فأنبتنا عليها اللحم فصار لها كاللباس"[3].

- المناسبات:

---

[1] قد جاء ذكر كسوة العظام باللحم، في آية أخرى، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وليس المراد بكسوة العظام لحمًا ما يكون عليه حال الجنين في بطن أمِّه، ولكن المراد هنا كسوة عظام الحمار وتركيبها مرة أخرى بعد موته، وذلك الوجه هو الأظهر، وهو ما عليه أكثر أهل التأويل، ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جير الطبري: ٦١٣/٤، ٦١٤، ومعالم التنزيل، البغوي: ١/ ٣٢٠، والبحر المحيط، أبو حيَّان الأندلسي: ٣٠٥/٢، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٦٨٨/١.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن:٢١/١٧.

(٣) تفسير النَّسَفِيّ (= مدارك التنزيل وحقائق التأويل): ٤٦١/٢.

قد أشرت سابقًا إلى مناسبة هذه الآية العظيمة بما قبلها، وذلك عند الحديث عن المرحلتين السَّابقتين، وممَّا يُضاف في وجه تناسب هذه الآية المباركة واتصالها بما قبلها من آيات، ما قاله الطَّبْرسي (ت: ٥٤٨هـ) عن وجه التناسب، وذلك قوله:" إنَّه سبحانه لمَّا ذكر نعمته على المؤمنين بما أعدَّ لهم في الآخرة، ابتدأ بذكر نعمه عليهم في مبتدأ خلقه؛ تنبيهًا لهم على النظر فيها وترغيبًا بالتَّمسُّك بالحسنات المذكورة"(١)، وقال سيد قطب– رحمه الله– :" ومن صفات المؤمنين ينتقل إلى دلائل الإيمان في حياة الإنسان ذاته، وفي أطوار وجوده ونموه، مبتدئًا بأصل النَّشأة الإنسانية، منتهيًا إلى البعث في الآخرة مع الرَّبط بين الحياتين في السِّياق"(٢).

وكلُّ قول يُقال في وجوه المناسبات بين الآيات القرآنية بعضها البعض إنَّما يكشف عن جمال ترابط كلام الله– سبحانه– وجلاله.

- **الهدايات:**
- **فيها:** أنَّ مرحلة كسوة العظام باللحم– وما سبقها من مراحل وأطوار– من" دلائل الإيمان في حياة الإنسان ذاته"(٣).
- **وفيها:**– أي: الآية بشكل عام وتلك المرحلة بشكلٍ خاص– من التقدير، والتَّدبير، والإحكام والإعجاز ما يبهر العقول، ويدلُّها على خالقها، ومنشئها، ويرشدها إليه، وينقذها من غمرات الشكَّ، وظلمات الضلال، إن هي سكلت طريق الخضوع والإقرار لا مسلك الكِبْرِ والعتوّ.
- **وفيها:** – أي: في مرحلة كسوة العظام باللحم–" يقف الإنسان مدهوشًا أمام ما كشف عنه القرآن من حقيقة في تكوين الجنين لم تُعرف على وجه الدِّقة إلَّا أخيرًا بعد تقدُّم علم الأجنة التشريحي. ذلك أنّ خلايا العظام غير خلايا اللحم، وقد ثبت أنَّ خلايا العظام هي التي تتكوَّن أولًا في الجنين، ولا تُشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلَّا بعد ظهور العظام، وتمام

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٣٣/٧.

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب: ٢٤٥٧/٤.

(٣) السابق نفسه.

الهيكل العظمي للجنين، وهي الحقيقة التي يسجِّلُها النص القرآني: « فخلقنا المضغة عظامًا، فكسونا العظام لحمًا».. فسبحان العليم الخبير!"[1].

- **وفيها:** – أي: الآية بشكل عام وتلك المرحلة بشكلٍ خاص– دلالة قاطعة على أنَّ منْ قدرَ على خلق الإنسان بهذا الترتيب الدقيق المعجز، والتركيب العجيب المبهر قادر بلا شكَّ على البعث من جديد؛ للحساب والجزاء.
- **وفيها:** أنَّه ليس بمقدور البشر صنع تلك المراحل، وخَلْقِ هذه الأطوار، ومنها: كسوة العظام لحمًا، وإنَّما تتمَّ أطوار الخلقِ جميعًا بعناية ربَّانيَّة، وتدبير تعجز عن إدراكه أفهام الناس وعقولهم، وتُقِر لخالقها – العلى الكبير اللطيف الخبير– بكمال الربوبيَّة، وعظيم القدرة.
- **وفيها:** دعوة للنَّظر والفكر والتأمل في كيفية خلق الله – سبحانه– " العظام والعُروق والأوتار واليابس واللـيِّن، وبـيْنَ ذلك، ثـمَّ كيفَ رَبَطَ بعضها بـبعضٍ أقوى ربـاطٍ وأشدَّه وأبعدَه من الانحلال. وكيف كساها لحمًا ركَّبه عليها، وجعله وعاءً لها وغشاءً وحافظًا، وجعلها حاملةً له مقيمةً له؛ فاللحمُ قائمٌ بها وهي محفوظةٌ به"[2].
- **وفيها:** وصولًا إلى هذه المرحلة– التي تسبق مرحلة النفخ في الروح– من خلقِ الإنسان أو ترتيب تطور الجنين في بطن أمه، قد وقف علم التشريح والأجنة في القرن التاسع عشر وحتَّى اليوم مذهولًا مبهورًا أمام ما جاء في كتاب الله – تبارك وتعالى– من وصف دقيق ومعجز لا نقصان فيه ولا زيادة لتلك المراحل، بل لم يستطع هذا العلم أنْ يبتعد عن المسميات والمفاهيم العامة التِّي حدَّدها الخالق البارىء– سبحانه تبارك اسمه وعلا شأنه وأمرُه – فإن قيل: أي تقدير هذا؟!!!. فقل: ﴿ **ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ**﴾ [الأنعام: ٩٦]. وإن قيل: أي خلق هذا؟!!! . فقل:﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [لقمان: ١١].
- **وفيها:** أنْ جاء عطفُ كسوة العظام باللحم بالفاء؛ لأنَّ الانتقال من العظام إلى كسوتها باللحم متتابع ومتلاحق، قال الدكتور محمد علي البار:" واستمر التعبير القرآني المذهل

---

(1) في ظلال القرآن ، سيد قطب: ٢٤٥٩/٤.

(2) مفتاح دار السَّعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية: ٥٤١/٢.

والمعجز لينقلنا من العظام إلى اللحم يكسوها ﴿ فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ﴾ دون فارق زمني ولا خلقي .. وإنَّما هي مراحل متتابعة متلاحقة..."[١].

- **وفيها** : استخدام لفظ ﴿ **كَسَوْنَا** ﴾ دون غيره من الألفاظ، وفي ذلك دلالة تحتاج إلى البحث عنها وكشف أسرارها، ويتمُّ ذلك من خلال الوقوف على حقيقة اللفظ في اللغة، وما يتميَّز به من ملامح دلالية تجعله أحقُّ بالاستعمال دون غيره من الألفاظ؛ خاصة في تلك المرحلة من مراحل تخليق الجنين، وبيان ذلك: أنَّ لفظ ﴿ **كَسَوْنَا** ﴾ قد جاء على طريقة الاشتقاق من الجذر اللغوي (كسو) الذي تدور استعمالاته في اللغة حول معنى:" سَتْر الشيء وتغطيته شمولًا بما هو كالغشاء"[٢]. ومن ذلك يمكن القول: إنَّ تغطية الشيء بستر وشمولية حتى لا يبقى منه شيء ظاهر ملمح دلالي يميِّز هذه الجذر عن غيره، وإذا عُدنا إلى كلام المفسِّرين يُلاحظ التلاقي والتقارب مع هذا الملمح، وذلك عند تفسيرهم قوله تعالى: ﴿ فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ﴾، قال أبو إسحاق الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ): ﴿ فَكَسَوْنَا ﴾ فألبَسْنَا"[٣]. وبه قال أبو المظفَّر السَّمعاني (ت: ٤٨٩هـ)[٤]، وكذلك البغوي (ت: ٥١٦هـ) [٥]. وعبارة الفخر الرَّازي (ت: ٦٠٤هـ)- معبرة وموضحة- حيث قال:" وذلك لأنَّ اللَّحْمَ يَسْتُرُ العظْمَ فجعلهُ كالكسوة لها"[٦]، وقال أبو حيَّان الأندلسيِّ (ت: ٧٤٥هـ):" الكسوة حقيقة ما وارى الجسد من الثياب، **واستعارها.. لما أنشأ من اللحم الذي غطى له العظم....، وهي استعارة في غاية الحسن**"[٧]. وقال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ):" أي: وجعلنا على ذلك ما يَسْتُرُهُ ويَشُدُّهُ

---

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د/ محمد علي البار: ص٢٤٥.

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (ك س و): ص ١٨٩٢.

(٣) الكشف والبيان، المعروف بتفسير الثَّعلبي: ٤٢/٧.

(٤) تفسير القرآن: ٤٦٧/٣.

(٥) معالم التنزيل: ٤١٢/٥.

(٦) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير): ٨٥/٢٣.

(٧) البحر المحيط: ٣٠٦/٢.

ويُقَوِّيها"[1]. وقال السَّعدي (ت: ١٣٧٦هـ):" ﴿ فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ﴾ أي: جعلنا اللحم، كسوة للعظام، كما جعلنا العظام، عمادا للحم"[2]، ومما سبق يُلاحظ سريان الملمح الدلالي للجذر(كسو) فيما جاء منه على طريقة الاشتقاق، وفي ذلك هداية إلى الاستعمال الدقيق للألفاظ، والوقوف على إعجاز القرآن في اختيارها، توظيفها.

- قوله: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾، قال أبو القاسم القُشيري (ت: ٤٦٥هـ):" خلق السماوات والأرضين بجملتها، والعرش والكرسيّ، مع المخلوقات من الجنة والنار بكليتها- **ثم لمَّا أخبر بذلك لم يعقبه بهذا التمدح الذي ذكره بعد نعت خَلْقِهِ بنى آدم تخصيصًا لهم وتمييزا، وإفرادا لهم من بين المخلوقات...**"[3].

وليس هذا منتهى الحديث عن هذه المرحلة من مراحل تنقُّل الإنسان في الرَّحم، أو عن الهدايات القرآنية في هذه الآية العظيمة، بل فيها من الهدايات والعجائب، والإعجاز ما تقصر العقول عن إدراكه، وتنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه؛ ولا عجب في ذلك!!!؛ لأنَّ الله -تبارك وتعالى- جعل في كلامه من العلوم والهدايات ما لا تنقضي.

---

(1) تفسير القرآن العظيم: ٤٦٦/٥.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي : ص٥٤٨.

(3) لطائف الإشارات (= تفسير القشيري): ٣٣٨/٢.

- المبحث: السابع: مرحلة تمام الخلقِ، وكماله: النفخ في الرّوح:

إنَّ هذه المرحلة تُغاير كلّ المراحل السَّابقة، لأنَّها المرحلة التي ينتقل فيها الجنين من الأطوار الجسمانية أو الطِّينيَّة إلى معنى الإنسانية، بل هي المرحلة التي يبلغ فيها المتخلّق غاية الكمال في مراحل التخليق الإلهي للإنسان في الرَّحم، هذه المرحلة هي: مرحلة النفخ الإلهي في الروح، أو الخلقُ الآخر، والآيات الدالة عليها، هي:

*** قولــه- تبــاك وتعــالى-** :﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

*** وقولــه – ســبحانه-:** ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩].

- المعنى الإجمالي للآية الأولى[١]:

كما أشرتُ سابقًا إلى أنَّ هذه الآية العظيمة يبيّن الخالق فيها أطوار الجنين الإنساني في الرَّحم، ابتداءً من النُّطفة إلى استكمال خلقه خلقًا آخر بنفخ الرُّوح فيه وما بعدها من مراحل الحياة. وقد سبقَ الحديث عن معنى النُّطفة والعلقة والمضغة....إلخ.

---

(١) موافقة لمنهج الكتاب ينبغي أن يكون الحديث عن الآية الثانية؛ لأنَّه قد تمَّ الحديث عن الآية الأولى في المرحلة السَّابقة، لكن سأواصل الحديث عن هذه المرحلة (مرحلة الكمال والتشريف: نفخ الروح) من خلال الآية الأولى؛ لأنَّ المقصود بإفاضة الروح في الآية الثانية، هو أبو البشر آدم – عليه السلام-، قال ابن عطية (ت:٥٤٦هـ):" وقوله ﴿ **وَنَفَخَ** ﴾ عبارة عن إفاضة الروح في جسد آدم، والضمير في ﴿ **روحِهِ**﴾ لله تعالى، وهي إضافة ملك إلى مالك وخلق إلى خالق.."، ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٣٥٩/٤، وينظر كذلك: زاد المسير في عِلمِ التَّفسير، ابن الجوزي: ٣٣٥/٦، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٥/١٧، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٣٦٠/٦.

أمَّا معنى قوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ﴾؛ فقد اختلف المفسرون فيه،" فقال بعضهم: إنشاؤه إياه خلقًا آخرَ نفخُه الروح فيه، فيصير حينئذٍ إنسانًا، وكان قبلَ ذلك صورةً....، وقال آخرون: إنشاؤه خلقًا آخر تصريفه إياه في الأحوال بعدَ الولادة؛ في الطفولة، والكُهولة، والاغتذاء، ونبات الشعر والسِّنّ، ونحو ذلك من أحوال الأحياء في الدنيا....، وقال آخرون: بل عَنَى بإنشائه خلقًا آخرَ: سوَّى شبابه....، وبعد أن ذكَرَ شيخ المفسرين ابن جرير الطَّبري (ت: ٣١٠هـ) تلك الأقوال، قال:" وأولى الأقوال بالصواب قولُ من قال: **عنى بذلك نفخ الرُّوح فيه**. وذلك أنَّه بنفخِ الرُّوح فيه يتحوَّل خلقًا آخرَ إنسانًا، وكان قبل ذلك بالأحوال التي وصفَهُ الله أنَّه كان بها؛ من نطفةٍ، وعلقةٍ، ومضغةٍ، وعظمٍ، وبنفخ الرُّوح فيه، يَتَحوَّل عن تلك المعاني كلِّها إلى معنى الإنسانية، كما تَحوَّل أبُوه آدم بنفخِ الرُّوح في الطينة التي خُلِقَ منها؛ إنسانًا وخلقًا آخرَ غير الطِّين الذي خُلِق منه"(١).

وقال أبو المظفر السَّمعاني (ت: ٤٨٩هـ):" الْأَكْثَرُونَ أَن المُرَاد مِنْهُ نفخ الرّوح فِيهِ"(٢).

أمَّا القرطبي (ت: ٦٧١هـ)؛ فبَعْدَ أنْ ذَكَرَ اختلاف المفسرين في الخَلْقِ الآخر...، قال:" والصحيح أنَّه عام في هذا وفي غيره من النُّطقِ والإدراك وحُسن المحاولة وتحصيل المعقولات إلى أن يموت"(٣). ليشمل قوله هذا: النَّفخ في الروح وجميع الآراء المذكورة، وما يكون بعد ولادته من إدراك ومراحل زمنية، وتحصيل للمعقولات إلى أن يموت الإنسان، وإنَّ حمل معنى قوله سبحانه ﴿ **خَلْقًا آخَرَ**﴾ على هذا العموم أولى وأحجى- والله أعلم بالصواب-.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢١/١٧- ٢٥، وينظر كذلك: الكشف والبيان، المعروف بتفسير الثَّعلبي، أبو إسحاق الثعلبي: ٤٢/٧، و الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي: ٢٨٦/٣، ومعالم التنزيل، البغوي: ٤١٢/٥، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: ١٣٧/٤، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٤٦٦/٥، ٤٦٧.

(٢) تفسير القرآن، أبو المظفَّر السمعاني: ٤٦٧/٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٩/١٥.

- **المناسبات:**

قد ذكرتُ بعض أقوال أهل التأويل في مدى بلوغ كلام الله – عز وجل– الأمد الأقصى في التناسب والترابط، ومنها كذلك قول البقاعي (ت: ٨٨٥هـ):" ولما ذكر سبحانه الجنة المتضمن ذكرها للبعث، استدل على القدرة عليه بابتداء الخلق للإنسان...."[١].

- **الهدايات:**
- **فيها:** أنَّ التعرف على عموم قدْرة الخالق سبحانه وعظمته، وبديع صنعه وحكمته؛ يوجب الهدى والنور، والأمن والأمان، والراحة والاطمئنان في النفوس المؤمنة الطاهرة النقيَّة العامرة بخشية خالقها وطاعته.
- **وفيها:** أنَّه إذا أعمل الكافرون عقولهم في أنفسهم؛ لزجرهم ما يعلموا من عجائب خلقهم عن كفرهم.
- **قوله سبحانه:** ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ﴾ فيه من الهدايات:

أولًا: جاء عطف إنشاء الخلقِ الآخر بـ ﴿ثُمَّ﴾ قال البيضاوي (ت: ٦٩١هـ):" و﴿ثُمَّ﴾ لما بين الخلقين من التفاوت"[٢]، وقال الطَّاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ):" وللإشارة إلى التَّفاوت الرُّتبي بين الخلقين عَطَف هذَا الإنشاء بـ (ثمَّ) الدالة على أصل الترتيب في عطف الجمل ب (ثمَّ)"[٣]، وقال الدكتور محمد علي البار بعد أن تحدَّث عن مراحل خلق الجنين، والإعجاز في ترتيبها، ودقة التعبير عنها:"... وإنَّما هي مراحل متتابعة متلاحقة ... ثم يبطيء النبض ويأتي فارق زمني وخلقي. **ولذا يعبر عنه مرة أخرى بثم** ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾[٤]، وكلُّ ما قيل ويقال عن دلالة التعبير بـ ﴿ ثُمَّ ﴾ تعبيرات لها وجاهتها وحسنها، غير أنَّه في توظيف كلِّ حرف من حروف القرآن إعجاز لا تصل إلى أمده الأقصى عقول الخلق وأفهامهم.

---

(١) نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور: ١١٢/١٣.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٤/ ٨٤.

(٣) التحرير والتنوير: ٢٤/١٨.

(٤) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د/ محمد علي البار: ص٢٤٥.

ثانيًا: فيه دلالة و" تصريح بأنَّ ما يتعلَّق بالرُّوح جنس مغاير لما سبقَ ذكره من التغيرات الواقعة في الأحوال الجسمانية، وذلك يدلّ على أنَّ الرُّوح شيءٌ مغايرٌ للبدن"[1]. قال الزَّمخشري (ت: ٥٣٨هـ):" ﴿ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾، أي: **خلقًا مباينًا للخلق الأوَّل مباينةً ما أبعدها**؛ حيث جعله حيوانًا وكان جمادًا، وناطقًا وكان أبكم، وسميعًا وكان أصم، وبصيرًا وكان أكمه، وأودع باطنه وظاهره- بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه- عجائب فطرة، وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح"[2]، وقال ابن عطية (ت: ٥٤٦هـ):" وأول رتبة من كونه ﴿ ءَاخَرَ ﴾ هي نفخ الروح فيه، والطرف الآخر من كونه ﴿ ءَاخَرَ ﴾ تحصيله المعقولات"[3]، بل يمكن أنْ يقال إنَّ الخلق الآخر قد غاب منتهاه، وأسراره عن كلِّ البشر حتى الملائكة والنبيّين، قال سبحانه﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

ثالثًا: قد جاء التعبير عن الخلق الآخر بالإنشاء؟، وفي ذلك دلالة تظهر بالوقوف على معنى الإنشاء، قال السَّمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ):" الإنشاء: ابتداء الخلق، وكل من ابتدأ خلق شيءٍ، واخترعه فقد أنشأه. ومنه: أنشأ الشاعر القصيدة. وأنشأ فلان يفعل كذا، أي ابتدأ في فعله. والإنشاء الاختراعي غير المسبوق بمثالٍ لا يليق إلا بالباري تعالى. قال تعالى:﴿ **وهو الذي أنشأكم**﴾ [الأنعام: ٩٨]"[4]، وقال الطَّاهر ابن عاشور(ت: ١٣٩٣هـ):" لأنَّ الخلْقَ المذكورَ قبلَه كان دون حياة ثم نشأ فيه خلْقُ الحياة وهي حالة أخرى طرَأتْ عليه عبَّر عنها بالإنشاء"[5].

- وقال صاحب الظِّلال بعد قوله﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾:" هذا هو الإنسان ذو الخصائص المتميزة. فجنين الإنسان يشبه جنين الحيوان في أطواره الجسدية. ولكن جنين الإنسان ينشأ

---

(١) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير): ٥٢/٢١.

(٢) الكشَّاف: ٢٢١/٤.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: ١٣٨/٤.

(٤) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (ن ش أ) : ١٧٥/٤.

(٥) التحرير والتنوير: ٢٤/١٨.

خلقًا آخر، ويتحول إلى تلك الخليقة المتميزة، المستعدة للارتقاء. ويبقى جنين الحيوان في مرتبة الحيوان، مجردًا من خصائص الارتقاء والكمال، التي يمتاز بها جنين الإنسان.

إنَّ الجنين الإنساني مزود بخصائص معينة هي التي تسلك به طريقه الإنساني فيما بعد. وهو ينشأ « خَلْقًا آخرَ» في آخر أطواره الجنينية؛ بينما يقف الجنين الحيواني عند التطور الحيواني لأنه غير مزود بتلك الخصائص. ومن ثم فإنه لا يمكن أن يتجاوز الحيوان مرتبته الحيوانية، فيتطور إلى مرتبة الإنسان تطورًا آليًّا– كما تقول النظريات المادية– فهما نوعان مختلفان. **اختلفا بتلك النفخة الإلهية التي بها صارت سلالة الطين إنسانًا.** واختلفا بعد ذلك بتلك الخصائص المعينة الناشئة من تلك النفخة والتي ينشأ بها الجنين الإنساني« خَلْقًا آخَرَ» . إنما الإنسان والحيوان يتشابهان في التكوين الحيواني؛ ثم يبقى الحيوان حيوانا في مكانه لا يتعداه. ويتحول الإنسان خلقًا آخر قابلًا لما هو مهيأ له من الكمال. بواسطة خصائص مميزة، وهبها له الله عن تدبير مقصود لا عن طريق تطور آلي من نوع الحيوان إلى نوع الإنسان"[1].

- **وفيها:** أنَّ الفاء في قوله: ﴿ **فَتَبَارَكَ**﴾" للإفصاح؛ لأنها تفصح عن شرط مقدَّر معناه إذا كان الله هو الذي خلق ذلك الخلق فتبارك الله أحسن الخالقين"[2].
- **قوله عزَّ وعلا ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾**، قال ابن عطية (ت:٥٤٦هـ): ﴿**تَبَارَكَ**﴾ مطاوع بارك فكأنها بمنزلة تعالى وتقدس من معنى البركة[3]، و" يجوز أن يكون المعنى البركات والخيرات كلها من الله. وقيل: أصله من البروك وهو الثبات، فكأنه قال: البقاء والدوام والبركات كلها منه فهو المستحقُّ للتعظيم والثناء"[4]. **وحمل المعنى على الأعم أولى،** أي: كل البركات والخيرات مردُّها الله تبارك وتعالى؛ ودوامها وثباتها بأمره ومنه سبحانه، قال محمد أبو زهرة (ت: ١٣٩٣هـ):" معناها تسامى في البركة وعلا، حتى لَا يناهده أحد في

---

(1) في ظلال القرآن ، سيد قطب: ٢٤٥٩/٤.

(2) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة: ٥٠٥٤/١٠.

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: ١٣٨/٤.

(4) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير)، الفخر الرَّازي:٨٦/٢٣، ونقله أبو حفص عمر ابن عادل الدمشقي (ت: بعد ٨٨٠هـ) – بلا عزو– في: اللباب في علوم الكتاب: ١٨١/١٤.

خيره الدائم"[1]. وإنَّ عجائب حكمته في الخلق والهداية بحر لا ساحل له، ومما يكون من الهدايات في قوله﴿ **تَبَارَكَ**﴾ استمرار وزيادة تفكُّر الإنسان واعتباره مِنْ أقربِ شيء إليه وهو: نفسه، وما فيها من العجائب الدَّالة عظمة الخالق وآثار قدرته، قال الطَّاهر ابن عاشور(ت: ١٣٩٣هـ):" ولمَّا كانت دلالةُ خلقِ الإنسانِ على عِظَمِ القُدْرة أسبق إلى اعتبار المُعتبر كان الثَّناء المُعَقَّبُ به ثناءً على بديع قُدْرة الخالق مشتقًّا من البركة، وهي الزيادة"[2].

- **قوله سبحانه﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾** تذييل عميق فيه من الهدايات والدلالات ما لا يُحدّ، ومنها: قول الطَّاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ):" وفُرِّع على حكاية هذا الخلقِ العجيبِ إنشاء الثَّناء على الله تعالى بأنَّه أحسن الخالقين أي: أحسن المنشئين إنشاءً؛ **لأنَّه أنشأ ما لا يستطيعُ غيره إنشاءَه**"[3]. وقيل:" ليس هناك من يخلق سوى الله، فأحسن هنا ليست للتفضيل، إنَّما هي للحسن المطلق في خلق الله"[4].- وهذا انتزاع بديع-، وهذا يعني أنَّ أفعل التفضيل لم يرد على أصله، وبنحو ذلك قال العالم الجليل محمد أبو زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)- رحمه الله- وذلك قوله:" أفعل التفضيل ليس على بابه إنَّما معناه أن خلق الله تعالى وصل إلى أعلى درجات الحسن، بحيث لا يناصبه حسن قط، وحقا لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، كما قال تعالى:﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾[التين:٤]"[5].

وإنَّ الحديث عن الهدايات في هذه الآية العظيمة بشكل عام- وعن تلك المرحلة مرحلة: نفخ الروح التي هي مرحلة تمام الخلق وكماله بشكل خاص-، ليس لمثلي وغيري أن يأتي بالأمد الأقصى فيها، لأنَّ فيها من الغرائب والعجائب والحكم والأسرار ما تقصر عنه عقول الناس وأفهامهم، ولأنَّ آيات القرآن العظيم لا يقدرُ أحد أن يبلغ إلى نهاياتها، أو يحيط بجميع أسرارها، أو يأتي بالنهاية في هداياتها؛ ولذلك قصرت العقول عنده

([1]) زهرة التفاسير: ٥٠٥٥/١٠.

([2]) التحرير والتنوير: ٢٥/١٨.

([3]) السابق نفسه.

([4]) في ظلال القرآن ، سيد قطب: ٢٤٥٩/٤.

([5]) زهرة التفاسير: ٥٠٥٥/١٠.

- **تعقيب:**

قد تحدثتُ عن أصل النَّشأة الإنسانية لذرية أبينا آدم – عليه السلام– في آيات القرآن الكريم، التي بيَّنت أنَّ ابتداء خلقه من ماء مهين، وهو قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ * ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾ [السَّجْدَةِ: ٧، ٨]، ثم من هذا الماء (= المنيّ) الذي يُقذَف بالجماع في رحم المرأة، وتُستخلص النُّطفة قال سبحانه: ﴿ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴾ [القيامة:٣٧]؛ فيصير الرَّحم قرارًا مكينًا لهذه النُّطفة، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴾ [المؤمنون:١٣]. ثم يحدث تنقُّل أحوال الإنسان وأطواره الجنينية في الرَّحم حتى غاية الكمال المقدَّر لتلك الأطوار، وهو: استكمال خلقِ الإنسان بنفخ الرُّوح فيه، وذلك كله يتمُّ بشكل يبهر العقول، ويخرق الأوهام والأفكار، وبغرائب عجيبة لا تُدرك بوصف الواصف، ولا تُبلغ بشرح الشَّارح. وتلك الأطوار قد جُمعت في قوله عزَّ وعلا: ﴿ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وفي هذا المقام يطيب لي أن أنقل بعض أقوال العلماء وأهل التأويل، وذلك في حديثهم عن تلك الأطوار الجنينيَّة أو النشأة الإنسانية لذرية أبينا آدم– عليه السلام– بشكل عام، ومن هذه الأقوال:

قال أبو القاسم القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، في تفسيره تلك الآية العظيمة:" قطرةٌ أجزاؤُها متماثِلةٌ، ونُطْفَةٌ أبعاضُها متشاكِلة، **ثم جعل بعضها لحمًا وبعضِها عظْمًا**، وبعضَها شَعْرًا، وبعضها ظُفْرًا، وبعضها عصبًا، وبعضها جِلْدًا، وبعضها مُخًّا، وبعضها عرْقًا. ثمَّ خَصَّ كلَّ عضوٍ بهيئةٍ مخصوصةٍ، وكلَّ جزءٍ بكيفيةٍ معلومةٍ. ثمَّ الصفاتُ التي للإنسان خَلَقَهَا متفاوتة، من السَّمع والبصر والفِكْرِ والغَضَب والقدرةِ والعلم والإرادة والشجاعة والحقد والجودِ **والأوصافِ التي يتقاصر عنها الحَصْرُ والعَدُّ**"[1].

---

[1] لطائف الإشارات (= تفسير القشيري): ٣٣٧/٢.

وقال ابن قيّم الجوزية (ت: ٧٥١هـ):" انظر الآن إلى **النطفة** بعين البصيرة؛ وهي قطرةٌ **من ماءٍ مهينٍ** ضعيف مُسْتَقْذر، لو مرَّت بها ساعةٌ من الزمان فسَدت وأنتنَت، كيف استخرجها ربُّ الأرباب العليمُ القديرُ من **بين الصُّلب والتَّرائب**، منقادةً لقدرته، مطيعةً لمشيئته، مذلَّلةَ القِياد على ضيق طُرقِها واختلاف مجاريها، إلى أن ساقها إلى مستقرِّها ومَجْمَعِها.

وكيف جمع سبحانه بين الذَّكر والأنثى، وألقى المحبَّة بينهما، وكيف قادهما بسلسلة الشَّهوة والمحبَّة إلى الاجتماع الذي هو **سببُ تخليق الولد وتكوينه**.

وكيف قدَّر اجتماع ذَينك الماءين مع بُعدِ كلٍّ منهما عن صاحبه، وساقهما من أعماق العروق والأعضاء، وجمعهما في موضعٍ واحدٍ جُعِلَ لهما قرارًا مكينًا، لا ينالُه هواءٌ يفسدُه، ولا بردٌ يجمِّدُه، ولا عارضٌ يصلُ إليه، ولا آفةٌ تتسلَّطُ عليه.

ثمَّ قَلَبَ تلك النطفةَ البيضاء المشرقة **علقةً حمراءَ تَضرِبُ إلى سوادٍ**، ثمَّ جعلها **مضغةَ لحمٍ مخالِفةً للعلقة** في لونها وحقيقتها وشكلها، ثمَّ **جعلها عظامًا مجرَّدةً لا كسوةَ عليها**، مباينةً للمضغة في شكلها وهيئتها وقدْرِها وملمسها ولونها.

وانظر كيف قسَّم تلك الأجزاء المتساوية المتشابهة إلى الأعصاب والعظام والعُروق والأوتار واليابس واللِّين، وبَيْن ذلك، ثمَّ كيف رَبَط بعضها ببعضٍ أقوى رباطٍ وأشدّه وأبعده من الانحلال .

وكيف كساها لحمًا ركَّبه عليها، وجعله وعاءً لها وغشاءً وحافظًا، وجعلها حاملةً له مقيمةً له؛ فاللحمُ قائمٌ بها وهي محفوظةٌ به....."[1]. وحديث ابن قيم الجوزية – رحمه الله– يطول، غير أنَّني قد نقلت بعضه هنا.

وقال صاحبُ الظِّلال:" وفي أطوار هذه النشأة، وتتابعها بهذا النظام، وبهذا الاطِّراد، ما يشهد بوجود المنشيء أولًا، وما يشهد بالقصد والتدبير في تلك النشأة وفي اتجاهها أخيرًا. فما يمكن أن يكون الأمر مصادفة عابرة، ولا خبط عشواء بدون قصد ولا تدبير؛ ثمَّ تسير هذه السيرة التي لا تنحرف، ولا تخطيء، ولا تتخلَّف؛ ولا تسير في طريق آخر من شتَّى الطرق التي يمكن عقلًا وتصوُّرًا أن تسير فيها. إنَّما تسير النشأة الإنسانية في هذا الطريق دون سواه من شتَّى الطرق

---

[1] مفتاح دار السَّعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: ٢/٥٤١، ٥٤٠.

الممكنة بناء على قصدٍ وتدبير من الإرادة الخالقة المدبرة في هذا الوجود. كما أنَّ في عرض تلك الأطوار بهذا التتابع الدقيق المطرد ، ما يشير إلى الإيمان بالخالق المدبِّر، والسير على نهج المؤمنين الذي بينه في المقطع السابق– يشير إلى الآيات الأول من سورة المؤمنين– .. هو وحده الطريق إلى بلوغ الكمال المقدر لتلك النشأة؛ في الحياتين: الدنيا والآخرة"[1].

ويقول الدكتور محمد علي البار:" النُّطفة أولًا.... قلنا إنَّ المبيض إنَّما يُفْرِز بويضة واحدة في الشهر... تمكث بعد ذلك يومًا أو يومين على الأكثر ؛ ليتمَّ تلقيحها بإذن الله بالحيوان المنوي (نطفة الرجل) وتتحد النُّطفتان لتكوِّنا معًا النُّطفة الأمشاج المختلطة من مار الرجل (الحيوان المنوي) وماء المرأة (البويضة) وتنمو الطفلة الأمشاج لتصبح مثل الكرة أو التوتة ثم تعلق في الرَّحم بعد أسبوع من تكوِّنها (أي النُّطفة الأمشاج) وتكون علقة بجدار الَّحم ثم تكون مضغة يتخلَّقُ فيها الجنين وتتكون أعضاؤه.. وفي هذه الأثناء تتكون العظام ثم يكسوها اللحم (العضلات) .. وتتكون وتتكامل الأجهزة: القلب . الكبد.. الأطراف... السمع .. البصر.. الدماغ.. وتبدأ في الجنين حكات إرادية في نهاية الشهر الثالث: يمص أصابعه. يُمسك بالحبل السري ويُصبح كثير الحركة.. يتقلَّبُ في الرَّحم .. ينام ويصحو .. يسمع الأصوات.. تكتب على جبينه وترسم كتابة لا نظير لها مطلقًا... تتضح معالم شخصيته المتفرِّدة عن جميع البشر الذين سبقوه أو عاصروه أو سيلحقونه. بصمات أصابعه المتفردة تظهر في نهاية الشهر الثالث .. الكتابة والرسم العجيب على جبينه يظهر في الشهر الثالث... المشيمة تستقلُّ بوظيفتها في الشهر الثالث... الكبد والقلب والدماغ والأطراف والسمع والبصر يكتمل بناؤها في نهاية الشهر الثالث.

وفي نهاية هذا الشهر أيضًا تتميَّز الأعضاء التناسلية الباطنة والظاهرة. ويمكن التفريق بين الذكر والأنثى... كما أنَّ فحص عينة السَّائل الامنيوسي (الرهل) تصبح ممكنة بعد الشهر الثالث.. ويفحص خلايا الجنين التي تسقط في السائل يمكن معرفة بعض الأمراض الوراثية كما يمكن معرفة نوعية الجنين ذكر أم أنثى.

وفي هذه القترة أيضًا يتخذ وجهه الشكل الإنساني المميز.. أما قبل ذلك فشكله يشبه جنين السمك أو الطائر أو الأرنب أو القرد... لا فرق واضح يمكن الاعتماد عليه لنقول هذا جنين دجاجة أو سمكة أو جنين إنسان عدا أنَّ مراحل النُّمو تختلف من نوع إلى آخر ومن فصيلة إلى أخرى..

([1]) في ظلال القرآن ، سيد قطب: ٢٤٥٧/٤.

وفي هذا الشهر تظهر السمات الإنسانية... ويكتمل نمو الوجه تقريبًا.. وتكسى العظام بالعضلات ويكتمل تغذية العضلات بالأعصاب... وتستلم الأعصاب رسائلها وأوامها من الدماغ وتبدأ العضلات الإرادية بالتحرك بل إنَّ عضلات الوجه تعبِّر عن حالة الجنين وما يعانيه.

في نهاية هذا الشهر.. الجنين يسمع.. الجنين يتحرَّك إراديًّا.. الجنين ترتسم على وجهه علامات الرضا أو الضيق.. في نهاية هذا الشهر يعرف جنس الجنين... وتظهر ملامح شخصيته المتفرِّدة المتميِّزة عن بقية البشر... أليست هذه كلها دلائل على نفخ الرُّوح؟؟ بلى، **ويؤكدها الحديث الشريف:**" إنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمِّه أربعين يومًا.. ثم يكون علقة في ذلك مثل ذلك، ثم يكون مضغة في ذلك مثل ذلك، ثم ينفخ فيه الرُّوح[1].

وتدلُّ عليه الآية الكريمة... :﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]"[2].

وإجمالًا أقول: إنَّ ما ذُكِرَ من هدايات وغرائب وعجائب في أطوار خلق الإنسان قليلٌ من كثير، وغيضٌ من فيض، وبعضٌ من كلِّ؛ لأنَّ هدايات الآيات الدالة على خلق الإنسان في القرآن الكريم بحرٌ لا ساحل له، وإنَّك إذا تأمَّلت، وأطلت النظر والفكر والتدبُّر فيها" أوقعكَ – ذلك على العلم به سبحانه وتعالى وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله، مِنْ عموم قدرته وعلمه وكماله وحكمته ورحمته وإحسانه وبرِّه ولُطْفِه وعدله ورضاه وغضبه وثوابه وعقابه فبهذا تعرَّف إلى عباده ، وندبَهم إلى التَّفكُّر في آياته"[3]. كما في قوله – سبحانه –﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات:٢١]، وقوله– جلَّ وعلا– ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾[الطارق: ٥].

---

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، حديث رقم(٣٣٣٢): ١٣٣/٤.

(٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د/ محمد علي البار: ص٣٥١-٣٥٤.

(٣) مفتاح دار السَّعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية: ٥٣٨/٢.

الخاتمـــــــة:

- **الخاتمة:**

قد هَداني الله تبارك وتعالى بفضله وكرمه إلى تأليف هذا الكتاب – على نحو ما ذكرت في سبب تأليفه–، والذي جاء الحديث فيه عن آيات خلق الإنسان القرآن الكريم في ضوء الهدايات القرآنية، وبعدَ أنْ تعايشنا بقلوبنا وعقولنا مع هدايات، وإعجاز، ولطائف تلك الآيات العظيمات، أقول في خاتمة هذا العمل –الذي أدعو الله أن يجعله في حرز قبوله ورضاه–: إنَّني قد توصَّلت إلى عدد من النتائج، من أهمها:

١- أنَّ آيات خلق الإنسان في القرآن الكريم- سواء خلق الإنسان الأول آدم عليه السلام وزوجه أو من جاء مِنْ ذريَّته- من أعظم الآيات الدالة على وحدانية الله الخالق البارىء- عز وعلا- وآثار قدرته، وبديع صنعه، وكمال حكمته، وعظيم نعمه، وجميل لطفه...، وكلُّ ما تذهب النَّفس في تقديره.

٢- أنَّه من خلال الحديث عن آيات خلق الإنسان؛ قد تبيَّن أنَّ مراحل خلقه في القرآن الكريم قد جاءت على أربعة أنواع مختلفة، أحدها: الخلق من غير أبوين، وذلك آدم عليه السلام. ثانيها: الخلق من ذكر بدون أنثى، وهي أمنا حواء. ثالثها: الخلق من أنثى بدون ذكر، وذلك عيسى عليه السلام. رابعها: الخلق من ذكر وأنثى، وذلك لكلِّ البشر وسائر الآدميين. وهذه الأنواع جميعها تدلُّ على كمال قدرة الخالق سبحانه، وبديع صنعه.

٣- أنَّ من آثار استنباط الهدايات القرآنية من آيات خَلْقِ الإنسان: تجديد الإيمان في النِّفوس الطَّاهرة النقية، ودفعها إلى أنْ تذْهَبَ كلَّ مذهبٍ في التَّأمل والتفكير في ما في هذا الخلق من القدرة والحكمة، والذي لا يقدِر عليه سوى الله- سبحانه- يخلقُ ما يشاء كيفما شاء، وفي أي وقت شاء.

٤- أنَّه لا تناقض بين الآيات التي بيَّن الخالق البارىء فيها مراحل خَلْقِ أبينا آدم- عليه السلام-، فإذا جاءت آية ناطقة بأنَّ مبتدأ خلقه- عليه السلام- من تراب أو طين، وأخرى فيها إشارة إلى أنَّ أصل خلقه يعود إلى الماء، فلا تناقض ولا تعارض؛ لأنَّه عند الجمع بين تلك الآيات فإنَّك ترى تكامل مراحل خَلْقِه- عليه السلام- وتراتبها، حتَّى وإن اختلفت الألفاظ، فالبداية من تراب مُزج أو بُلَّ بالماء، فصارا طينًا ثم طينًا لازبًا، ثمَّ انتقل فصار حمَأً مسنونًا، ثمَّ انتقل فصار صلصالًا كالفخَّار إلى أن استوى الخلق بالنَّفخ في الرُّوح. فكل هذه المراحل ليس فيها شيء ينقض أو يعارض بعضه بعضًا. والله عزَّ وعلا إذا

أراد أن يخلق آدم- عليه السلام- من لا شيء، فهو القادر المقتدر -سبحانه-؛ لأنَّ شأن الخَلْقِ عنده- جلَّ في علاه- لا يتوقَّف حصوله على شيء، وإنما كما قال- تعالى-: ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ [يس: ٨٢].

٥- أنَّ الآية التي جمعت أطوار خلق الإنسان وتنقلاته في الرَّحم بترتيب بديع معجز هي آية سورة المؤمنين التي يقول فيها العلي الكبير- سبحانه-: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤].

٦- أنَّ مراحل خلق الإنسان الآول: أبو البشر آدم -عليه السلام- سبع مراحل سبق ذكرها، وكذلك مراحل خلق ذريته سبع مراحل.

٧- أنَّ مراحلَ خلْقِ الإنسان، سواء خلقِ أبينا آدم عليه السلام، أو نسله، تُلقِمُ الكافرين حجرًا في إنكارهم البعث والمعاد.

٨- أنَّ النطفة التي يتوقَّف عليها تكوُّن الجنين تنفرز عن امتشاج ماء الرجل وماء المرأة في قرار الأرحام، وتمثِّل تلك النُّطفة جزءًا يسيرًا من الماء أو المنيّ لا معظمه أو جميعه.

٩- أنَّ القرآن الكريم هو الكتاب الأوَّلُ والوحيد – ومن بعده السنَّة النبوية المطهرة- الذي ذكَرَ هذه الأطوار على نحو هذا الترتيب الدقيق المعجز، والذي لم يزد عليه علم الأجنة والتشريح في العصر الحديث.

١٠- أنَّ في آيات خلق الإنسان في القرآن الكريم ما يخرق الأوهام والأفكار، وتعجز عقول النَّاس وأفهامهم عن إدراكه، وقد ذكرنا بعض وجوه الإعجاز في هذه الخلق العجيب الآثار، المكتمل التركيب في الهدايات المستنبطة من الآيات الدَّالة عليه- على نحو ما وفَّقَنَا الله سبحانه إلى ذلك-.

١١- أنَّ ما جاء في علم الأجنة والتشريح من حقائق علمية دقيقة واكتشافات حديثة في مراحل خلق الإنسان وتنقُّلاته في الرَّحم وترتيبها- وغير ذلك من المعجزات مثل: معجزتي الرتق والفتق للسماء والأرض-، قد بيَّنها القرآن الكريم، والسنَّة النبوية المطهرة بإعجاز، ودقَّة تخرق العقول وتفوق الوصف، وذلك قبل ألف وأربعمئة عام. وآيات القرآن الكريم التي جاءت في كلِّ المراحل- وكلَّ مرحلة هي أكبر من أختها- التي وقفنا معها معبِّرةٌ ناطقةٌ بهذا الإعجاز بلا أدنى شكٍّ أو موارية.

١٢- أنَّ المسميَّات والمفاهيم العامَّة المعبِّرة عن مراحل خلق الإنسان، مثل: المضغة، والعلقة...، على نحو ما بيَّنت جاء في كلام الخالق البارىء- عزَّ وعلا-، لم يزد عليها علم التشريح والأجنة، بل سار في فلكها. فإن قيل: قيل: أي تقدير هذا؟!!!. فقل: ﴿ **ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾ [الأنعام: ٩٦].

١٣- قد ثبت أنَّ الصحابة، ومنهم: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وكبار اللغويين، والمفسرين في القديم، ومنهم، شيخ المفسرين ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، وأبو إسحاق الزجَّاج (ت: ٣١١هـ)، وأبو على الواحدي (ت: ٤٦٨هـ)، والزَّمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، وغيرهم، لهم السبق البعيد في فهم الآيات القرآنية، وأنَّهم قد عبَّروا عن دلالات ألفاظها بتعبيرات تتوافق مع ما فهمه العلماء في العصر الحديث، وبعد الاكتشافات العلمية الحديثة، ومن ذلك على سبيل المثال ما أوردناه في: مرحلة تخليق النطفة، وكذلك مرحلة تخليق العلقة، وغيرهما، وقد ذكرنا هناك كلام الدكتور محمد على البار وغيره حول عدم ابتعاد المفسرين القدامى عن فَهْمِ ما فُهِمَ في علم الطب الحديث.

هذا آخر ما تيسَّر وتحرَّر بفضل من بيده ملكوت كلِّ شيء سبحانه، بفضله تتنزلُ البركات، وبنعمته تتمُّ الصالحات؛ فله الحمد حمدًا لا ينقطعُ عَدَدُهُ، ولا يفْنَى مدَدُهُ. وصلَّى الله على سيدنا محمد الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

– المصادر والمراجع:

- **المصادر والمراجع:**

١- القرآن الكريم.

٢- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين، أبو الفضل، عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري السيوطي (ت:٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية.

٣- الأساس في التفسير، سعيد حوّى (ت: ١٤٠٩هـ)، دار السلام، القاهرة، ط٦، ١٤٢٤هـ.

٤- الأصلان في علوم القرآن، أ. د. محمد عبد المنعم القيعي، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط١٤١٧، ٤هـ- ١٩٩٦م.

٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشَّنْقِيطيّ (ت: ١٣٩٣هـ)، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٦هـ.

٦- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٧- الإكليل في استنباط التنزيل، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ)، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

٨- الألفاظ الدالة على الخروج والدخول في القرآن الكريم، دراسة في البنية والدلالة، رمضان خيري إسماعيل ، إشراف: أ. د/ عبد الكريم جبل، د/ محمد أفندي، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠١٨م. (رسالة ماجستير).

٩- الأمد الأقصى، أبو زيد، عبد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي (ت:٤٣٠هـ .)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٠- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين، أبو سعيد، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ.

١١- إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبى الحسن النَّيْسَابوري (ت: نحو ٥٥٣هـ)، تحقيق: د/ حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ.

١٢- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، دار راسم، السعودية، ط٣، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
١٣- البحر المحيط، أبوحيَّان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
١٤- البرهان فى تناسب سور القرآن، أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
١٥- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
١٦- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت:٨١٧هـ) تحقيق: د/ محمد على النجار، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، ط، ٣، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
١٧- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزَّبِيدي، طبعة وزارة الإرشاد والإنباء، الكويت.
١٨- تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، أبو منصور، محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، د/ مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
١٩- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين العُكْبَري (ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: محمد علي البجاوي، عيسى البابلي الحلبي وشركاه.
٢٠- التبيان في أيمان القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيُّوب ابن قَيِّم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الله بن سالم البطاطي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٩هـ.
٢١- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.
٢٢- التذكرة في الوعظ، جمال الدين، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي الملقب بابن الجوزي (ت:٥٧١هـ)، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٣- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جُزَيٍّ الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ) ، تحقيق: علي بن حمد الصالحي، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.
٢٤- التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الابياري، دار الريَّان للتراث.
٢٥- تفسير أبي السعود = (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٦- التفسير البسيط، أبو الحسن، علي بن أحمد النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، الناشر: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠ هـ.
٢٧- تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: نحو ٤٢٥هـ)، جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب – جامعة طنطا، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
٢٨- تفسير السمرقندي المسمَّى بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي (ت :٣٧٥هـ)، تحقيق: علي محمد عوض، عادل أحمد عبد الموجود، زكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٢٩- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.
٣٠- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، فخر الدين، محمد الرازي (ت:٦٠٤هـ)، دار الفكر، ط١، ١٤٠١ هـ-١٩٨١م.
٣١- تفسير القرآن العظيم، أبو المُظفَّر منصور بن محمد بن عبد الجبار السَّمَعَاني التميمي المرُوزي (ت:٤٨٩هـ)، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٣٢- تفسير القرآن العظيم، أبو بكر، محمد بن الحسن بن فورك (ت: ٤٠٦هـ)، إعداد: علال عبد القادر بندويش، إشراف: د/غالب الحامضي، جامعة أم القرى،١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م (رسالة ماجستير).
٣٣- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ط٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٣٤- تفسير القُشَيْري المسمَّى لطائف الإشارات ، أبو القاسم، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري(ت: ٤٦٥هـ)، عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٣٥- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، تأليف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، مطبعة المصحف الشريف، ط٣، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

٣٦- تفسير غريب القرآن، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

٣٧- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن ، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: ١٥٠هـ)، تحقيق: د/ عبد الله محمود شحاته، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ.

٣٨- تهذيب اللغة، أبو منصور، محمد بن أحمد الأزهري (ت: ٣٧٠هـ)، الجزء: السادس، تحقيق: الأستاذ/ محمد عبد المنعم خفاجي، والأستاذ/محمود فرج العقدة، ومراجعة: الأستاذ/ على محمد البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٣٩- التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرءوف المناوي (ت:١٠٣١هـ)، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٤٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت:١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

٤١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطَّبري (ت:٣١٠هـ)، تحقيق: د/عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، الجيزة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٤٢- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، نصر الله بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير (ت:٦٣٧هـ)، د. مصطفى جواد، د. جميل إسماعيل، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م.

٤٣- الجامع لأحكام القرآن، لأبى عبدالله محمد بن أحمد بن أبى بكر القرطبي(ت:٦٧١هـ)، تحقيق: د/عبدالله بن عبد المحسن التركى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١،١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٤٤- جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر، جمعها: د/عادل سلمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.

٤٥- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧م.
٤٦- حدائق الروح والريحان في رَوَابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهَرَري، إشراف ومراجعة: د/ هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٤٧- خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د/ محمد علي البار، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
٤٨- ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس (ت: ٧هـ)، شح وتعليق: د/ محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز.
٤٩- ديوان الإمام علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه-، تحقيق: د/محمد عبد المنعم خفاجي، دار ابن زيدون، مكتبة الكليات الأزهرية.
٥٠- ديوان الشافعي، أبو عبد الله، محمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق: د/ محمد عبد المنعم خفاجي، حقوق الطبع محفوظة للناشر، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٥١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت:١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.
٥٢- زاد المسير في عِلمِ التَّفسير، أبو الفرج، جمال الدين، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٥٣- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.
٥٤- الزينة في الكلمات الإسلامية، أبو حاتم، أحمد بن حمدان الرازي (ت: ٣٢٢هـ)، تحقيق حسين بن فيض الله الهمداني، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٧م.
٥٥- السنن الكبرى، أبو بكر، أحمد بن الحُسَين بن عليٍّ البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ)، تحقيق: د/عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م.
٥٦- السيرة النبوية في ضوء الهدايات القرآنية (العهد المكي)، د/ فخر الدين بن الزبير المحسي، دار المتنبي، الدمَام، السودان، ط١، ١٤٤٠-٢٠١٩م.

٥٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٥٨- صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ط١، ١٤٢٢هـ.

٥٩- صحيح مسلم، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٦٠- أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تحقيق: د/ شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق، ودار الملاح للطباعة والنشر، دمشق، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٥م.

٦١- العقيدة الواسطية، شيخ الإسلام، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، طبعة أضواء السلف، الرياض، ط٢،١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٦٢- علم الاشتقاق نظريًّا وتطبيقيًّا، د. محمد حسن حسن جبل(ت:١٤٣٦هـ)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م.

٦٣- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف بن عبدالدائم، المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٩م.

٦٤- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني (ت:٨٥٥هـ)، دار الفكر.

٦٥- العين، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٥هـ)، تحقيق: د/مهدي المخزومي، ود/إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للتوزيع والنشر، مطابع الرسالة، الكويت.

٦٦- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين، الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.

٦٧- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب، محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي(ت: ١٣٠٧هـ)، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بيروت،١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م.

٦٨- فتح الرحمن في تفسير القرآن، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت: ٩٢٧هـ)، تحقيق: نور الدين طالب، دار النوادر، ط١،١٤٣٠ هـ -٢٠٠٩م.

٦٩- فتوح الغيب في الكشْفِ عن قناع الرَّيب، شرف الدين، الحسين بن عبد الله الطِّيبي (ت: ٧٤٣هـ)، ج١٣ تحقيق: د/ عمر حسن القِيَّام، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

٧٠- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٣٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٧١- قصة المفاجآت الخمس في القرآن الكريم، الأستاذ الدكتور/ محمد متولي منصور، بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر العلمي الدولي الرابع لكلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، المجلد الثاني، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.

٧٢- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتَجَب الهمذاني (ت:٦٤٣هـ)، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيّح، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

٧٣- الكتيب التعريفي بـ الموسوعة العالمية للهدايات القرآنية، جامعة أم القرى، عمادة البحث العلمي.

٧٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه الأويل، جار الله، محمود بن عمر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، تحقيق: أحمد عادل عبد الموجود، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٧٥- الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي، أبو إسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١،١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٧٦- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، (ت:١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧٧- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين بن عبد الله العُكبرَي البغدادي محب الدين (ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ -١٩٩٥م.

٧٨- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص، سراج الدين، عمر بن علي ابن عادل الحنبلي الدمشقي الحنبلي (ت: بعد ٨٨٠هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

٧٩- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، المعروف بابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، مصر.

٨٠- لطائف قرآنية، محمود محمد غريب، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

٨١- مجاز القرآن، أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمى البصري (ت: ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى، القاهرة،١٣٨١هـ.

٨٢- مجال الخلق في القرآن الكريم، دراسة في الفروق الدلالية، الدكتور/ عبد الكريم محمد حسن جبل، بحث منشور، كلية اللغة العربية، جامعة المنصورة، العدد ٢٧، ج٤.

٨٣- مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام أبى علي الفضل بن الحسن الطَّبْرَسي (ت :٤٥٨هـ)، دار العلوم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٨٤- مجمل اللغة، أبو الحسين ،أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٨٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية (ت:٥٤٨هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٨٦- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، ابن سيده، أبو الحسن علي ابن إسماعيل بن سيده المرسي، المعروف بابن سيده، تحقيق: د/عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠,٠م.

٨٧- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المعروف بتفسير النَّسفي، لأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النَّسفي(ت:٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، ومراجعة: محيي الدين ديب متولي، دار الكلم الطيب، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٨٨- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن جلال السيوطي، دار التراث، القاهرة، ط٣، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٨٦م.

٨٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله ،أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني(ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

٩٠- المطلع على ألفاظ المقنع، شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي (ت:٧٠٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٩١- معالم التنزيل المعروف بتفسير البغوى،لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت:٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبدالله النمر، وعثمان جمعة خيميرية، سليمان مسلم الحرش، دارطيبة، الرياض،١٤٠٩هـ.

٩٢- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل (ت: ٣١١هـ .) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٩٣- معاني القرآن، أبو زكريا، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء(ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١.

٩٤- معترك الأقران في إعجاز القرآن، أبو الفضل، عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري السيوطي (ت:٩١١هـ)، ضبطه وصححه وكتب فهارسه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٩٥- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم مؤصِّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، د/محمد حسن جبل (ت: ١٤٣٦هـ)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

٩٦- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، صنعه/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٩٧- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية؛ سنة النشر، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٩٨- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد،

راجعه: محمد أجمل الإصْلاحي، سليمان بن عبد الله العمير، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٢هـ.
٩٩- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني (ت: نحو: ٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق،١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
١٠٠- مقاييس اللغة، أبو الحسين، أحمد ابن فارس زكريا(ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
١٠١- مقدِّمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت: ٨٠٨هـ)، تحقيق: د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، الجيزة، ط٤، ٢٠١٤م.
١٠٢- من الإعجاز الطبي في القرآن الكريم كشف الأسرار النُّورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية، محمد بن أحمد الإسكندراني الدِّمشقي (ت: بعد ١٢٩٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٠٣- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د/محمد راتب النابلسي، دار المكتبي – سورية – دمشق، ط٢، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
١٠٤- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
١٠٥- نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت:٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
١٠٦- النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (ت: نحو ٣٦٠هـ)، تحقيق: إبراهيم بن منصور الجنيدل، شايع بن عبده بن شايع الأسمري، دار القيم – دار ابن عفان، ط١، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.
١٠٧- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (ت:٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد طناحي، المكتبة الإسلامية، ١٣٨٣هـ.
١٠٨- نهج البلاغة- علي بن أبي طالب-، جمع: أبو الحسن، محمد الرضي بن الحسن ، تحقيق: د/ صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٠م
١٠٩- الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، الفريق البحثي بكرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم (أ.د. طه عابدين طه حمد، د. ياسين بن حافظ قاري، د. فخر الدين الزُّبير علي)، مكتبة المتنبي، ط١، ١٤٣٨هـ.

١١٠- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد، مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيرواني (ت:٤٣٧هـ)، مجموعة رسائل جامعية قامت بمراجعتها وتدقيقها وتهيئتها للطباعة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

١١١- الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيُّوب ابن قَيِّم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث.

-فهرس المحتويات:

الموضوع:	رقم الصفحة
الإهداء	ب
المقدمة:	٢-١٣
سبب التأليف	٧
أهداف الكتاب	٨
الدراسات السابقة	٩-١٠
منهج الكتاب	١١
خطة الكتاب	١٢-١٣
التمهيد: مراحل خلق الإنسان الأول آدم-عليه السلام- في القرآن الكريم، وفيه سبعة مباحث.:	١٤-
المطلب الأول: الهدايات في اللغة والاصطلاح.	١٥- ١٩
المطلب الثَّاني: الفرق بين التفسير والهدايات والاستنباطات	٢٠- ٢١
المطلب الثَّالث: مجالات الهدايات القرآنية.	٢٢-٢٣
المطلب الرابع: طُرق الوصول إلى الهدايات القرآنية.	٢٣-٢٤
الطريقة المقترح إضافتها	٢٤-٢٧
الفصل الأول: مراحل خلق الإنسان الأول آدم-عليه السلام- وزوجه في القرآن	٢٨-٩٠

الكريم، وفيه ثمانية مباحث:	
توطئة:	٢٩-٣١
بصائر في آدم -عليه السلام-.	٢٩-٣١
المبحث الأول: مرحلة الخلق مِنْ تُرَاب.	٣٢-٣٦
المبحث الثاني: مرحلة الخلق من الماء.	٣٧-٤٩
المبحث الثالث: مرحلة الخلق من طين.	٥٠-٥٥
المبحث الرابع: مرحلة الخلق من الطين اللازب.	٥٦- ٦٠
المبحث الخامس: الخَلْقُ من حمأ مسنون.	٦١-٦٥
المبحث السادس: مرحلة الخلق من الصلصال.	٦٦-٧١
المبحث السابع: مرحلة التسوية ونفخ الروح (= مرحلة التشريف والمَكْرُمة).	٧٢-٧٨
المبحث الثامن: مرحلة خلقُ أُمِّنَا حوَّاء من آدم- عليهما السلام-.	٧٩-٨٦
تعقيب:	٨٧-٩٠
الفصل الثاني: : مراحلُ خَلْقِ نَسْلِ آدم -عليه السلام- وذريته ، ويشتمل على سبعة مباحث:	-٩١
توطئة:	٩٠-٩٤
بصائر في الإنسان:	٩٠-٩٤
المبحث الأول: مرحلة الخلق من ماء مهين ودافق.	٩٥-١٠٢

المبحث الثاني: مرحلة تخليق (طور) النُّطفة في الرَّحم.	١٠٣-١١٤
المبحث الثالث: مرحلة (= طور) تكوُّن العَلقة.	١١٥-١٢٢
المبحث الرابع: مرحلة التطور إلى المُضغة.	١٢٣-١٣٢
المبحث الخامس: مرحلة تخليق العظام (ابتداء تكوين الهيكل الإنساني).	١٣٣-١٣٨
المبحث السادس: مرحلة كسوة العظام باللحم.	١٣٩-١٤٣
المبحث السابع: مرحلة تمام الخلقِ، وكماله: النفخ في الرّوح.	١٤٤-١٥٠
تعقيب:	١٥١-١٥٤
الخاتمة:	١٥٦-١٥٩
المصادر والمراجع.	١٦٠-١٧١
فهرس المحتويات:	١٧٢-١٧٥

إنَّ الشروع في البحث عن هدايات القرآن الكريم شروعٌ في بحرٍ لا يُدْرَك قعْرُه، ولا يُبلغ آخره، وذلك لأنَّ القرآن العظيم لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تنقطع فوائده، ولا تنفد كلماته، ولا تتناهى هداياته.

وإنَّ مراحل خلقِ الإنسان في آيات القرآن الكريم، فيها من الهدايات، والعجائب، والإعجاز الدالُّ على آثار قدرة الخالق، وكمال حكمته، وبديع صنعه، ما تعجز عن إدراكه عقول الناس وأفهامهم، وتنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه، ولا عجب في ذلك؛ لأنَّ ﴿**هذا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي ماذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ [لقمان: ١١]. والله تبارك وتعالى قد أمر عباده أن يتفكَّروا وينظروا في خلقهم، فقال: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، وقال سبحانه آمرًا؛ ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥].

وبناءً على ما سبق كان هذا الكتاب الذي يسعى فيه المؤلف إلى دراسة مراحل خلق الإنسان- آدم وحواء عليهما السلام وذريتهما من بعدهما- على نحو ما بيَّنت آيات القرآن، وذلك في ضوء الهدايات القرآنية. والله – سبحانه- أسأل قبول هذا العمل، والنَّفع به، إنَّه على كلِّ شيء قدير، وبالإجابة جدير.

المؤلف: رمضان خيري إسماعيل.

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة دمنهور.